

الصوفية

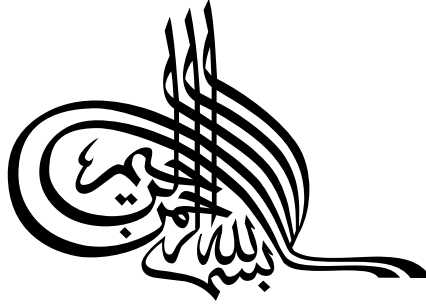
في القرآن والسنة

الطبعة الثانية

مكتبة دار السنة والجماعة

عبد الرحمن بن زيد

دار الأيمان والحياة



الكتاب	الصوفية في القرآن والسنة
المؤلف	الأستاذ فوزي محمد أبو زيد
عدد الطبعات	طبعتان
الطبعة الثانية	غرة رمضان ١٤٢٩هـ، الأول من سبتمبر ٢٠٠٨م
الطبعة الأولى	١٥ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ، ٢١ يونيو ٢٠٠٥م
عدد الصفحات	٣٢٠ صفحة
المقاس	١٧ سم * ٢٤ سم
الورق	٨٠ جم
الطباعة الداخلية	١ لون، أسود
الغلاف	كوشيه لميع ٣٠٠ جرام
طباعة الغلاف	٤ لون، سلوفان لميع
إشراف	دار الإيمان والحياة - ١١٤ ش ١٠٥ - المعادي - القاهرة - جمهورية مصر العربية، ت: ٠٠٢٠ - ٢٥٢٥٢١٤٠ - ٢ - ٠٠٢٠
طباعة	دار نوبار للطباعة
رقم إيداع محلي	٢٠٠٨/١٦٩١٣
رقم إيداع دولي	ISBN: 977-17-6079-3

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنه من فضل الله علينا وتوفيقه؛ أنه لما صدرت الطبعة الأولى من كتابنا هذا "الصوفية في القرآن والسنة"؛ تهافت عليه القراء، وألحت المكتبات ودور التوزيع في طلبه من داخل مصر وخارجها وبخاصة من دول العالم الإسلامي، مما جعل طبعته الأولى تنفذ بسرعة.

وتحت إلحاح السادة القراء والمكتبات ودور التوزيع؛ رأينا أن نعيد طباعته، على أن نزيد فيه القليل مما يكمل موضوعاته ولا يخل بأساسه، كما أرتأينا أن نعيد تنسيق صفحاته حتى لا يكون حجمه أكبر من اللازم.

وقد وفقنا الله لذلك، فها هو الكتاب في ثوبه القشيب بين يديك أيها القارئ العزيز، وهو كتاب فريد في بابه، جديد في تناوله لموضوعاته، قوئ في أدلته التي يستند إليها من الكتاب والسنة، وذلك لينفخ عن الصوفية الحقّة من يعارضهم بدون دليل أو بأدلة واهية، كما يؤصل لقواعدهم في التربية والسلوك، ومناهجهم في التقرب إلى الله جلّ في علاه.

ولا ننسى أن نشير إلى أن بعض الأخوة الأفاضل المتخصصين قد ترجموه حسبة لوجه الله إلى اللغة الإنجليزية وجارى طبعه إنشاء الله.

فإذا أضفت أخي القارئ الكريم إلى هذا الكتاب كتبنا الأخرى التي نتحدث عن الصوفية في مختلف جوانبهم ونماذجهم ومناهجهم وهي :

١. "كيف يحبك الله": صدر في أبريل.

٢. "مراقى الصالحين": صدر في يناير ٢٠٠٦.

٣. "رسالة الصالحين": صدر في أكتوبر ٢٠٠٥.
٤. "علامات التوفيق لأهل التحقيق": أغسطس ٢٠٠٥.
٥. "المنهج الصوفي والحياة العصرية"، طباعة نوفمبر ٢٠٠٦، وهو يتكون من جزئين معا في نفس الكتاب: الجزء الأول: "ملامح المنهج الصوفي"، والجزء الثاني: "الشيخ المرَبِّي".
٦. "المجاهدة للصفاء والمشاهدة": طبع فبراير ٢٠٠٥.
٧. "طريق المحبوبين وأذواقهم": طباعة يناير ٢٠٠١.
٨. "أذكار الأبرار": مايو ٢٠٠٠، ثم صدرت له طبعتان متتاليتان بالحجم الصغير.

٩. "طريق الصديقين إلى رضوان ربِّ العالمين": طباعة مارس ١٩٩٥، ونحن في طريقنا لإعادة طباعته مرة ثانية إنشاء الله.

عندها ومع كتابنا هذا الذي بين يديك "الصوفية في القرآن والسنة"؛ تصبح هذه الكتب العشرة بإذن الله تعالى وحسن معونته وتوفيقه؛ مرجعا كاملا متكاملا وافيا عن الصوفية الحققة، ينتفع بها من قرأها، ومن قرأها وعمل بها، ومن استعان بها في معرفة القوم وأحوالهم.

وحتى تكتمل هذه الموسوعة العلمية عن الصوفية الحققة؛ ألحقنا بها أمثلة للشيوخ الصادقين والحكماء الربانيين من السلف الصالح والمعاصرين، مع التركيز على حرصهم رضي الله عنهم أجمعين على اتباع الشرع، ومتابعة رسول الله ﷺ، وجهادهم في تربية الرجال، بعد تنقية هذه السير مما شابها من مغالاة المحبين أو انتقاص وانتقاد المغرضين.

وقد صدر لنا في هذا المقام كتاب "الإمام أبو الغزائم المجدد الصوفي" عام ١٩٩٢، وكتاب "الشيخ محمد علي سلامة سيرة وسريرة" عام ١٩٩٣،

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

ثم كتاب " المربي الرباني السيد أحمد البدوي " طبعة فبراير ٢٠٠٧ ، وأخيراً
وليس بآخر كتاب "شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي" وقد صدر في مايو
٢٠٠٨ ، وهو كتاب كادت طبعته تنفذ فور ظهورها في الأسواق.

ولنا تحت الطبع إنشاء الله في مجال التصوف ثلاثة كتب وهي: "حقائق
التصوف النقي"، و "موازن الصادقين"، و"سياحة العارفين" ، بالإضافة إلى
كتاب بالحجم الصغير من سلسلتنا "شفاء الصدور"، إسمه "الفتح العرفاني".

نسأل الله تعالى أن ينفع بها كل من قرأها أو ساهم في نشرها، أو ساعد
على قراءتها، والله المستعان و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب،
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ليلة الاثنين ٢٤ شعبان ١٤٢٩ هـ

الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٠٨ م

فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ

البريد: الجميزة . محافظة الغربية ، جمهورية مصر العربية

تليفون: ٥٣٤٠٥١٩ - ٠٤٠ ، فاكس: ٥٣٤٤٤٦٠ - ٠٤٠ .

موقع الإنترنت: WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني: fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

﴿مقدمة وتمهيد﴾ ﴿٥﴾

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مولى الفضل والجود والكرم، واهب الخير والبر والنعم، والصلاة والسلام على من به أجرى الله الكتابة في لوحه المحفوظ بالقلم، سيدنا محمد غرّة جبين الدهر، وكوكب النور للعرب وللعجم، صلى الله عليه وعلى آله الذين أحيوا القلوب به من العدم، وأصحابه واتباعه الذين ساروا على هذا القدم، وبعد...

هناك حملات ضارية قديماً وحديثاً، ليس لها أساس من الدين ولا من العلم ولا من العقل السليم على الصوفية...

والإنسان العاقل يحكم عقله في القضايا، فالقضايا بمنطقها بمقدمات تؤدي إلى نتائج، والإنسان صاحب الدين يتورع أن يفتي في أمر من قبل نفسه، أو من قبل هواه... لكنه يعرضه على شرع الله، وعلى كتاب الله، وعلى سنة رسول الله ﷺ، ولا يقول إلا ما يوافق كتاب الله، وما يوافق سنة حبيب الله ومصطفاه.

والإنسان الدارس في أي معهد علمي؛ يطبق المناهج العلمية على أي قضية علمية. ولو طبقنا المناهج العلمية؛ مثل: الملاحظة، والتجربة، والمشاهدة، وكيفية البحث العلمي السديد؛ نجد أن الأوربيين الذين تفوقوا على العالم كله في البحث العلمي يضعون قضية التصوف في مقدمة القضايا الثابتة علمياً، والتي يحتاج إليها الناس أجمعون للخروج من المشكلات وللتوازن النفسي ولإصلاح النفوس وزيادة مناعة الأجسام، ولتصفية القلوب، ولإعلاء شأن المثل والقيم التي يتوقف عليها سعادة المجتمعات.

أشياء كثيرة أثبتوها وسجلوها وموجودة عند كبريات الجامعات العالمية، لكن الأبواق الضالة التي تنعق على الصوفية - بدون حجة ولا دليل ولا برهان ولا أي منطق مقبول عقلاً أو مشوث نقلاً - لا ترى ذلك! فيجب علينا وينبغي علينا أن نرد على مثل

هذه الأمور .

وقد حاولنا - بحمد الله - في جلساتنا الشهرية، والتي تعقد بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بالقاهرة؛ أن نضع الصوفية في موضعها الصحيح بأن نقعد لها قواعد الأصلية: من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث النبوية، ومن الأحوال الزكية التي كان عليها محمدٌ رسول الله والذين معه.

والحمد لله وفقنا الله سبحانه وتعالى في هذا الأمر بمنه وجوده ، وأخرجنا هذا الموضوع في كتابنا هذا، وسمّيناه :

"الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ".

وقد يسأل سائل: وهل الصوفية موجودة في القرآن والسنة ؟

نقول: نعم، وقد أثبتنا ذلك في هذا الكتاب ابتغاء مرضاة الله، وإظهاراً للحقيقة لوجه الله جلّ في علاه، ولا نريد بذلك غير رضاه.
فعن طريق التصوف، يقول الإمام الغزالي :

" إن الطريق إلى ذلك إنما هو: تقديم المجاهدة، أو محو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك: كان الله هو المتولّي لقلب عبده، المتكفل له بتنويره بأنوار العلم. وإذا تولّى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتألّأت فيه حقائق الأمور الإلهية. فليس على العبد إلا الاستعداد، بالتصفية المجردة، وإحضار الهمة، مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام، والترصد بدوام الانتظار، لما يفتحه الله سبحانه وتعالى من الرحمة "

وعن هذا الطريق يقول ابن خلدون : " وقد كان الصحابة رضي الله عنهم على مثل

هذه المجاهدة، وكان حظهم من هذه الكرامات أوفر الحظوظ، لكنهم لم يقع لهم بها عناية. وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها، وتبعهم في ذلك أهل الطريقة، ممن اشتملت رسالة القشيري على ذكرهم، ومن تبع طريقتهم من بعدهم".

هذا فيما يتعلق بالطريق، أما فيما يتعلق بالموضوع، والشعور، والأحوال؛ فإن الصوفية - على وجه العموم - نَبَّهوا في صور حاسمة إلى وجوب التزام الشريعة، يقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمته الله:

"من دعا إلى الله تعالى، بغير ما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يدعى". ويقول: "إذا لم يواظب الفقير على حضور الصلوات الخمس في الجماعة، فلا تعباً به".

ومن أجمل كلماته في هذا: "ما تمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان، ومتابعة السنة. فمن أعطيهما؛ وجعل يشتاقي إلى غيرهما: فهو عبدٌ مفترٍ كذَّاب، أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب. كمن أُكْرِمَ بشهود الملك على نعت الرضا؛ فجعل يشتاقي إلى سياسة الدواب، وخُلِعَ الرضا".

وكل الصوفية يتهجون هذا النهج، ومن هؤلاء مثلاً: أبو يزيد البسطامي، الذي يقول في قوة حاسمة، وفي نطق صادق: "لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات، حتى يرتقي في الهواء!، فلا تغتروا به؛ حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود، وأداء الشريعة".

ولقد تحدث الإمام الجنيد رحمته الله - أكثر من مرة - فيما يتعلق بالتصوف والشريعة، ومما قاله في ذلك:

"الطرق كلها مسدودة على الخلق؛ إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم واتبع سنته، ولزم طريقته"، وقال أيضاً: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الحديث، لا يُقْتَدَى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيدٌ بأصول الكتاب والسنة".

ولقد كان الإمام الغزالي في سلوكه وقوله وفي حياته كلها يلتزم الشريعة، ويقول: "إن المحققين قالوا لو رأيت إنساناً يطير في الهواء!، ويمشي على الماء!، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع، فاعلم أنه شيطان"

والواقع أن المثل الأعلى للصوفية على بكرة أبيهم، إنما هو رسول الله ﷺ، وهم يحاولون باستمرار أن يهجموا نهجه، وأن يسيروا على منواله. فهو إمامهم الأسمى في كل ما يأتون، وما يدعون، وهم يتابعونه مهتدين في ذلك بقوله تعالى ﴿الأنحزاب﴾:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

وقد قال د. عبد الحليم محمود في كتابه قضية التصوف"، ص ٤٨:

"إن الصوفية لهم طريقٌ روحيٌ يسرون فيه. وهذا الطريق يعتمد أساساً ومنهجاً وغايةً على القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا الطريق قد جرَّبه الصوفية؛ فثبتت ثماره عن طريق التجربة أيضاً، وجوهر الطريق الصوفي هو ما سماه الصوفية المقامات والأحوال، والمقامات هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله؛ فيقف فيها فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى يهيئ الله له ﷺ سلوك الطريق إلى المنزل الثاني؛ لكي يتدرج في السمو الروحي من شريف إلى أشرف، ومن سام إلى أسمى، أما الأحوال؛ فإنها النسمات الروحية التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة، ثم تمرُّ تاركةً عطراً تشوق الروح للعودة إلى تنسُّم أريجِه".

وقد قام بتسجيل هذه المحاضرات على شرائط كاسيت؛ ثم تفرغها وكتابتها، الأخوان

﴿مقدمة وتمهيد﴾ ﴿٩﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الصادقان: أ. محسن عبد الحي، الموظف بالهيئة العامة للاتصالات بالقاهرة، وأ. مصطفى عبد الموجود، المشرف العام بالمدينة الجامعية لجامعة الزقازيق، وقام بعد ذلك بكتابتها على الكمبيوتر بعد مراجعتها أ. أحمد سعيد عبد العال _ المدرس بالتربية والتعليم بالشرقية، وأخته أ. شيماء، مدرسة اللغة الفرنسية بالمعهد الديني بالزقازيق، وقام بتربيتها وتنسيقها ومراجعتها ابتنا د. عيبر فوزي أبو زيد.

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ، أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصاً لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ طَلِباً لِمَرْضَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَلٌّ فِي عِلَاهُ، وَنَافِعاً لِمَنْ قَرَأَهُ.

﴿ رَبَّنَا أَتَمِّمَ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرَ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[٨ التحريم]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ليلة الاثنين،

الرابع عشر من ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ،

الموافق للثاني والعشرين من مايو ٢٠٠٥ م

فوزي محمد زبير

﴿١٠﴾ ﴿مقدمة وتمهيد﴾

تمهيد^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إخواني وأخواتي القراء الكرام بارك الله عز وجل فيكم أجمعين...

بعض إخواننا الصادقين في حبهم لله، المتأسين في أحوالهم بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ يجدون في النفس غضاضة عندما يسمعون كلمة "تصوّف" أو "صوفى" ويقولون ما للتصوف وللإسلام؟

ويظنون أن التصوف شئ غير الإسلام.

ونحن وقبل أن نبحر معاً في هذا الكتاب، فإننا ومن خلال هذا التمهيد المقتضب؛ نضع النقاط فوق الحروف في سهولة ويسر، فلا علينا الآن من إسم "التصوف" - فسنعود إليه لاحقاً - ولنبحث عن حقيقة الصوفية، والمغرمين بأحوال الصوفية، والمنتسبين إلى السادة الصوفية، ماذا يريدون؟ وهل لهم سند مباشر وصحيح وواضح في دين الله ﷻ بلا لبس ولا مراء؟

فنقول وبالله التوفيق...:

إن دين الله ﷻ فصله الله جلّ في علاه، وأمر سبحانه أمين الوحي جبريل أن ينزل على الحبيب ﷺ وهو وسط أصحابه، وكان جبريل يسأل والحبيب يجيب، وبعد أن انتهى جبريل عليه السلام وانصرف، قال ﷺ أتعلمون من هذا؟، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمور دينكم.

ومعظمنا يحفظ هذا الحديث، فهو حديث صحيح في البخارى ومسلم وكل كتب الصحاح، والراوى له سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، ومع أننا نحفظ رواية الحديث، لكنني سأتي بها هنا من أجل الوقفات التي نريدها في حديث رسول الله ﷺ، إستمعوا إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، ماذا يقول :

^١ صحارى أسوان، يوم الأربعاء ١٥ محرم ١٤٢٩هـ، ٢٣/١/٢٠٠٨م، بمنزل الحاج أحمد عبد الباسط.

{ بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبي ﷺ. فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه } - وهنا يعلمنا ﷺ أن طالب العلم عليه أن يظل ماشيا إلى أن يزاحم العالم بركبتيه، وذلك لأن الحبيب ﷺ رأى ثلاثة داخلين على مجلسه، فأخذ أحدهم يتخطى الرقاب حتى وصل إلى مكان خالٍ بجوار رسول الله ﷺ فجلس، وأما الثاني فنظر في المجلس فوجده غاصاً بالجالسين فاستحى وجلس في مؤخرة المجلس، وأما الثالث فقد نظر إلى الحاضرين وتفرد وجوههم ثم مشى، فقال ﷺ :

{ ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه }^٢

إذن علينا أن نعمل في مجالس العلم كما كان أصحابه ﷺ فقد كانوا يقولون كنا نزاحم العلماء في مجالس العلم بالركب!، من أين تعلموا ذلك ؟ من جبريل، فأخذ يزاحم حتى زاحم الحبيب بركبتيه، ثم وضع يده على فخذيه، وبعض الأخوة الغير منتبهين ظنوا - وهذا لسوء الفهم - أن جبريل وضع يده على ركبتي النبي، لا! ولكن جبريل جلس كما نجلس في التشهد وكانت ركبتيه في ركة النبي، وزيادة في الأدب وضع يده على ركبتي نفسه وهي جلسة الأدب، ولذا فينبغي أن يجلس الجالس مع العلماء بالأدب الذي كان عليه الأمين جبريل مع السيد النبيل ﷺ.. وقال :

{ يا محمد ! أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: " الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ﷺ. وتقيم الصلاة. وتؤتي الزكاة. وتصوم رمضان. وتحج البيت، إن استطعت إليه سبيلا " قال: صدقت. قال فعجبنا له. يسأله ويصدقه }.

^٢ أبو وفاق الليثي، الإمام البخاري في الجامع الصحيح.

وهذا هو مقام الإسلام ... وهو أول مقام في الدين.

وهل الدين إسلام فقط؟ أم هناك ما هو أعلى من الإسلام؟

نعم! هناك مقام الإيمان، وهو أعلى من الإسلام، ولذلك عندما قالت الأعرابُ
آمنًا، قال حضرة الله: قل لهم لا ...

﴿ قُلْ لِمَ تُوْمِنُوْنَ وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ۗ ﴾

وذلك لأن الإيمان أعلى ولم يصلوا إليه بعد، { قال فأخبرني عن الإيمان؟ }،
فالإسلام أعمال الظواهر لهذه الجوارح، والإيمان أعمال القلب، ولذلك فإن أعمال
القلب أعلى { قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر،
وتؤمن بالقدر خيره وشره " قال: صدقت. }.

هل الدين إسلام، ثم إيمان فقط!! أم هناك مقام أعلى؟

نعم! هناك ما هو أعلى؟ ما هو؟ { قال: فأخبرني عن الإحسان؟ }، إذاً
المقام الأعلى في الدين هو مقام الإحسان، وفي رواية { قال ما الإحسان؟ قال: أن
تعبد الله كأنك تراه. فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. }.

وهذا مقام الإحسان وهو المقام الأعلى، ... فالمنتسبون للصالحين...
والذين يمشون مع الصالحين... ويلتزمون مجالس الصالحين • لماذا يفعلون
ذلك؟ .. لأنهم يريدون أن يصلوا إلى المقام الأعلى في الدين وهو مقام الإحسان.
إذن فنحن عندما نقول الصالحين أو نقول الصوفية، فنحن نقول على التمام
.. طلاب مقام الإحسان..

أو الراغبون في مقام الإحسان، أو العاشقون لمقام الإحسان، أو الذين
يريدون أن يكونوا عند الله في درجة الإحسان ... إذن هل درجة الإحسان هذه من
الدين أم لا؟ بل في الدين.

وهل هذا المقام فرض أم نفل؟ إنه فرض! لأن الحديث قال في النهاية :

{ هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمور دينكم }

إذن فكل هذه الأمور من الدين، والإحسان فرضٌ من فروض الدين طالبنا به الرحمن ﷻ، وهو مقام يجمع الإسلام والإيمان، فالإسلام هو عمل الجسم والمظاهر والظواهر، والإيمان عمل القلب كما قلنا، أما الإحسان فهو عمل الظاهر والباطن.

ولو أن رجلا منا تعلم كيفية الصحيحة للركوع والسجود والوقوف والجلوس للتشهد في الصلاة، وجوّد القرآن على يد عالم قارئ، وأتقن التلاوة، لكنه أدى هذه الحركات ونطق بهذه الكلمات وقلبه في بيته! أو في عمله! أو في السوق!

هل تكون هذه الصلاة لها القبول عند حضرة الله؟ لا! مع أنه أتقن الوقوف والركوع والسجود و جوّد التلاوة! لكن القلب غافلٌ عن الله! أو مشغول عن الله! ولذلك عندما يثنى ربنا على المؤمنين في أول سورة المؤمنون فماذا يقول؟

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ نَجَّحُوا وَهُمْ ﴾ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴾ ﴿ وهل الخشوع عمل من أعمال الجسم؟ أم من أعمال القلب؟ من أعمال القلب! إذاً العبرة بعمل القلب: { أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم } ، وإذا كان القلب خاشع، فهل يصح الخشوع والبدن غير خاضع لله!؟ لا!

إذاً! فتمام العمل خضوع البدن والجوارح لله، وتمثلها بحركات الصلاة كما كان يؤديها حبيب الله ومصطفاه، مع خشوع القلب وحضوره بين يدي الله ﷻ، وهذا ما نسمّيه الإحسان!، أى أحسن الركوع والسجود والتلاوة، وكذلك أحسن معهم الطهارة والخشوع والحضور لله ﷻ، وهذا ما يطلبه أهل مقام الإحسان، أو إن شئت قلت الصالحون أو الصوفية، وهم من قال لهم حضرة النبي ﷺ:

{ إن الله كتب الإحسان على كل شيء }^٣

^٣ رواه شداد بن أوس، سنن أبي داود ومسلم.

فأى شئ يعمله الإنسان يجب أن يحسنه، كيف؟ .. إخواننا الغير منتبهين ظنوا أن الإحسان في الأشياء الظاهرة وحسب!

كما قلت: الإحسان في الحركات الظاهرة!، إذاً لا بد معها من حركات القلوب لكي تنال المطلوب ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧ المائدة).

والتقوى عمل من أعمال القلوب، وأى عمل أعمله .. فإن درجات العمل وقبول العمل ومنزلتي في العمل عند الله ﷻ تتوقف على نيتي في العمل.

{ إنما الأعمال }^٤ .. هل هي حركات؟ لا! ولكن { بالنيات }، أين هذه النيات؟ في القلوب، { وإنما لكل امرئ } .. هل ما عمل؟ لا! ولكن { ما نوى } فكلنا نصلى مع بعض .. لكن في نهاية الصلاة، هل نكون كلنا في الأجر سواء؟ كلا، إذاً الاختلاف في الأجر الأساس فيه ... القلب والنية.

وقد رأى حضرة النبي ﷺ إثنان من الناس يصليان فقال مامعناه أن المرء ليصلى بصلاة أخيه وركوعهما واحد وسجودهما واحد وبينهما كما بين السماء والأرض، ودعا للتصدق فجاء رجل بدرهمين وآخر أتى بألف درهم وثالث أتى بدرهم واحد فقال ﷺ مبينا تأثير النوايا في قبول الأعمال ودرجاتها عند الله :

{ سبق درهم مائة ألف درهم فقال رجل وكيف ذاك يا رسول الله فال: رجل له مال كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهماً فأخذ أحدهما فتصدق به }^٥

كيف ذلك؟ ... في الظاهر يبدو أن الأكثر في الأجر هو صاحب الألف درهم! ... لكن صاحب الدرهم فاز بالنية.

فالعامل لكي يقبله الله لا بد فيه من الإخلاص، والإخلاص في القلب، وكذلك لا بد أن يكون في العمل صدق، والصدق في القلب، ولا بد أن يكون في العمل خشية،

^٤ رواه عمر بن الخطاب ﷺ ، البخارى ومسلم وكثير غيرها.
^٥ رواه أبو هريرة ، الترغيب والترهيب.

والخشية في القلب.

من هم العلماء الذين اجتباهم ربنا وأثنى عليهم؟

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ والكل يبلغ!، فهناك من يبلغ على المنبر، وهناك من يبلغ في التلفزيون والإذاعة، لكن من اللذين أثنى عليهم الله؟ زودهم بـ ﴿وَتَخَشَّوْنَهُ﴾ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَتَخَشَّوْنَهُ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ (٣٩ الأحزاب)

إذن الموضوع ليس بالعلم، ولنفرض أن هناك من أعطاه الله الخشية وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب؛ فهو عند الله عالمٌ كبير، وآخر حفظ كل العلوم ولسانه في الفصاحة ينطق بكل اللغات والفهوم!!!!، ومع ذلك ليس عنده خشية لله، مثل هذا قال فيه الله في سورة الصف:

﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾

إذن التمييز بالخشية... والخشية في القلب، ومن أجل أن يصل الإنسان إلى مقام الإحسان؟ لا بد وأن يحسن العمل، ولكي يحسن العمل ويحوز به القبول، لا بد وأن ينظف القلب ويظهره لله، ويجعله أولاً طاهراً من ناحية خلق الله، ليس فيه غلٌّ ولا غشٌّ ولا حقد ولا حسد لأحد من الخلق أجمعين.

كيف ذلك.. أولاً من الكتاب فقد وصف الله المؤمنين فقال (٤٧ الحجر):

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

وثانياً، في السنة المطهرة الكثير، ونختار منها... هذه القصة المعروفة.. ففي جلسة مع حضرة النبي قال لأصحابه:

{ يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة وبعد أن جلس الرجل قليلاً

خرج، فقال صلى الله عليه وسلم قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة، و كان هذا الرجل هو سيدنا عبدالله بن سلام ؓ {٦

وفى رواية أن هذا الأمر تكرر ثلاثة أيام متتالية على نفس المنوال، وفى كل مرة يطلع نفس الرجل وعلى نفس الحالة والآن أعيرونى سمعكم وفهمكم !!

هذا الرجل سيدنا عبدالله بن سلام ، كان يهودياً واسلم ...، ولكن كان هناك فى وسط الحضور من الصحابة يوجد من؟ يوجد سيدنا عبدالله بن عمرو بن العاص، وكانت له قصة مشهورة فى العبادة ... لأنه كان يقوم الليل كله يقرأ القرآن فى صلاته ويصوم الدهر كله، والحديث يروى عنه رضى الله عنهما ويقول:

{ كنت رجلاً مجتهداً، فزوجني أبي، ثم زارني، فقال للمرأة: كيف تجدين بعلك؟ فقالت: نعم الرجل من رجل لا ينام ولا يفطر (تعنى أنه منشغل بالعبادة فلا يأتيها)، قال: فوقع بي أبي (أى نهزنى وعنفتى)، ثم قال: زوجتك امرأة من المسلمين فعضلتها! (أى ظلمتها)، فلم أبال ما قال لي مما أجد من القوة والاجتهاد إلى أن بلغ ذلك رسول الله ﷺ (فاستدعاني ﷺ وسألني عن عبادتي وفعلتي، فأخبرته)، فقال ﷺ: لكني أنام وأصلى، وأصوم وأفطر، فتم وصل وأفطر ، وصم من كل شهر ثلاثة أيام، فقلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك، قال: فصم صوم داود، صم يوماً وأفطر يوماً، قال أنى أقوى من ذلك، قال لا أفضل من هذا، وقرأ القرآن في كل شهر قلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك، قال: اقرأه في خمس عشرة، قلت: يا رسول الله أنا أقوى من ذلك، قال حتى بلغ سبعاً أو ثلاثاً {٧

فهذا الصحابى الذى شكاه أبوه لرسول الله من شدة عبادته !! هذا الرجل عندما

^٦ الرواية هنا مأخوذة بالمعنى عن كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى ، وتوجد روايات عديدة للحديث لم تسم الرجل وقد وردت فى العديد من كتب السنة عن أنس بن مالك ؓ.

^٧ رواه عبدالله بن عمرو بن العاص، المحدث: الألبانى، صحيح ابن خزيمة ، وفيه روايات أخرى .

سمع حضرة النبي يقول عن سيدنا عبد الله ابن سلام أنه رجل من أهل الجنة قام ومشى خلفه حتى بيته، وعندما دخل البيت طرق عليه الباب، فلما فتح الرجل الباب، قال إنى تلاحيت مع أبى (هناك خلاف بينى وبين أبى) وتركت المنزل، وأريد ضيافتك إلى أن ينتهى الأمر، وكانت مدة الضيافة عندهم ثلاثة أيام.

وكان عبد الله ابن عمرو يريد أن يرى ماذا يفعل هذا الرجل لتستوجب له الجنة، فكانا يصليان مع رسول الله العشاء، ويعودان، فيجد أن الرجل ينام، فقال عبد الله فى نفسه قد يكون متعباً هذا اليوم، وقبيل الفجر قال الرجل هيا نصلى مع رسول الله، وفى الصباح أتى له بوجبة الإفطار، فقال عبد الله بن عمرو فى نفسه لعله متعباً هذا اليوم ولن يستطيع الصيام، وفى اليوم الثانى والثالث تكرر نفس الأمر فكان الرجل لا يزيد عن الفرائض !!! .. فقال ابن عمرو :

{ يا أخى سمعت رسول الله يقول فى شأنك عند دخول المسجد - يدخل عليكم الآن رجل من أهل الجنة ويقول فى شأنك وأنت خارج كذلك قام عنكم الآن رجل من أهل الجنة ، وما رأيتك تزيد شيئاً عن الفرائض!، قال يا أخى والله ما أزيد شيئاً عما رأيت، وعندما وجد حيرته نظر إلى الأرض وقال غير أنى أبيت وليس فى قلبى شئ لأحد من المسلمين قال فبذلك } ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩ الشعراء)

وفى رواية أنس بن مالك فى الترغيب والترهيب : { فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوى إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملت كبير عمل، فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني: ما هو إلا ما رأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه، فقال عبد الله : هذه التى بلغت بك } وفى رواية أخرى { وهى التى لا

نطيق أو لا يطيق الناس {

إذن لا بد على الإنسان أن يظهر قلبه من ناحية الخلق، ويظهر قلبه للحق.

كيف؟ بألا يكون في قلبه شئ أعظم ولا أكبر ولا أعلى من حب الله ورسوله!!
لا المال! ولا الزوجة! ولا الوظيفة! ولا العيال! ... ويجب أن يكون كل ذلك في الدرجة الأقل، والدرجة الأعلى التي يكون فيها حب الله ورسوله ﷺ.

وإذا نفذ الإنسان ذلك... ولا يتم له ذلك إلا بمصاحبة أهل ذلك، ولهذا يقول الله لنا في هذا المقام أو في ذلك الشأن في (١١٩ التوبة):

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

أى ابحثوا عن الصادقين ولازموهم!! من هم الصادقون؟ فلنسأل الحبيب الأعظم والمصطفى الأكرم ﷺ قال:

{ خياركم من ذكركم بالله رؤيته، وزاد في عملكم منطقه، و

رغبكم في الآخرة عمله }^٨

أى الذى تذكر الله عندما تراه، زدنا يا رسول الله .. قال فى حديث آخر:

{ خير الأصحاب صاحب إذا ذكرت الله أعانك، وإذا نسيت ذكرك }^٩

وهذا إخوانى القراء والقارئات الكرام هذا سر التآخى والتآلف بين الصالحين وبين المرئيين وهو بلوغ مقام الإحسان، وهذا الأمر الأول الذى أريد أن أبينه لكم أجمعين فى هذا التمهيد الموجز.

والأمر الثانى هو فى بشرىات مقام الإحسان ، فكيف ذلك؟ .. إذا بلغ الإنسان مقام الإحسان!، فإنه يجد علامات وبشرىات حكاها الله فى كتاب الله :

^٨ الراوي عبدالله بن عمرو بن العاص و أبو سعيد الخدري و أبو ، المحدث الألباني

^٩ رواه الحسن البصري، المحدث الألباني

﴿ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ (٦٤ يونس)

من هذه البشريات في قوله تعالى ﴿٦٤﴾ فصلت) :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ ما لهم يارب؟ قال :

﴿ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ هل تنزل عليهم الملائكة أم تنزل؟ تنزل

باستمرار وعندما تنزل الملائكة لا يرونهم وحسب وانما هناك حوار بينهم ..

﴿ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

ونحن تحت إمرتكم: نحن أوليائكم في أى مكان أولاً هنا أم هناك؟ هنا في

الدنيا أولاً ثم في الآخرة وكان على ذلك أصحاب رسول الله ... والأمثلة في هذا الباب

يطول سردها .. فعلى سبيل المثال:

سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنه مرض بالبواسير، وقالوا له لا بد من الكى بالنار

وأصر أخوه على ذلك، قال ياخى أنى كنت حاضرا بين يدي رسول الله فقال لنا :

{ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب، قالوا: ومن هم يا رسول

الله؟ قال: هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون }^{١٠}

وأنا أريد أن أكون من هؤلاء ولا أكتوى بالنار، فقال أخوه أن الأطباء يقولون لا

سبيل إلا ذلك، والحديث الآخر يقول :

{ الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار }^{١١}

فلما اكتوى زاد ما به من مرض، فقال أخوه لقد حيرتني!، قال أتدري ما الذى

زاد من مرضي؟ قال لا قال كانت الملائكة تأتي لزيارتي وتسلم على فلما اكتويت

امتنعت الملائكة عن زيارتي فذلك الذى زادنى مرضا.^{١٢}

^{١٠} عن عمران بن حصين ، صحيح مسلم .

^{١١} رواه عبد الله بن عباس ، البخارى الجامع الصحيح .

^{١٢} { سمعت النبي ﷺ ينهى عن الكي، قال: فما زال البلاء بي حتى اكتويت، فما أفلحت ولا أنجحت، قال عمران: وكان

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وكذلك تعلمون أن الصحابة في بدر قد رأوا الملائكة وكانت الملائكة تشجعهم على القتال، قال تعالى في آية ١٤ سورة التوبة:

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾

كم واحد من أصحاب رسول الله كان معه شهادة اليسانس أو البكالوريوس أو الدكتوراه أو حتى الثانوية أو الإعدادية أو الابتدائية؟ لا أحد... إذاً كيف ملأوا الأرض علماً؟ ومن أين أتوا بكل هذه العلوم؟

﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف)

هناك فصل للمتفوقين... المخصوصين... المجتبيين عند رب العالمين، ومن الذى يعلمهم؟.. هو حضرة العليم بذاته، ورسوم من يدخل هذا الفصل:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ (٢٨٢ البقرة)

من الذى يعلم هنا؟ الله! فعندما أجد رجل آتاه الله علماً لم أقرأه فى كتاب ولم أسمعه من عالم يطابق شرع الله ولا يخرج عن سنة حبيب الله ومصطفاه وأجد أن هذا الرجل قد أكرمه الله بشئ من الفراسة النورانية وأصبح داخلاً فى قول خير البرية:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِئُورِ اللَّهِ } ١٣ وفى رواية زيادة:

{ وَيَنْطِقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ }

فأعلم أن هذا الرجل أصبح له قدرا عند الله فى مقام الإحسان فماذا أفعل؟ أصبحه لى أتعلم كيف أصل إلى ما وصل إليه، وصحبة الصالحين من أجل هذا الأمر لأن الله ﷻ عندما تكلم عن العمل وأنه لا يضيعه قال عز شأنه :

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف)

١٣ يسلم علي، فلما أكتويت، فقدت ذلك ثم راجعه بعد ذلك السلام { عن عمران بن حصين، ابن عبد البر فى الاستذكار. رواه الطبرانى عن أبى أمامة ﷺ.

واحسان العمل - مع القيام به على الوجه الشرعى الظاهر - لا يكون إلا:

- بإحسان النية.
- وبوجود الإخلاص فيه.
- وبوجود الصدق لله ﷻ فيه.
- ومراقبة الله ﷻ في أوله وأثنائه وبعده.
- وأن يجعل هذا العمل بغية رضاء الله جل في علاه.

وهذا ما جعل الناس تصحب الصالحين... من أجل أن تتعلم منهم إحسان العمل، لأن الله جلّ في علاه قال في المحسنين:

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل)

معهم بنصحهم، معهم بلطفهم، معهم بإكرامهم، معهم بتأييدهم، معهم بإجابة الدعاء وتحقيق الرجاء، معهم بالفرج القريب، معهم بتحقيق المأمول، معهم فى كل شأن وفى كل حال، معهم فى الدنيا، معهم فى البرزخ، ومعهم فى الآخرة، ومعهم فى الجنة، لأنهم فى معية الله التى لا تغيب ولا تنقطع عن قريب أو حبيب طرفة عين أو أقل .. وهذه هى معية المحسنين الذين نريد أن نكون منهم، وهذا كما قلنا سر صحبة الصالحين أو المتقين لإى كل وقت وحين ...

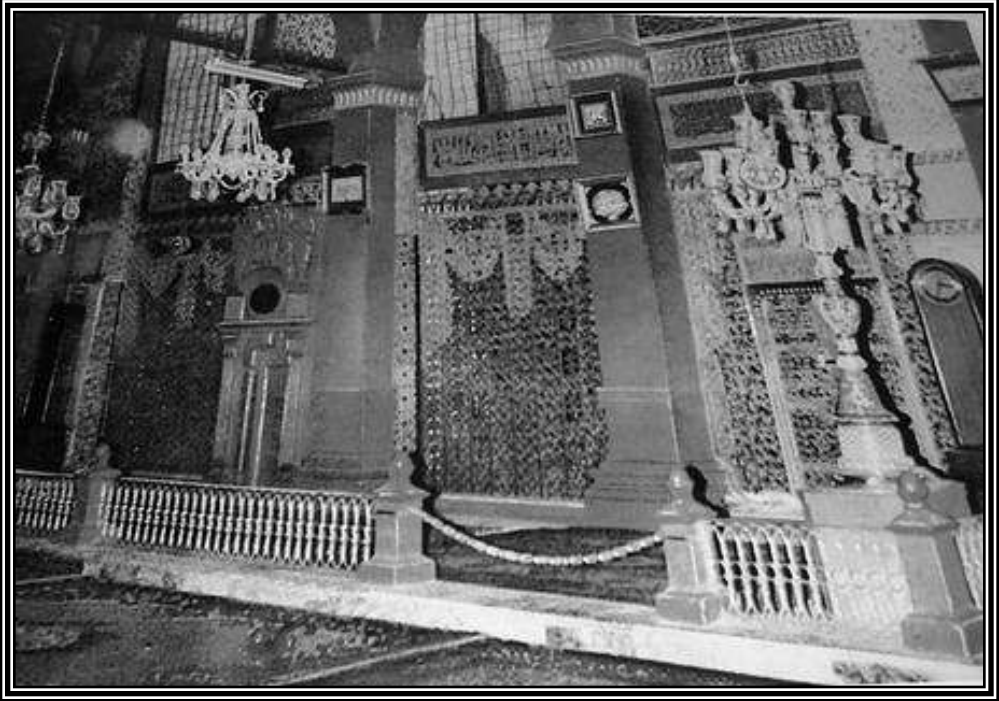
وإن شئت قلت هذا سر صحبة الصوفية أو أهل الإحسان .. فهذه التسميات ليست هى المربط، فإذا أسماها الناس بعد ذلك صوفية أو تصوف، فلا بأس .. لأن أساسهم فى دين الله، ونحن نصحبهم لتعلم منهم إحسان العمل الذى ظهرت عليهم بشرياته، ونتعلم منهم كيفية العمل الذى يبلغ الأمل لتكون لنا درجات فى منازل الإحسان، ونكون مع النبى العدنان فى منازل الرضوان.

ونكتفى بهذا التمهيد القليل، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

البَابُ الْأَوَّلُ

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ﴾

- حقيقة الصوفية
- أول صوفي متحقق
- تأهيل الأصفياء للعطاء
- جامعة أهل الصفة
- الزهد
- أصول التصوف
- من أحوال الصادقين
- جهاد العارفين للهوى
- وراثه النبوة
- إشراقات علم الآيات
- التكنولوجيا الربانية
- حقيقة التكنولوجيا المادية
- رجال الله
- تكنولوجيا الإلهام
- ظهور المدارس الصوفية.



أساس موقع عريش أهل الصُّفَّة خلف الحجرة النبوية المشرفة
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليمات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على واسع نعماه، والصلاة والسلام على حبيب القلوب وعلى آله الذين استناروا بهداه، وأصحابه الذين تأسوا به في كل أنفاسهم في هذه الحياة، وكل من عشق كمالاته، ومال بكله إلى شمائله وصفاته، وعلينا معهم أجمعين، واجعلنا يا ربنا من العاشقين لجمال الروح والجسم والقلب... لسيد الأولين والآخرين.

إخواني وأحابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين، كثر في هذا الوقت الحديث عن التصوف والصوفية، وظهر في الأفق كثير من المعترضين والذين ينظرون إلى مُدْعَى التصوف - الذين انشغلوا بالظواهر والمظاهر؛ ولم ينشغلوا بنور الله ﷻ الواضح والباهر - وظنوا أن هؤلاء هم الصوفية!! واعترض كثيرون أيضا على الصوفية؛ بحجة أنه لا يوجد لهم أصل في الشريعة الإسلامية والملة الحنيفة.

ونريد أن نجلى هذا الأمر، بوضوح، وبيان من القرآن وسنة النبي العدنان، ومن الحياة العملية التي ربى عليها النبي المصطفى أصحابه في مكة والمدينة... في بدء دعوته وفي أول رسالته.

حَمِيَّةُ الصُّوفِيَّةِ

والصوفية يا إخواني تعنى باختصار شديد؛ العمل بما علمه الإنسان من دين الرحمن ﷻ: .. أي الترجمة السلوكية والحياة العملية للآيات القرآنية، والتوجيهات النبوية.

¹ كانت هذه الأسمية الربانية بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة مساء الخميس ٢٩ من المحرم ١٤٢٦هـ الموافق ١٠ من مارس ٢٠٠٥ م.

فآيات القرآن تدعو أهل القرآن إلى مقامات عليية، وإلى أحوال مرضية رَغِبَتْ فيها الآيات القرآنية، والصوفية عاشوا هذه الحياة بأجسادهم، ونفوسهم، وقلوبهم، وأرواحهم؛ حتى يجدوا لذة الوصال، ويبلغوا مقامات الكمال، التي وضحها الله ﷻ في قرآنه للرجال، فليست الصوفية: سفسطة، ولا فلسفة، ولا نظريات، ولا أقوال، وإنما هي:

﴿ سلوك، وأفعال، وأحوال. ﴾

﴿ بعده ينظر الله ﷻ إلى العبد؛ فيمنحه من عنده من معين فضله، أو من نور وصله، أو من ينابيع حكمه: ألوانا من الإتحافات الإلهية، والعطاءات الربانية؛ لا يستطيع أحد من الأولين والآخرين حصرها، وكلها من فضل الله. قال تبارك وتعالى في محكم الذكر [سورة النحل]:

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

أول صوفي متحقق

وأساس الصوفية هو ما فعله سيدنا رسول الله ﷺ بذاته، عندما كان يخرج كل عام في شهر رمضان ليختلي بغار حراء، وتجهز له زوجته الصفية التقية النقية السيدة خديجة رضی الله عنها: زاداً يكفيه الشهر.

وكان يختلي في هذا الغار مع الله، تارة يتفكر، وتارة يتدبر، وتارة يذكر الله، وتارة يتعبّد على الملة الحنيفية - ملة إبراهيم عليه السلام - حتى قال أهل مكة في شخصه ﷺ - قبل نزول الرسالة - لقد عشق محمدٌ ربه، وذلك من شدة شغله بالله ولذلك أكرمه الله ﷻ بعد ذلك بالصفاء والنقاء، فقال ﷺ عن هذه الفترة:

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أنه كانت الأحجار والأشجار والجبال تناديني باسمي وتقول يا محمد يا محمد، وورد في ذلك الكثير من الأحاديث والروايات منها قوله ﷺ:

{ إن بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن }^٢

وهذا كان قبل نزول الوحي.

فكل من صفت روحانيته، واستنارت بشريته؛ كان ما فيه من الحقائق الراقية تخاطب وتسمع خطاب الحقائق، قال تعالى في [٤٤ الإسراء]:

﴿وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾

فمن صفا يسمع، ويفقه هذا التسبيح، ويسمع هذا الكلام، وإن كان بغير لسان ولا صوت ولا لهأة ولا شفيتين، لكن الله ﷻ إذا أراد فهو فعال لما يريد وهذا هو أساس التصوف.

وبعد نزول الوحي على حضرته^٤ استمر على حالته فكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه؛ شكرا لله على عطاياه. وكان يصوم حتى يقولوا لا يفطر، وهو صيام الوصال. وكان كما قالت السيدة عائشة رضی الله عنها: يذكر الله على كل حال حتى وصل إلى حال قال فيه :

{ تنام عيني وقلبي لا ينام }^٣

فكان لا يغفل عن ذكر مولاه، حتى وهو في حالة المنام، لماذا؟ .. لأنه استلذ طاعة الله ﷻ، ولم يضيع نفسا في غير ذكر مولاه ...، وكان وقته كله وحاله كله مع مولاه:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ﴾ [الأنعام].

^٢ حدث به ابن عدى، عن جابر بن سمرة

^٣ عن عائشة ﷻ في الجامع الصحيح للبخارى، وعن أبي هريرة في الصحيح المسند للوادعي، وفي مسند أحمد.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فكان قوله عبادة، وفعله عبادة، وأكله عبادة، وشربه عبادة، ونومه عبادة، حتى إتيانه لشهوته كان عبادة، وكل أفعاله حتى مزاحه كان عبادة:

{ إني لأمزح ولا أقول إلا حقا }^٤.

فترجم حياته كلها إلى عبادة لله ﷻ، ولما قال الله ﷻ له، قل :

﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام]

استبق أحبائه وأصحابه في اتخاذ هذا النهج في حياتهم.

فأسس النبي ﷺ أول مدرسة في التصوف السلوكي والعملي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكانت قريبة من الصفا الآن، وكان يجتمع فيها مع أحبائه الثلاثة المباركة ... وكانوا لا يتجاوزون الأربعين:

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الواقعة]

وبدأ معهم ﷺ في هذه المدرسة الحياة الصوفية الرفيعة

ومعنى الصوفية أي نشر الصفاء... لا نريد أن ندخل في هذا الاسم من أين جاء؟ ولا أقوال الفلاسفة والحكماء؟ لكن ندخل مباشرة على الصفاء: لأنه أساس الصوفية، فالصوفية كل همهم الصفاء، وبعد الصفاء يواجههم الله ﷻ بخالص المنح والعطاء.

متى يصلح الإنسان للعطاء؟ إذا وصل وأشرف بنفسه وقلبه على مقام الصفاء؛ يأتيه الهناء من الله ﷻ بالمنح والعطايا الإلهية؛ التي لا نستطيع أن نعدّها حتى عدّاً؛ لأنها من الله ﷻ.

فمكث مع أصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم؛ يؤهلهم لهذه المنح،

^٤ رواه الطبراني عن ابن عمر والخطيب عن أنس.

ويجهزهم لهذه العطاءات؛ لأن عطاءات الله ﷻ الخاصة بعباده المؤمنين، تهبط على القلوب، وتنزل على الأرواح... أما العطاءات والمنح والخيرات التي تتمتع بها الأجسام، والنفوس، والأشباح؛ فإن أمرها مباح للكافر والنافر، فالكل يتمتع بالخيرات الحسية، والمباهج الدنيوية، والمظاهر الظاهرة الأرضية، وربما يكون للكافر حظاً أوفر من المؤمن فيها؛ لأن الله ﷻ يربى عبده المؤمن، ويقول في ذلك سيد الأولين وإمام الموحدين ﷺ:

{ إن الله ﷻ يحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم مريضه من الشراب والطعام }^٥.

فالمريض إذا كان هناك طعام أو شراب يزيد الداء عنده، فإننا جميعاً نتلطف معه حتى لا يتناوله أملاً في الشفاء. والله ﷻ علم بعلمه المكنون أن الدنيا هي الداء الذي يصيب النفوس، فيحجبها عن مقامات الصالحين والأولياء؛ فيحمي المؤمنين من الدنيا لأنه يريد أن يكرمهم وأن يعطيهم وأن يمنحهم.

تَأْهِيلُ الْأَصْفِيَاءِ لِلطَّيَارِ

فأخذ النبي ﷺ معهم دورة تجهيزية للعطاءات الإلهية، وكانت هذه الدورة تشتمل على: ... تنقية النفوس، ... وطهارة القلوب.

تنقية النفوس من الرذائل، والصفات التي تحرم الإنسان من الأنوار وتمنعه من فضل المنعم العزيز الغفار: كالحقد، والحسد، والبغض، والكره، والطمع، والأثرة، والأنانية، والشح، وغيرها من الصفات التي بينها الآيات

^٥ مسند احمد بن حنبل عن محمود بن لبيد.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

القرآنية، ووضحتها الحضرة النبوية، وركز عليها في دورته التأهيلية... خير البرية ﷺ..... وعنوان هذه الدورة من قوله تعالى في [الحجر]:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾

ثم بعد ذلك القسم الثاني في الدورة:

دورة التأهيل التي قام بها البدر المشرق المنير ﷺ. تأهيل القلوب. وذلك بتنقيتها من أمراض القلوب، وأعظمها وأخطرها مرض الكبر!؛ لأنه يمنع الإنسان من أي فضل ينزل من حضرة الرحمن ﷻ:

{ { مكتوب على باب الجنة:

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر } { ٦

وغيرها من الأمراض التي أشارت إليها الآية التي وردت في شأنها :

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ ﴾ [٦٠ الأحزاب]

وهي الموسومة بصفات النفاق، فلا بد للإنسان أن يتطهَّر من أوصاف النفاق، وأحوال المنافقين؛ ليكون من عباد الله الصالحين... [التوبة].

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

أي لتكونوا صديقين. وهذه الدورة اسمها: دورة تزكية النفوس، أي: طهارة النفوس، وتصفية القلوب.

من الذي حضرها؟ :

أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله،

^٦ رواه عبدالله بن مسعود، ابن خزيمة في التوحيد ومسلم في مسند الصحيح.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

ومصعب بن عمير، وحمزة بن عبد المطلب، وغيرهم من الوجوه النيرة، التي حملت على أكتافها لواء تبليغ دعوة الله ﷻ؛ رغبة في رضاه، لا يرجون من وراء جدهم وجهادهم مناصباً، ولا مكاسباً فانية، وإنما يرجون مناصباً راقية ومكاسباً باقية عند حضرة الباقي ﷻ [الآية (٢٨) سورة الكهف]:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

لا يريدون إلا وجه الله جلّ في علاه، حتى أنهم وصلوا إلى درجة لم يعد لغير الله في قلوبهم نصيب ولو كانوا الآباء، والأمهات، والأخوات؛ لأنهم لا يعرفون إلا الله، ولا يحيدون عن منهج الله طرفة عين ولا أقل.

انظر إلى الإمام عمر بن الخطاب بعد موقعة بدر:

قال للحبيب ﷺ: يا رسول الله، أعطني فلانا - قريبا له- وأعطِ أبا بكر فلانا - قريبا له-، وذكر أصحاب رسول الله ﷺ من عليّة المهاجرين وأقربائهم، وقال: أعطهم لنا، لنقتلهم بأيدينا، حتى يعلم الله ﷻ أن قلوبنا ليس فيها هواده لسواه.

ولن تقوم قائمة يا إخواني للإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان؛ إلا إذا وُجِدَ رجالٌ من هذا الطراز؛ لا يحابي الرجل منهم أحدا - حتى ولو كان ابنه أو ابنته - لأنه يرجوا رضا الواحد الأحد. لا يجامل الناس بكلام، ولا يرأيي الخلق، وإنما إذا قال فعل.

هؤلاء هم الرجال الذين قيل فيهم القائل :

"إن لله رجالا إذا قالوا فعلا"

وقد دربهم ﷺ على ذلك، وأهلهم لذلك. حتى كان الرجل منهم لا ينطق بكلمة واحدة إلا إذا قدرها، ودبرها، ودورها في آفاق فكره، وعرضها على نور

﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾ ﴿٣١﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

قلبه، ثم عرضها على شرع ربه .: فإذا وافقت كل ذلك أخرجها!، وإلا كتمها ولم يخرجها !.

ومن ضمن جلسات هذا البرنامج المبارك:

جلسات غريبة وعجيبة في نظر كثير منا؛ فمجالس ذكر الله، ومجالس العلم، ومجالس قراءة القرآن مجالس متعارف عليها... ولكن ما يستدعي العجب :..... مجالس الصمت:وهي التي قال فيها سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه :

{ كنا نتعلم الصمت كما تتعلمون الكلام }.

أي كان هناك حلقة يتعلمون فيها الصمت؛ حتى لا ينطق أحدهم إلا بما يستطيع فعله، وهذا هو حال المؤمن.

فالنذر فرض ومن الذي فرضه على الإنسان؟ الإنسان نفسه.. وإذا نذر، ولم يفِ :... حاسبه على ذلك الله،... لماذا؟ ليتعود على أنه إذا قال فعل، وإذا وعد فلا بد أن يفِ، هل هناك أحد يرغم الإنسان على النذر؟ كلا!.. لكن عندما ينذر لا بد أن يفِ بنذره.

وكذلك الزواج كلمة!، والطلاق كلمة!. فالكلمة لها وزنها عند رجال الله، ودرّبهم على ذلك سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كانت شهادة التخرج التي حصلوا عليها :

{ علماء حكماء فقهاء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء }^٢

من الذي أعطاهم هذه الشهادة؟ صاحب الحسنى والزيادة ﷺ، قال تعالى فى الآية ٢٤ سورة الحج :

^٢ ابونعيم فى الحلية والبيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث سويد بن الحارث

﴿ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴾

وتفصيل ذكر أحوال هؤلاء الرجال يطول بنا لكن حسبنا أن نبين أن أول مدرسة في الصفاء والنقاء والتصوف كانت دار الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة وكان عنوانها:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى]

لقد وصلوا إلى حالة من المعرفة. حتى أن الرجل منهم ﷺ ، وعلى سبيل المثال:

- سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ:

اتخذ له حجرة في بيته يقرأ فيها القرآن، فكان العبيد والنساء والصبيان والرجال يحيطون بمنزله ليستمعون إلى تلاوته للقرآن، ولا يستطيع أحد من ذويهم أن يأخذهم بالقوة، لأنهم مأخوذون بتلاوة أبي بكر في القرآن.... حتى حدثت ثورة في مكة !!، وذهب أكابرها إليه يطالبونه بالخروج منها!، أو يقرأ القرآن سرا، ولا يرفع به صوتهز

- وكذلك مصعب بن عمير ﷺ :

عندما دخل المدينة! بم فتح قلوب أهلها؟ بتلاوة القرآن.... لقد كان عندما يقرأ القرآن يعتصر قلبه؛ فيشد النفوس، ويجذب القلوب إلى هذا الكلام.... حتى كان يُسَمَّى في المدينة: المقرئ، لأنه يقرأ القرآن .. وأى قراءة...!!.

فكانت وسيلة دعوته هو وإخوانه هي قراءة القرآن، لكنها من قلوب انفعلت بالقرآن!، وعظمت القرآن!، فأثرت فيمن يستمع إلى تلاوتها، لأنهم تربوا على هدى النبي العدنان ﷺ.

جامعة أهل الصفة

وبعد انتقال النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، زاد هذا الخير.
فتأسست جامعة الصفة:

وكان مسجد حضرة النبي ﷺ، ليس به سقف، بل كان جدار يحيط به من الخارج، وكانوا يصلون على الأرض.. لأنه لم يكن به فرش، وأجسادهم معرضة للسماء، والأسقف عارية، فهم الذين وظفهم الله في اقتباس الهدى من حبيبه ومصطفاه ﷺ، ليقوموا بعد ذلك بنشره في ربوع الأرض بين عباد الله.

جعلهم الله ﷻ تتفرغ قلوبهم من الدنيا، والشواغل الكونية، وذهبوا إلى الحبيب ﷺ لا همَّ لهم إلا الإقبال على حضرته.

لم يكن لأغلبهم زوجات، ولا أولاد، ولا مساكن في هذا الوقت، فكانوا يجالسونه آناء الليل! وأطراف النهار!... فإذا أرادوا أن يناموا أمرهم الحبيب ﷺ أن يناموا في المسجد: فصنع لهم الأنصار " صفة " يعنى عريشا، على جزء من المسجد ينامون تحته، ليقبهم هذا العريش من حرارة الشمس في الصيف، ومن المطر الخفيف في الشتاء، أما المطر الغزير فكان لا يقبهم منه بل كان ينزل عليهم.

هؤلاء القوم كان منهم بلال بن رباح، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وصهيب الرومي، وأنس بن مالك، وغيرهم كثيرون، فكانوا حوالى تسعين رجلا، تفرغوا تفرغا كاملا لله ورسوله.

وإياك أن تظن أنهم تفرغوا لقلّة الشيء، أو الفقر !!!

ولكنها إرادة الله: فقد فرّغهم الله، وكأنه أخذهم في بعثة رسمية إلهية - بإقامة كاملة - لنقل علوم خير البرية، وهي الموجودة الآن في أنحاء العالم كله

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

... والرسول ﷺ حضهم على ذلك، وحثهم على ذلك، وقال لهم في ذلك.. فيما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

{ وقف رسول الله ﷺ على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم، وطيب قلوبهم، فقال: ابشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقى من أمتي على النعت الذي أنتم عليه، راضيا بما فيه فإنه من رفاقي في الجنة }^٨
وهذا الذي جعل التابعين، وتابعي التابعين والصالحين، يتأسون بأعمال هؤلاء القوم !!... لأنهم يريدون مرافقة سيدنا رسول الله ﷺ.

الزهد

وكان أول ما بدأت به الجامعة المحمدية:

الزهد في المتع، والشهوات، والحظوظ، والملذات، والأموال، والدنيا، رغبة في رضاء الله جلّ في علاه، فالذي وضع المنهج؛ عميد الجامعة ﷺ، فقد ورد أن رسول الله ﷺ جاء إلى أهل الصفة فقال :

{ كيف أصبحتم؟...، قالوا : بخير ، فقال رسول الله: أنتم اليوم بخير أم يوم يغدى على أحدكم بجفنة ويراح بأخرى ويغدو في حلة ويروح في أخرى وتسترون بيوتكم كما تستر الكعبة...!!، فقالوا يا رسول الله.. نصيب ذلك ونحن على ديننا؟ قال : نعم.. قالوا: فنحن يومئذ خير، نتصدق ونعتق، فقال رسول الله ﷺ: لا، بل أنتم اليوم خير }^٩ وفي رواية أخرى: { إنكم إذا أصبتموها؛ تحاسدتم، وتقاطعتم، وتباغضتم }

^٨ الكافي الشاف عن ابن عباس رضي الله عنه
^٩ أخرجه الزيلعي عن الحسن في تخريج الكشاف

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

فقد صدق ﷺ، لأن البغضاء والحسد، سببه الشهوات، والحظوظ،
والدنيا الدنيّة التي شغل بها الناس بالكلية.

فبدءوا حياتهم الإيمانية؛ وكان أساس اجتماعهم ودخولهم إلى هذه
الجامعة النبوية: الزهد، والزهد ليس معناه ألا يكون في يد الإنسان شيء، لكن
حقيقة الزهد ألا يسكن قلب الإنسان لشيء.

فقد يكون الإنسان ليس في يده شيء من الدنيا، لكن قلبه يتطلع إليها!
، وهذا ليس بزاهد!. لأنها لو وجدت له لتغير حاله. لكن الزاهد الحقيقي؛ هو
الذي أعطاه الله الدنيا في يده، ولم يجعل لها تأثيرا على قلبه، فيصرفها في
مرضاة ربه ﷻ. كما وجدنا من أصحاب رسول الله ﷺ:

{ ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ .. فقال: أبقيت لهم الله ورسوله }^{١٠}

فلم ينكر عليه، ولم يعترض عليه، ولكن أقرّه على ذلك. لأن حاله
يستوجب ذلك، لكن غيره قال:

{ أنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة، أفأصدق بثلثي مالي؟ قال: لا، قلت:

بالشطر؟ فقال: لا. ثم قال: الثلث والثلث كبير، أو كثير، إنك أن تذر

ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس }^{١١}

ويتبين لنا من ذلك تفاوت القدرات، واختلاف الوجهات، وتباين
المقامات والدرجات.....

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة الصافات].

ماذا كان جدول أهل الصفة؟

^{١٠} عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أخرجه ابن حزم فى المحلى.

^{١١} عن سعد ابن أبى وقتص رضى الله عنه، أخرجه البخارى فى الجامع الصحيح

﴿ ٣٦ ﴾ ﴿الباب الأول: الصوفية فى الإسلام﴾

- كان حلقات لتلاوة القرآن الكريم.
- وحلقات لذكر الله ﷻ.
- وحلقات لمدارسة العلم والفقه.
- وتدريبات على أعمال الجهاد.
- وكان من أجل أعمالهم التفرغ لمتابعة رسول الله ﷺ وتلقى العلوم عنه، وتبادلها معا وتوصيلها لباقي المسلمين كما سيأتي التفصيل لاحقا، وكانت هذه المهمة أحد أعظم أعمالهم تأثيرا في المجتمع.
- لأنهم كانوا على الحقيقة جنوداً لله جلَّ وعلا وخدمته لحضرة النبي ﷺ، وضيوفه الكرام.

فهذه أبرز أعمالهم، وكان النبي يتفقدهم، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في الحديث :

{ كنت في عصابة (جماعة) فيها ضعفاء المهاجرين، وإن بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا ونحن نستمع كتاب الله ﷻ، فجاء النبي ﷺ حتى قام علينا فلما رآه القارئ سكت، قال فسلم ثم قال: ما كنتم تصنعون؟ قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا وكنا نستمع إلى قراءته فقال النبي ﷺ الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا، ثم قال بيده هكذا فحلق القوم) صنعوا حلقة) وبرزت وجوههم، قال فما رأيت رسول الله ﷺ عرف منهم أحدا غيري }^{١٢}

^{١٢} المزى في تهذيب الكمال ، وابن حجر العسقلاني في هداية الرواية.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

{ أن أصبر نفسي معهم }، يشير ﷺ إلى قوله ﷻ في سورة الكهف: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٨﴾

ثم قال: { أبشروا يا معشر صعاليك (فقراء) المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذاك خمسمائة سنة }

ومرة أخرى يحكى ثابت البناني عن سلمان الفارسي ﷺ، فيقول:

{ كان سلمان في عصابة (جماعة) يذكرون الله ﷻ، فمر النبي ﷺ فكفوا، فقال: ما كنتم تقولون؟ قلنا نذكر الله يا رسول الله، قال قولوا، فإني رأيت الرحمة تنزل عليكم، فأحبيت أن أشارككم فيها، ثم قال ﷺ: الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر معهم }

وأحيانا كانوا ينقسمون إلى طائفتين؛ إحداهما تذكّر الله تعالى، والثانية تُعَلِّمُ وتُتَعَلَّمُ، وعلماءهم منهم؛ فإن سيدنا رسول الله ﷺ جهز منهم علماء يعلمونهم: فكان سيدنا عبد الله بن رواحة يقول لهم: تعالوا بنا نؤمن بالله ساعة، ويعطيهم دروساً في الإيمان، ومرّ رسول الله ﷺ ذات مرة بسيدنا عبد الله بن رواحة ﷺ وهو يذكر أصحابه فقال لهم ﷺ:

{ أما إنكم المأ الذين أمرني الله أن أصبر نفسي معكم، ثم تلا الآية }^{١٣}

وعين حضرة النبي أساتذة لهذه المدرسة في كافة التخصصات؛ فقال:

{ أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأشدّهم حياءً عثمان، وأفتاهم عليّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أقلت

^{١٣} عن عبد الله بن عباس ﷺ، المنذرى في الترغيب والترهيب.

الغرباء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر، وأقرأهم أبي بن كعب، وأفرضهم - أي أعلمهم بأحكام الميراث- زيد بن ثابت {^{١٤}

فعين لكل مادة أستاذًا، وصدر قرار التعيين من سيد الأولين والآخرين ﷺ ليقوموا بالتدريس بجامعة المصطفى ﷺ، وكل رجل منهم كان يلتف حوله طلابه ... وكان ﷺ يتفقد الجامعة .. فخرج ذات مرة إليهم :

{ فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله ﷻ ويرغبون إليه، والثاني يعلمون الناس، فقال: أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيعلمون الناس، وإنما بعثت معلمًا ثم عدل إليهم، وجلس معهم } ^{١٥}

أصول التصوف

فكان ﷺ هو الذي وضع هذه الأسس.

ومن هنا امتد هذا النسق، وهذا النهج، إلى يومنا هذا... على يد العلماء العاملين، والحكماء الربانيين في كل وقت وحين.

ولذلك كان بداية التصوف:

- أن الرجل الصالح كان يبنى زاوية.
- ومن ثم يجمع فيها خلاصة أصحابه.
- ويصنع معهم ما كان الحبيب يصنع مع أهل الصفة.

^{١٤} رواه البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك.
^{١٥} عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، العراقي في تخريج الإحياء.

- ويتكرر نفس المشهد، فمنهم من يذكر الله، ومنهم من يتفكر، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يعلم، ومنهم من يتعلم، ومنهم من يصوم النهار، ومنهم من يقوم الليل.

- ويتعهد الرجل الصالح هذا أبنائه وأتباعه فيعطى لكل رجل منهم ما يلائم قواه، وما تميل إليه نفسه من العمل الصالح الذي يقربه إلى الله، وذلك لأن النفوس مختلفات، وكل نفس تميل إلى عمل يقربها إلى الله، فيعطيه لكل منهم ما تميل إليه نفسه وما يصلح به حاله ليتقرب به إلى ربه ﷻ؛ فيفيض الله ﷻ عليهم المنح والعطاءات التي أفاضها من قبل على أحباب الحبيب المصطفى من أهل الصُّفَّة رضوان الله ﷻ عليهم أجمعين.

وهذا هو الأساس الذي سار عليه الصوفية الصادقون، والأولياء، والمتقون، والحكماء الربانيون، متبعين أحوال أهل الصُّفَّة في أحبابهم وفي مريديهم ولذلك كما قلنا وبيننا تجد لديهم حلقات الذكر، وحلقات العلم، وحلقات الفكر، وحلقات قراءة القرآن.

وكذلك تجد بينهم: التحابب، والتوادد، والتآلف لأنهم يشترطون فيمن يدخل بينهم، ويشاركهم أمرهم، ألا يكون في قلبه: ضغينة أو حقد أو حسد، وألا يكون في نفسه أدنى ميل إلى الدنيا؛ لأنهم يجتمعون على الله، ويريدون وجه الله جلَّ في علاه. ومن أجل ذلك يكرمهم الله ﷻ بالمنح والعطاءات الإلهية المذكورة في قول الله [٣٢ فاطر]:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ^ط ﴾

وهل التصوف هذا، يحتاجه الإنسان في هذا العصر؟ نعم!

يحتاجه الإنسان في هذا العصر، وفي كل عصر: لسلامة قلبه، ولصحة

بدنه، ولصفاء وقته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مِنْ أَحْوَالِ الصَّادِقِينَ

ذهب أحد المريدين إلى الشيخ أبو السعود، وقال له: أريد أن أتلمذ على يدك، فقال له: شيخك الشيخ عثمان المغربي، وهو في بلاد المغرب، ولما يأت بعد. فامكث هنا معنا إلى أن يأتي شيخك!، أي اجلس مستمعا فقط، لأنهم اخوة.....:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [١٠ الحجرات]

وبعد خمسة عشر عاما، وذات يوم، سأل الشيخ عن هذا المريد، وقال له: شيخك سيصل عصر اليوم إلى منيل الروضة قادما من بلاد المغرب عن طريق الإسكندرية، فاذهب للقاءه، فتوجه المريد إلى الميناء بالمنيل، فوجد السفينة الآتية من الإسكندرية قد وصلت. فانتظر حتى نزل الركاب، فتعرف على شيخه، وذهب ليسلم عليه، ففوجئ به يقول له: جزى الله آخي أبو السعود عنى خيرا، إذ حفظك لي طوال تلك المدة.

هؤلاء هم الأبطال حقا !!

أما ما يحدث من بعض المعاصرين عندما يتركه أحد المريدين، فتجده يقول لمن حوله: سيحدث له كذا من السوء، وسيصاب بكذا وكذا، فهذا ليس من دين الله ﷻ في شيء. فليس بشيخ من يحقن على مريد إذا تحول عنه إلى غيره من الأشياخ، أو ترك مجلسه وذهب إلى مجلس غيره من الصالحين، لأن صاحب قدم الصدق من الرجال يعلم علم اليقين أن الإخوان الصادقين رزق من الله ﷻ يسوقه إليه: "وما كان لك فسوف يأتيك"، وما ليس لك فلن تستطيع جلبه حتى لو أنفقت كل ما تملك:

﴿ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأَنْفَالِ ٦٣]

فالذات العلية هي التي تتولى ربط قلوب المريدين بقلوب المشايخ والعارفين، وأي تبديل أو تغيير لا يتم ولا يكون إلا بإرادة العلي القدير، وسجلات المريدين ومن ينتمون إليهم من الأساتذة، والعارفين ثابتة من قبل القبل، ولذلك فإن سيدنا سهل التستري رحمته الله كان يقول: إني لأعلم أولادي وأربيهم وهم في أصلاب آباءهم منذ يوم أُلست بربكم.

أي أن الكشف المسجل فيه أحبابه، أخذه من هناك..! فالذي لم يكتب بالكشف يترك المكان، ولو جلس مرة لأنه ضيف وقتي والصالحون يعلمون ذلك ويعلمونه لله وعجل؛ وليس هناك مشكلة في ذلك.

وهذه أحوال الصالحين في كل زمان ومكان، لأن بينهم نقاء وصفاء ووفاء، فكلهم أساتذة في الجامعة المحمدية، ولازم كل ليلة يجتمع أعضاء هيئة التدريس: وأين هذا الاجتماع؟ كما أشار سيدي إبراهيم الدسوقي رحمته الله في قوله:

على الدرة البيضاء كان اجتماعنا ... وفي قاب قوسين اجتماع الأجرة

فالذي يشهد اجتماع قاب قوسين هل يبقى عنده بقية من الدنيا الدنية؟ كلا، وهكذا كل من وصلوا إلى هذا المقام العالي، ليس هناك شيء يحاك في صدورهم نحو إخوانهم؛ لأن كل من حاك شيء في صدره بسوء نحو إخوانه، لا يؤذن له بالإشراف على هذه المعية، أو الحضور بقلبه في هاتيك المقامات السنية.

وهؤلاء بسر استنارة بصائرهم يعرفون مریدهم، بل آونة يطلعهم الله وعجل على المريدين، ومن ينتسبون إليهم من أشياخهم. ومثل هؤلاء لا يجدون غضاظة في قلوبهم، إذا تحول أي مرید من مجالسهم إلى غيرهم.

وهذا هو التصوف السليم، والمنهج المستقيم الذي جاء به السلف

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الصالح من الرؤوف الرحيم ﷺ، وأي شئ غير ذلك قد يكون فيه شهوة نفس أو حظ أو مآرب دنيوية أو هوى. ومن عنده هوى !. فليس له دواء.

جهاد الحارفين للهوى

ولذلك فمن بدايتهم، نزعوا الهوى من النفوس، وجعلوا هواهم الأوحى في المليك القدوس :

قد كان لي قبل أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
إذا كان الغافل له هوى في النساء، أو في المال، أو في الأكل، أو في أي شهوة أو غرض، فإن الذي عرف الله:.... عينه لا تلتفت لحظة هنا أو هناك. فسيدنا رسول الله: أشهده الله كل الجمالات من الجنات والعرش، والكرسي !!... لكنه كما أثنى عليه ربه:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [سورة النجم]

فلم يلتفت هنا أو هناك!!، وهل بعد جمال الله!،. وكمال الله!، ينظر إلى شئ؟ وهل هناك ما يطرف العين بعد هذه الجمالات والكمالات، وكذلك الذي يرى الحبيب الأعظم ﷺ هل يريد أن يرى شيئاً بعده؟

قد كان لي قبل أهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بذاتك يا ديني ودنيائي
فالذي اشتغل بالله ﷻ حقاً، وصدقاً: لا يلتفت لغيره طرفة عين، ولا أقل..!! وهؤلاء هم الرجال الصادقون، الذين قال الله فيهم :

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة]

﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾ ﴿٤٣﴾

لماذا؟ لتكونوا معهم على الأقل!

فمن أحب قوما حشر معهم أو تكونوا منهم، وهذا الذي عنده همّة وعزيمة! فإما أن نكون معهم، أو منهم.

وراثه النبوة

فالذي منهم يرث، وماذا يرث؟

يرث علما، ونورا، وحالا، وفتحاً، وكشفاً، والهاماً، وفضلاً من ميراث الحبيب المصطفى ﷺ: {إنما نورث علما ونورا} ^{١٦}

أي يأخذ حظه من العلم، أو حظه من النور، وما العلم الذي تركه رسول الله؟ علم القرآن، وعلوم الحقائق، وعلوم الدقائق، وعلوم الرقائق، وعلوم الفتح، وعلوم الكشف، وعلوم الفضل،.....

علوما، يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمه الله وأرضاه:

فلو أنى أبوح ببعض ما بي لأحرقتم المشارق والمغرب

وولعت القلوب بحب ذات تحلى من حلاها كل طالب

ويقول أيضا رحمه الله :

لو ذاق أهل البعد بعض مدامتي... تركوا الجدال وأحرقوا علم الرسوم

علوماً، يقول فيها الإمام علي رحمه الله :

" لو فسرتُ فاتحة الكتاب بما أعلم، لوقرتم سبعين بعيرا"

^{١٦} سنن أبي داود وسنن ابن ماجة عن أبي الدر داء بلفظ (إن الأنبياء لا يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

علوما ليس لها حصر...!! من أين جاءت هذه العلوم؟ ... هذه وراثه من رسول الله ﷺ، وليست دراسة بإعمال الفكر والعقل والمشاهدة أو التجربة، ... بل هي وراثه نبوية مصطفوية فعلوم الوراثة غير علوم الدراسة

﴿فعلوم الدراسة: ربما يفنى المرء حياته كلها، ولا يستطيع أن يبلغ الغاية في التعمق في ميدان واحد من هذه الميادين، كما نرى.

﴿لكن علوم الوراثة: يحصل الإنسان فيها ما يشاء من العلوم في أقل من لمح البصر، إذا فتحوا له الباب وأدخلوه الرحاب، وكسوه حلة الأحياب، وجملوه بجمال هذا الجناب، فإن كنوز فضل العلي الوهاب تنزل عليه بغير حساب :

﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة النور]

﴿وهذه العلوم هي التي عاش فيها وبها أصحاب رسول الله ﷺ، يمكن أحدث نظرية تربوية في وزارة التربية والتعليم، أو التعليم الجامعي، يقولون فيها: نحن نوجه الطالب ليحصل المعلومة بنفسه، هذه هي النظرية القرآنية الإسلامية فرسول الله كان يوجههم وهم يحصلون، أي يحصلون من الملاء الأعلى!، وبعضهم كان يحصل من الآيات التي في الكائنات !.

إشراقات علم الآيات

ولو تصفحنا كتب الصالحين الموجودة - لأن كثيرا منها ضاع عندما دخل المغول بغداد، فقد ألقوا هذه الكتب في نهر دجلة حتى صنعوا منها جسرا من الكتب، وضاعت هذه العلوم - لوجدنا الصالحين عندما يتحدثون عن خواص الأشياء كخواص النباتات أو الحيوانات أو النجوم؛ فإنهم يكشفون

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

عن حقائق - ربما يكون العلم الحديث لم يصل إلي كل حقائقها بعد، مثال ذلك:

ما الذي يلون النبات والثمار؟ ويضع فيه الطعم؟ ويضع فيه الروائح؟ ويصنع شكله وحجمه؟
علميا:

يقولون جينات الوراثة في البذور تحمل أصل ذلك، والغذاء يقويه وينميه بعد ذلك، وهذا علم قد ثبت بلا شك.

ولكننا نقول لهم أنه هذه ليست الحقيقة كلها! إذا كان الهواء ليس له طعم ولا لون ولا شكل!، والأرض كذلك ليس بها طعم ولا لون ولا رائحة!، والماء أيضا ليس له طعم ولا لون ولا رائحة!، وهذه هي المكونات التي تشكل العناصر التي تغذى النبات!، فمن أين جاءت إذاً الطعوم والألوان والروائح. للثمار التي نراها ونتناولها؟ وكيف تشكَّلت أحجامها؟ فهل الجينات وحدها فقط قادرة على القيام بكل ذلك؟ أم إن هناك أسرار أخرى لم يصل إليها العلم بعد؟؟؟

العارفون الذين يكتشفون خواص الأشياء، مثل الإمام أبي العزائم، وغيره من رجال السلف الصالح عليه السلام و أرضاهم، عندما ينظر أحدهم إلى النباتات؛ فإنها تتحدث معه، وتخبره عن الفوائد التي بها. فيكتب هذه الفوائد، بعد سماعها من النبات نفسه، فهو الذي يعطيه خواص ذاته، فيكون حديثه عن هذا الشأن، ليس تأليفا ولا تخمينا.

ولذلك، فالإمام أبو العزائم قال في هذا المجال:

هناك نجوم مخصصة لذلك، وقد أختصها الله ﷻ بهذه الصفات، فهناك نجوم خاصة بالمذاقات للنباتات والفواكه، وهناك نجوم خاصيتها تعطي لها

﴿٤٦﴾ ﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾

الروائح، ونجوم خاصة تعطي لها الشكل والحجم. ونحن جميعا قد لاحظنا هذا الموضوع عندما تكبر الخضراوات، ويزداد حجمها في الليالي المقمرة، وأصحاب الأراضي والمزارعون يعرفون ذلك بالفطرة، أن الليالي القمرية تكبر فيها الخضراوات والفواكه، لأن مجموعة النجوم الثمرية تظهر في هذا الوقت، وهي التي تتولى نمو الثمار ... لكن مَنْ مِنَ العلماء يستطيع أن يكتشف هذه الحقيقة بالأجهزة؟ والمعدات المادية؟ لا يمكن بأي حال من الأحوال...!! وإن كانوا يحاولون جهدهم، وقد أثبتوا أن جاذبية القمر والشمس تساهم مساهمة فاعلة في جذب البراعم والنباتات لتخرج من الأرض وتوجه لأعلى عند نموها، فإن كانت جينات الوراثة فيها خطة النمو فإن القمر والشمس يساهمان في تنفيذها بما ينفع الحياة، وأثبت العلم أن هناك آلاف من انواع الأشعة القادمة من السماء من النجوم وغيرها منها ما يعرفون طبيعته، وأغلبها مجهول لهم ولم يستطيعوا أن يعرفوا تأثيره بعد، فما وصلوا بالتجربة والإختبار إلى ما ألهم الله به الأخيار، قال ﷺ في النجوم :

﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النحل]

أي يهتدوا بها في ظلمة الليل ليس إلى الإتجاهات فحسب، ولكن إلى المذاقات والألوان وإلى الروائح وغيرها فقد خصها الحي القيوم ﷻ بذلك، فالدراسة لا تستطيع أن تحصل هذه العلوم، لكن الذي يكتشفها علوم الوراثة.

واعلموا علم اليقين يا أخواني أن هذه الأمة لن تنهض من كبوتها ولن تبلغ غايتها إلا إذا اتجهت إلى علوم الوراثة، فمثلا الأوروبيون والأمريكيون قرروا منع المسلمين من تعلم التكنولوجيا النووية، وفرضوا حظرا عليهم بعد أحداث سبتمبر فكيف نتعلمها؟

نتعلمها من العليم، لأن التكنولوجيا النووية عندنا من قبل هؤلاء، وإلا فمن

الذي عرف أن الذرة تنقسم إلى مثقال ذرة ؟

إنه القرآن الكريم والعلماء به، فعندما يصل الإنسان إلى مقام: "كنت سمعه الذي يسمع به"، ما الذي يغيب عنه من علوم الأكوان ؟ .. وكذلك عندما يتحقق بمقام: "كنت بصره الذي يبصر به"، فما الذي لم يره من حقائق الأكوان ؟ ... إنه لا شك يرى، ويسمع كل شيء في ملكوت الله وملكه، من أين؟

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة ٢٨٢]

ماذا يعلمنا ؟ ... يعلمنا كل شيء علوم الأجسام، وعلوم العقول، وعلوم النفوس، وعلوم القلوب، وعلوم الأرواح، وعلوم الصناعة، وعلوم الزراعة. وكل أصناف العلوم التي تخطر على البال، أو التي لا تخطر حتى على الخيال !! فالذي يعلمها لنا ... هو الواحد المتعال عَزَّ وَجَلَّ.

التكنولوجيا الربانية

و هناك بعض الناس بلغوا بالتكنولوجيا الربانية ...

أنهم كانوا يطبِّرون في الهواء من غير بدلة فضاء !!!

وبعضهم كان يمشي على الماء.

وكان كثير من الصالحين يفعلون ذلك، وإذا عددنا هذه الوقائع نحتاج إلى دواوين، لكي نكتب هذه الوقائع التي حدثت للصالحين.

و سيدنا رسول الله أشار إلى ذلك فقال :

{ لو عرفتم الله حق معرفته لطرتم في الهواء، ومشيتم على البحور، ولزالت

بدعائكم الجبال { ١٧

فالتكنولوجيا الموجودة مع الأنبياء، هي أيضا موجودة مع الأولياء :

﴿ بماذا كان نبي الله داود يُلين الحديد ؟ أبفرن أم بيده ؟ ﴾

﴿ والذي صنع السفينة ثلاثة أدوار من غير مسمار، كيف تم له ذلك؟ سيدنا نوح: صنع السفينة من ثلاثة أدوار، وكان طولها مائة وسبعون ذراعا، وكانت تتكون من ثلاثة طبقات: طبقة للوحوش، وطبقة للحيوانات الأليفة، والطبقة الثالثة للأنس من غير مسمار واحد، أين التكنولوجيا التي تستطيع صنع ذلك الآن؟ .. هل هناك أي دار لصناعة السفن في العالم تمتلك هذه التكنولوجيا الآن؟

ثم دهنها بالقار، حتى لا يكون بها ثقب واحد يدخل منه الماء، ومن العجب انه صنعها بمفرده!. فقد زرع الشجر أولا، ثم مكث مائتي سنة حتى صلح لصنع السفينة، ثم قطعه، وجففه، ودفن الشجر في الأرض حتى لا يتشقق كما ألهمه الله، ثم شق الشجر ونجره وصنع منه السفينة العظيمة التي ليس لها مثل في عالمنا الآن !! من أين جاء بهذه التكنولوجيا؟! .. هذا هو علم الله الذي يعلمه للأنبياء، ويعلمه أيضا للصالحين.

هل هناك الآن تكنولوجيا تبرا الأكمة، والأبرص، وتحي الموتى ؟ .. كلا، ليس في علوم المادة هذه التكنولوجيا، لكن هذه المادة موجودة وتدرس في التكنولوجيا الإلهية الخاصة بخير البرية

ويرثها الصالحون عن حضرته ﷺ، كما ورثها أصحاب رسول الله من قبل، وهناك من الصالحين الآن كثير معهم هذه التكنولوجيا واستخدموها، ومما يوضح ذلك....:

١٧ جرير بن حازم عن وهيب المكي.

هل هناك كاميرا تلتقط ما في الصدور؟ وأين هذه؟

نعم! هي موجودة مع.....:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الفتح ٢٩]

فالكاميرات التي ترى ما في الصدور هي التي قال فيها ﷺ:

{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله} ^{١٨}

فالناس غافلة عن أرقى أنواع التكنولوجيا العالية في هذه الحياة، فأنت لكي تسافر تحتاج إلى طائرة أو سيارة...:

لكن أصحاب رسول الله والصالحون من بعدهم استخدموا التكنولوجيا الربانية.

فسيدي أحمد البدوي عندما جاء من مكة إلى طنطا قطع المسافة في إحدى عشرة خطوة. وكذلك عندما اعترض ابن دقيق عليه، فقال له: إن لم تصمت سأطير دقيقك، ودفعه بيده، فوجد نفسه في بلد بعيدة، فسأل الناس عن المكان الذي هبط فيه؟ فوجد نفسه في بلدة من بلاد الهند!.

أين التكنولوجيا المادية التي تفعل ذلك؟ .. لا يوجد.....

لكن الذي يحقق ذلك: كنت يده التي يبطش بها؛ ولما سألهم عن كيفية الرجوع؛ قالوا: اذهب إلى المسجد فذهب، وانتظر الصلاة، وعندما حضر الإمام وجده سيدي أحمد البدوي، الذي كان معترضا عليه، وبتهمه بترك الصلاة. وبعد انتهاء الصلاة، ذهب إليه واعتذر عما بدر منه نحوه، فدفعه بيده مرة أخرى! وقال له: ارجع لبيتك، فإن زوجتك مشغولة عليك!، وهي في انتظارك خلف باب المنزل.. فكان الأمر كما أشار!.

^{١٨} سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

من أين هذه التكنولوجيا الربانية؟ .. هي موجودة في القرآن، وتكنولوجيا النبي العدنان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالحاسب الآلي أنت توجهه بيدك، لكن الذي معه حضرة الحسيب عَلَيْهِ السَّلَام لا يحتاج لأحد يحسب له أي شيء؛ بل يكفيه حساب الله عن جميع الخلق.

الجهاز المركزي للمحاسبات لسيدنا عمر كان في الصلاة :.. فقد كان يأتيه الولاة في موسم الحج، ولكي يحاسبهم كان يقول لهم: انتظروا!، ثم يتوضأ، ويصلى ركعتين.. وبعد انتهاء الصلاة، يقول يا فلان: أنت حسابك كذا، ويا هذا... أنت حسابك كذا، فيقال له: من أين لك هذا؟ فيقول: أخبرني الله عَلَيْهِ السَّلَام به، وأنا في الصلاة.

أين الجهاز المركزي عند سيدنا عمر؟ ... كان في صدره فلا يحتاج لمحققين ولا أقلام، ولكن:

﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [آية (٢٩) سورة الأنفال]

هذا هو الفرقان الذي في صدر عباد الرحمن.

حَقِيقَةُ التَّكْنُولُوجِيَا المَادِيَّةِ

والأمر الغريب:

أن التكنولوجيا الحسية ليست صعبة المرام، لأنهم عندما تعلموها، تعلموها من عالم الإلهام الذي ألهم به الله عَلَيْهِ السَّلَام بعض أجناس الحشرات، والفصائل المختلفة في هذه الأكوان.

فعندما ترى أي مدينة أوروبية مهما بلغت في رقيها، هل تصل في دقتها وانتظامها، وعلو شأنها، إلى ما بلغته مملكة النحل؟ أو مملكة النمل؟

﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾ ﴿٥١﴾

كلا !، وهذا مستحيل، لأنهم لو وصلوا لمستوى مملكة النحل؟ لكانوا قد وصلوا إلى الغاية.. لكن ربنا أعطانا الخلافة، وقال لابن آدم: أنت سيد الأكوان!، ولكن بشرط واحد: أن تكون عبداً للرحمن، اجعل نفسك عبدا للرحمن، يجعلك الله سيدي للأكوان.

والصالحون ذلّوا أنفسهم لله، وزينوا أعضائهم بطاعة الله، وجعلوا وجهتهم كلها: في كل عمل، أو ترك، لحضرة الله. وأصبحوا عبادا لله، فذل الله لهم كل شيء في هذه الحياة..... آفتنا الآن:.... أننا بعدنا عن المنهج واعتقدنا أن أهل الغرب هم الذين وصلوا للغاية، ويجب أن نتبعهم ونمشي وراءهم، وتركنا العناية.

مع أننا نحن جميعا أهل العناية، فلكي نصل إلى أي غاية لا بد أن نسلم لأهل العناية، ونجمل أنفسنا بالرعاية: رعاية أوامر الله، ورعاية محارم الله، ورعاية سنة حبيب الله ومصطفاه :

"كن عبدا لله، يكن كل شيء في الكون تحت أمرك، لأنك عبد لله وَعَجَلٌ" الأرض والسماء والجبال والوحوش كلها تكون تحت طوع أمرك، إذا أردت الماء: فالسماء تكون تحت طوع أمرك، وهذه التكنولوجيا موجودة في صلاة الاستسقاء...: لكن بلاد الغرب، عندما ينادون على السماء، فمن الاستحالة أن تنزل نقطة واحدة. كَوْنُوا مطراً صناعياً، لكنه عالي التكلفة جدا !، وضئيل الكمية !، لكن معنا نحن: المطر الطبيعي، كل ما في الأمر: أنك تدعو وتقول يا رب ... يستجيب الله لك في الحال.

كذلك الأرض: بمجرد ما دعا الخليل : كل الخيرات انتشرت فيها، وكفاية عليهم البترول، والذهب الموجود المخزون في الجبال، فالأوروبيون يتعبون في التنقيب عن البترول واستخراجه، وإخواننا الذين أصابتهم دعوة إبراهيم يأتيهم نصيبهم وهم في أشد الراحة.

والعالم كله محتاج لنا في هذه الخيرات، كأمریکا واليابان وأوروبا وكل هذا من دعوة آبائنا وأجدادنا والصالحين، وكل ما ينبغي علينا هو أن نحافظ عليه بتنفيذ أمر الله وتطبيق شريعة الله.

وحتى الزلزال الذي حدث في آسيا (تسونامي عام ٢٠٠٤) كان آية من آيات الله ﷻ، فكل المساجد الموجودة لم تتأثر بقوة الزلزال ! لماذا؟ يعرفنا الله ﷻ قدر إيماننا سيدنا عمر عندما حدث زلزال في المدينة، أمسك بالدرية وضرب الأرض، وقال لها: يا أرض قري واسكني فإني أعدل على ظهرك، فسكنت في الحال.

فكان عدم تأثر المساجد فقط بالزلزال قوة لأهل الإيمان وأهل التقى، بأنهم في عناية ربهم وفي حفظه وصيانه.

فالله ﷻ جهز المسلم بكل شيء يحتاج إليه في هذه الحياة، ولكن بشرط واحد أن يكون هو كله لله. ولكننا فرطنا في هذا الأمر وسبحان الله !، صرنا كالرجل الغني الذي له ثروة تغني الأولين والآخرين: ولكنه ترك كل هذا، وذهب ليتسول على أبواب الناس المساكين، فنحن نتسول من أهل الغرب الصناعات والتكنولوجيا؛ مع أننا موجود عندنا كل شيء :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

حَسَبُ وَمَنْ يُتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ ﴾ [٣، ٢ الطلاق]

سيدنا عقبه بن عامر رضي الله عنه وأرضاه، ذهب إلى شمال أفريقيا وأراد أن يبني مدينة لأصحاب رسول الله صلوات الله عليه، واختاروا مدينة بواسطة المهندسين، فاختراروا مكانا يجمع بين الصحراء وأطراف المدن - وهذا كان نظام الجيش الإسلامي دائما - فاختراروا موقع القيروان الآن، وكان المكان مليئا بالغابات، فماذا يفعلون في هذه الغابات؟ بعضهم قال تقطع الأشجار، وبعضهم قال

نحرقها، فركب عقبة بن نافع فرسه، وجاء عند الغابة، وقام بالنداء على من بالغابة، فقال : يا سكان هذه الغابة !، أخرجوا فإننا سنبنني في هذا المكان مدينة لجند رسول الله ﷺ، وسأمهلكم ثلاثة أيام.

من الذي ترجم هذا الكلام للحيوانات والحيات والأسود ولكل واحد منهم لغة ؟ سمعوا جميعا هذا النداء بالترجمة الإلهية التي وصلت إلى الأذان في كل مكان، لأن الله ﷻ كساه حلة: " كنت لسانه الذي ينطق به "، بعد ذلك وجدوا الحيوانات والحيات تخرج وهي تحمل صغارها على ظهورها وتغادر هذه الغابة. وفي خلال ثلاثة أيام، لم يكن شيء من الحيوانات في هذه الغابة !!.

ما هذه التكنولوجيا التي تركناها؟ بل ونجري وراء تكنولوجيا غريبة لا تعرف الرحمة، لكن هذه التكنولوجيا كلها رحمة وهداية وإلهام من الله. وكذلك في الصناعات:

ما الذي يحفظ بدله صوف مائة سنة من العتة، لكن ملبوسات رسول الله ﷻ - حتى وقتنا هذا - موجودة في استنبول كما هي، ومنها البردة التي كان يلبسها وتوارثها مئات من الخلفاء ولبسوها، فسيدنا معاوية اشتراها من ورثة كعب بن زهير، وتوارثها الخلفاء من بعده، ولبسوها والخلفاء العباسيون أيضا توارثوها ولبسوها، وجاء العثمانيون فأخذوها ووضعوها عندهم، أنظر كم من السنين استخدمت!؟

ما هذه التكنولوجيا التي جعلت هذه البردة لم تصب بالعتة، و أيضا القميص والسيف والرمح، وكل أدوات رسول الله موجودة. و أيضا الصالحون:

آثارهم كلها موجودة في كل مكان وزمان، وقد حفظت هذه الأشياء

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

بتكنولوجيا الحياة، لأن معهم إكسير الحياة الذي إذا وضعوه على أي شيء يظل حيا بأمر الله، إلى أن يشاء الله جل في علاه، وهذا سر من أسرار الله، و أنتم تعلمون أسرار التكنولوجيا التي برع فيها قدماء المصريين، والتي أخذوها من علوم سيدنا إدريس - فهو الذي علمها لهم - ونرى آثارها مشهودة في فن التحنيط وغيره

و هكذا فليس لنا مخرجا لنلحق بركب التطور في هذا العصر إلا إذا رجعنا إلى تكنولوجيا رب العالمين، نأخذ من الله فتحا من الله، بعدما نتجه إلى الله جلّ في علاه رغبة في رضاه.

و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رجال الله

سؤال: كيف نخوض المعركة المقبلة مع اليهود؟

المعركة الآتية مع اليهود إن شاء الله، لا نستطيع خوضها بالأسلحة التقليدية فقط، لأنهم أقوى منا فيها، ولذلك يلزم لنا لنتصر من وجود رجال يتصرفون في الكون بأمر الواحد المتعال.

فالمعركة الأولى كانت بسيطة وانتصرنا فيها بفضل هؤلاء الرجال. والمعركة الآتية أيضا تحتاج نفس الرجال. فنحن جميعا نجهز أنفسنا استعدادا لهذه المعركة، حتى نكون من هؤلاء الرجال، و الرجل منهم يدفع عن أمة، ويكشف الله به كل غمة.

أهل فارس هجم عليهم الجراد من كل فج، فذهبوا إلى رجل من الصالحين ليستنجدوا به، فقال لهم:

﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾ ﴿٥٥﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أين هذا الجراد؟ ثم نفخ فيه، فطار الجراد كله، ولم يأكل عودا واحدا من أرض هذا البلد. هؤلاء هم الرجال الذين أقام الله بهم الدين، والذين يحيى بهم الله الأرض، والذين:

تحيا بهم كل أرض ينزلون بها... كأنهم لبقاع الأرض أمطار
و تنظر العين منهم منظرا حسنا ... كأنهم في عيون الناس أقمار
فالرجل منهم بأمة كاملة :

﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل ١٢٠]

لأن الله يدفع به عن أمة،... ويكشف به كل ملامة عن أمة ..، ويحيى به وبركته أمة،... هؤلاء هم الرجال الذين نحتاج إليهم في هذه الآونة، ونحتاج لهؤلاء الرجال قبل العتاد والسلاح، لأنهم الرجال الذين يسعون في الأرض بنور الله ﷻ:

﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام ١٢٢]

و كل التكنولوجيا منهم: هل تذكرون من أول من أسس علم الكيمياء؟ إنه جابر بن حيان: وقد كان تلميذا لسيدي جعفر الصادق. وسيدنا جعفر الصادق أملى عليه ثلاثمائة كتاب في علم الكيمياء، وهذا تخصص واحد، أين التخصصات الأخرى؟

وكذلك الإمام أبو حنيفة:

صحب سيدنا جعفر الصادق سنتين، وبعد سنتين قال: لولا السنتان لهلك النعمان.

لأنه فتق له القضايا الفقهية، وأعطى له فيها وضوح الرؤيا البصرية، ليمشي على نور من ربه، وكلهم يا أخواني على هذا المنوال.

﴿٥٦﴾ ﴿الباب الأول: الصوفية في الإسلام﴾

تكنولوجيا الإلهام

من الذي ألهم النحل؟

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل ٦٨]

من الذي علم النمل التكنولوجيا التي تجعل النمل يصنع في البلاد الممطرة لقراه أسقفاً لا تؤثر فيها القوى التدميرية ولا تخترقها الأمطار مهما كانت كمياتها الهاطلة حتى تكون المملكة محفوظة في فترة المطر؟، وأين هذه التكنولوجيا؟ مع أنه سقف ليس به زلط ولا أسمنت ولا حديد ولا شيء من هذه المكونات العصرية، كيف نصل إلى هذه التكنولوجيا؟! من الذي ألهم النمل عندما يخزن النبات بأن يشقه نصفين لكي لا يئب؟ وفي أي مدرسة تعلم النمل هذه الأشياء؟

كيف صنعت أم موسى التابوت الذي وضع فيه سيدنا موسى حتى لا يدخله الماء؟! وأين درست هذه الصناعة؟ لكن الله ألهمها في ذلك الشأن.

فالإلهام مصدر كل خير وكل بركة وكل فضل للمسلمين على الدوام، ومن لحظة ما تركنا عين الإلهام وأعطينا له ظهرنا أصبحنا كالأيتام على مأدبة اللثام... فالذي يحدث لنا في هذا الزمان من أمريكا وغيرها سببه أننا تركنا المدد الذي أعطاه الله ﷻ لنا.

ظهور المدارس الصوفية

بدأ ظهور المدارس الصوفية بمدريستين صوفيتين، اعتصمتا بالكتاب والسنة، واتخذتا من سيد المرسلين إماماً وقدوة، وجعلتا من أشواق الحب

الإلهي، ومن إلهامات الروح القرآني، ومن مثاليات الخلق المحمدي، منهجاً في المعرفة، وطريقاً في السلوك ومعراجاً للوصول.

فقدمتا للعالمين، أروع وأقوى روحانية إيمانية معتصمة مهتدية، قدمت التصوف الإسلامي: مشرقاً مبيناً فيه هدى، وفيه نور يرسم الطريق المستقيم المضيء، طريق المخبئين المتبتلين، الذين أحالوا الكون، محاريب للمناجاة والطاعات، وجعلوا من مشاهد صفحات ناطقات ملهومات، الطريق المضيء الصاعد إلى رضوان الله وقربه، وأنسه وحبه، وهداه وعلمه وفيضه، مدرستان، هما قلب التصوف ولسانه وبيانه وإيهما الفتوى والفيصل في مناهجه وقواعده، وسلوكه ومعارجه.

مدرستان تميزتا بالمعرفة الكاملة الصادقة، النابعة من الكتاب والسنة، لم تتفرق بهما السبل، ولم تجنح بهما الأذواق، والأشواق، قلما يعترف أبداً بالسبحات الفلسفية، والشطحات المترنحة، والكلمات الغامضة، التي تسربت إلى الأفق الصوفي، وحاولت أن تنتسب إليه!، وأن تتستر بأشواقه!، وأذواقه!!.

أما المدرسة الأولى :

فهي مدرسة الإمام أبو القاسم الجنيد ببغداد، وهي مدرسة اتخذت من المساجد منابر لدعوتها، وجعلت من حلقاتها معاهد لتخريج الرجال. الرجال الذين تموج بهم كتب الأصول الصوفية، كأعلام تضيء كلماتهم الطريق وترسمه وتحدده.

والمدرسة الثانية :

هي مدرسة الإمام أبو نصر السراج الطوسي بنيسابور، وهي مدرسة اتخذت من الكتب منابر لبيان دعوتها، وشرح رسالتها، ونشر علومها وأذواقها ومعارفها ومعارجها. وجعلت من صفحات هذه الكتب معاهد لتخريج الفحول

من الرجال، وخزائن خالدة تحفظ للأجيال هذا التراث المضيء العظيم.

وصاحب اللمع، أبو النصر السراج الطوسي، هو بحق أكبر المؤلفين الصوفيين وأستاذهم جميعاً بلا استثناء، اقتفى أثره الهجويري في كتابه (كشف المحجوب) وتلمذ عليه، أبو عبد الرحمن السلمي صاحب الطبقات، وعلي السلمي: تتلمذ عبد الكريم بن هوازن أبو القاسم القشيري، صاحب الرسالة القشيرية.

فمؤلف اللمع إذن، قد أنجبت مدرسته الأقلام الكبيرة التي حفظت لنا، ورسمت أمامنا، مناهج الطريق وصانته وحمته من الدخيل والغريب.

كما احتضنت هذه المدرسة وحفظت لنا أيضاً، تراث الجنيد وتلاميذه ورجاله. فأصبحت مدرسة السراج وحدها عبر التاريخ :

المحجة التي يلوذ بها، ويهتدي بنورها، عباد الرحمن الذين استهدفوا وجهه سبحانه، وصعدوا بقلوبهم وبِعِزَمَاتِهِمْ إِلَى الأفق الأعلى، مع الملائكة الأعلى، لا يستكفون عن عبادة ربهم، ولا يفترون عن ذكره وحمده. قوتهم طاعة، وحياتهم عبادة، ومناجاتهم حب، ووجودهم قرب، وذوقهم علم، وبساطهم انس، وخلقهم القرآن. إنهم أمناء الله ﷻ في أرضه، وخزنة أسرارهِ وعلمهِ، وصفوته من خلقهِ، كما يقول السراج الطوسي في اللمع.

إنها مدرسة المعرفة الصوفية النقية، حمل اللواء فيها السراج، والقشيري، والهجويري، والسلمي، والكلاباذي. المدرسة التي حاربت في عنف وفي قسوة، كل انحراف فلسفي، أو شطح ذوقي، تسرب إلى جوهر التصوف الإسلامي.

يقول السراج في مقدمته لكتاب اللمع:

(وأعلم أن في زماننا هذا قد كثرت الخائضون في علوم هذه

الطائفة. وقد كثر أيضاً المتشبهون بأهل التصوف والمشيرون إليها، والمجيبون عنها وعن مسائلها. وكل واحد منهم يضيف إلى نفسه كتاباً قد زخره، وكلاماً ألفه. وليس بمستحسن منهم ذلك؛ لأن الأوائل والمشايخ الذين تكلموا في هذه المسائل وأشاروا إلى هذه الإشارات، ونطقوا بهذه الحكم: إنما تكلموا بعد قطع العلائق، وإماتة النفوس بالمجاهدات والرياضات والمنازلات والوجد والاحتراق، والمبادرة والاشتياق إلى قطع كل علاقة قطعهم عن الله ﷻ طرفة عين، وقاموا بشرط العلم، ثم عملوا به، ثم تحققوا في العمل فجمعوا بين العلم والحقيقة والعمل).

وكما يقول "ماسنيون":

(إن رجال المعرفة الصوفية في الإسلام، كانوا دائماً النماذج التي تقدم لنا الصورة الحية للمفكرين الكبار في الإسلام)
ويقول شاعر الإسلام "محمد إقبال":

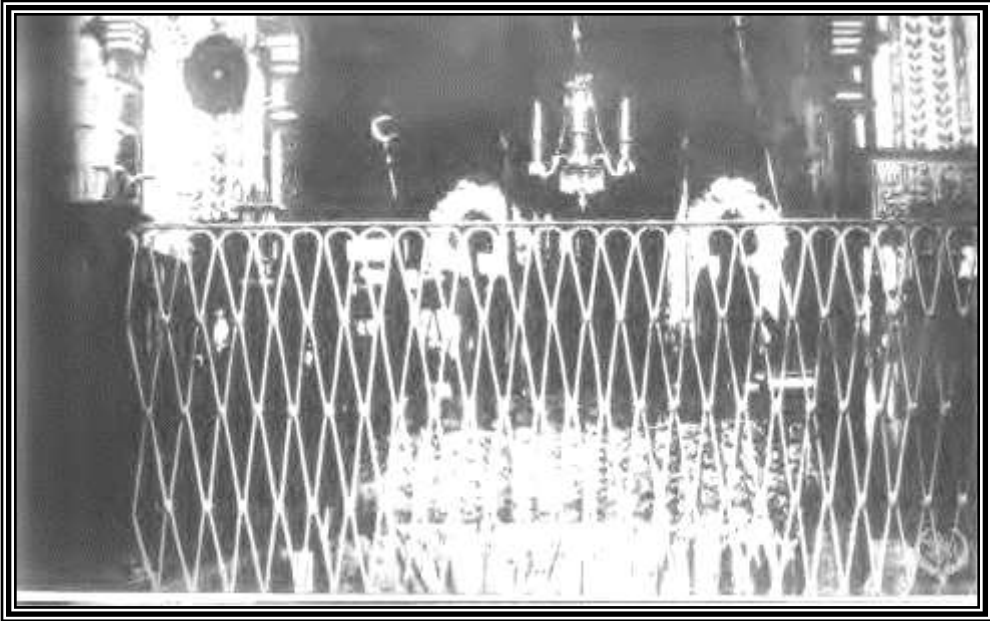
(إن الإسلام عند الصوفية، يأخذ طابعاً من الجمال والكمال، والإنسانية العالية، والأخوة العالمية، لا تجده في إسلام الفقهاء أو المتكلمين. رسم المبادئ الصوفية النقية، تلك المبادئ التي تعبر عن روح القرآن، وجوهر السنة: المبادئ الخلقية والإيمانية التي تتلمذت لفعل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهديه. المبادئ التي تحيط بكل شيء في الحياة، فتطلق فيه النور، والروح، وتطلق فيه الحب، وتعمق فيه الإحساس المقدس، الإحساس بالقرب من الله؛ قرب ذوق ووجدان، ومشاهدة ذوق ووجدان... فإن لم تكن تراه فإنه يراك، المبادئ التي تتحقق فيها كلمات الله، التي صورت الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس.

البَابُ الثَّانِي

الصُّوفِيَّةُ

وَالْتَمَسْتُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

- عالم المثال
- الصوفية والتمسك بالشريعة
- رأي الشيخ عبد الواحد يحي
- التأسى برسول الله في الجهاد
- الصوفية والتحلل من الشريعة الإسلامية



صورة نادرة من حوالي مائة عام للمواجهة النبوية المشرفة كما بدت
من الخارج

الصُوفِيَّةُ وَالتَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ*

الحمد لله الذي أنعم على خاصة عباده المتقين بأحوال عباده الأنبياء والمرسلين والصديقين والصالحين وجعل هذه الوراثة النبوية قائمة في الدنيا إلى يوم الدين سر قول إمامنا عليٍّ عليه السلام وكرم الله وجهه :

{ اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً لئلا تخلو الأرض من قائم لله تعالى بحجة }

إخواني وأحابي القراء الكرام بارك الله صلى الله عليه وسلم فيكم أجمعين:

في هذا الزمن لأن الناس حكّموا عقولهم وتركوا نقولهم في كل شئونهم، فتعالت الصيحات للاعتراض على السادة الصوفية وأنهم على غير السنن المرضية، وليس لهم أصل في مأخذهم من الشريعة الإلهية ونكاد نجد دوى هذا الفكر وهذا الكلام في كل مكان.

لكن الحقيقة لمن أرادها أن السادة الصوفية هم أكمل الناس إتباعاً لحبيب الله ومصطفاه في سننه الظاهرة وأحواله الباطنة.

فإن كان غيرهم يزعم أنه يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم في سننه فإنهم ما زادوا عن متابعتة في هيئته لكن ما شموا رائحة من أحواله ولا تنسّموا بارقة من أنواره ولا مرّ على قلوبهم وأرواحهم شيئاً من باطن أحواله صلى الله عليه وسلم.

أما السادة الصوفية :.. فهم الذين تشبهوا به ظاهراً وأفاض عليهم ببركة التشبه به أحواله باطناً فكانوا صورة على قدرهم لظاهره وباطنه صلوات ربي وسلامه عليه، ولو بحثنا في أصولهم وكل أحوالهم وأفعالهم نجدهم أسسوها

¹ لقاء بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بالمعادي بالقاهرة الخميس ٢١ من صفر ١٤٢٦ هـ ٣١ من مارس ٢٠٠٥ م.

على أصل ركيز من هدى نبيهم، ومن سنة حبيبهم ﷺ.

وسلوا إن شئتم عن أي أمر أو شأن يفعله السادة الصوفية المتبعون، وليس المتصوفة المبتدعون، تجدون له ركنا ركيناً في شرع سيدنا رسول الله ﷺ واضحاً ومبيناً

فقد قال إمام الطائفة الجنيد رضي الله عنه :

علمنا هذا مشيد بالقرآن والسنة. علم الصوفية كله عن القرآن والسنة. وكان إمامنا أبو الغزائم رضي الله عنه يقول لأحابه: حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة! ويقول أيضا رضي الله عنه :

لسنته فاخضع وكن متأدباً... وحاذر فحصى الشرع باب السلامة

على الجمر قف إن أوقفك تواضعاً... يكن لك برداً بل سلاماً برحمة

يعنى لو السنة أمرتك بأن تقف على الجمر قف ولا تعترض، لأن الذي يعترض ينطرد، فإن الله يقول للنار كونى برداً وسلاماً على خليلنا، وكذلك من هو في مقام خليلنا إبراهيم عليه السلام إن كانت نار بلاء أو نار داء أو نار تعب وعناء فالأنيار كثيرة في هذه الدار، وليست النار الظاهرة الحسية فقط! وهكذا شأن الصوفية في كل زمان ومكان رضي الله عنه وأرضاهم.

حتى ورد عنهم أنه في أشد الساعات التي يكون فيها الحليم حيراناً، وهى ساعة خروج الروح من البدن كانوا يتمسكون بالسنة ولا يتركونها طرفة عين ولا أقل.

فالإمام الشبلي رضي الله عنه مع أنه كان من أهل الجذب وأهل الأحوال، ووصل به شدة الحال إلى أنهم وصفوه بالجنون، وحولوه إلى المارستان الذي يعالج فيه المجانين، لأنه لم يستطع أن يكتفم مكنون حبه لله ! فظهر حبه على

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

ظاهره وكان يقتدي في ذلك بقول حبيب الله ومصطفاه:

"اذكروا الله حتى يقال مجنون".^٢

وصل إلى هذه الحالة! والجنون فنون! فجنون العارفين كما قال سيدي
أحمد البدوي رحمته الله وأرضاه فيه:

مجانين لكن سر جنونهم ... غريب على أعتابه يسجد العقل
هذا جنون آخر، غير فقدان الذاكرة أو اللوثة التي تصيب العقل
الظاهر! هذا جنون في الله وزيادة حب في حبيب الله ومصطفاه صلوات ربي
وسلامه عليه.

هذا الرجل الإمام الشبلي رحمته الله :

عندما حانت منيته وكان راقدا على ظهره وبدء الموت يمشى في
أعضائه وبدأت الروح تخرج منه عضوا وراء عضو: فأشار إلى خادمه أن
يوضأه، فوضأه، وأثناء الوضوء نسي سنة من سنن الوضوء وهي تخليل اللحية
- لأنه لا بد أن يتخلل الماء اللحية حتى يصل إلى البشرة (لمن يربي لحيته)،
الذي ليس له لحية يغسل الوجه بالماء لكن الذي له لحية لا بد أن يصل الماء
إلى منبت الشعر - فأمسك بيده وهو لا يستطيع النطق، ووضعها على لحيته
فقال الحاضرون: سبحان الله حتى في ساعة الموت لا يترك سنة من سنن
الوضوء! وهكذا حال الصالحين.

وكذلك الإمام خير النساج رحمته الله :

رأى ملك الموت داخلا عليه في بيته مع آذان المغرب فتحادثا، وعرف
أنه جاء قابضاً وليس زائراً فقال له: قف عافك الله فإن ما أمرت به لا يفوتك،

^٢ عن أبي سعيد الخدري، الذهبي في ميزان الاعتدال.

وما أمرت به يفوتني! لقد أذن المغرب ولو قبضت روحي الآن خرجت مديناً
لله ﷺ بصلاة المغرب، فقف حتى أصلي المغرب ثم اقبض حيث شئت.

وهؤلاء الرجال يقول في شأنهم الواحد المتعال:

﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر ٣٤]

فيتوفاهم الله ﷺ على الهيئة التي يريدونها وعلى الكيفية التي يحبونها
ولا يقبض أرواحهم إلا برضاهم! ليس بغتة ولا فجأة ولكنهم يُستشارون في
هذا الأمر ويخبرون في الكيفية التي يقبضهم الله ﷺ عليها عناية من الله ﷺ
بهم وحرصاً من الله ﷺ على إرضائهم فالله حريص على أن يرضيهم!، فانتظر
ملك الموت حتى توضأ وصلى المغرب ثم تمدد على مصلاه وقبضت روحه
ياذن الله جلَّ في علاه.

هذا شأن الصوفية الصادقون الصالحون في كل زمان ومكان ومن خالف
ذلك فليس من أهل ذلك، وإنما هو هالك لأنه يسيء إلى القوم الصالحين
ويدعى أنه منهم وهو في الحقيقة ليس منهم لأنهم أول المتشرعين على نهج
سيد الأولين والآخرين ﷺ.

من فارق الشرع الشريف فليس من ... آل العزائم فافهمم برهاني.

هذا برهان مولانا الإمام أبي العزائم رضي الله عنه. فالذي يفارق الشرع طرفة
عين وهو يقظ وحاضر الذهن قوي البال والعقل فليس منهم، إلا إذا أخذ ما
وهب: فإنه إذا أخذ ما وهب أسقط ما وجب، لكنه إذا ردَّ إليه عقله يتدارك ما
فاته، لأن هذا شأن الصالحين في كل زمان ومكان!

فهذا الإمام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه جاءه رجل من بلخ وقد قطع
ثلاثة أشهر حتى وصل إليه في بغداد.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

وكان له مدرسة - بيت الشيخ يسمونه مدرسة - (مدرسة الشيخ عبد القادر) - مدرسة كاملة مليئة بطلاب العلم، منهم من يتفقه، ومنهم من يقرأ القرآن، ومنهم من يدرس الحديث، ومنهم من هو في الخلوة ومع الأوراد، ومنهم من يتكلم في المقامات، ومنهم من يتكلم في أسرار القرآن. مدرسة كاملة: وكل مجموعة من الطلاب لهم مشربهم ومنهجهم.

هكذا حال الصالحين أجمعين ﷺ في كل وقت وحين. وكذلك كانت مدرسة مولانا الإمام أبو العزائم في قصر الفريق: كانت مدرسة كاملة فيها كل طلاب العلم وجميع أنواع العلم.

فوصل إليه وهو في صلاة العصر، وكانوا بعد الصلاة يصافحون شيخهم. صفا ويسلمون عليه - ومن عادة الشيوخ، وهذه أيضا كانت عادة مولانا أبو العزائم ﷺ كلما صافحه إنسان، سأله من أنت؟ حتى ولو رجع في الصف مرة أخرى، كان يسأله من أنت؟ لماذا؟ .. لأنه في غيبة مع الله، فلما صافحه قال له الشيخ عبد القادر ﷺ :

مرحبا بك يا محمد يا بلخي، إن لك عندنا لخير كثير..!!
وذلك بدون سابق معرفة.

عالم المثال

وهكذا شأن الصالحين.

والكرامات في هذا الميدان لا حد لها ولا عد لها، إن شئت كتبت منها دواوين، لأنهم المعنيون بقول رب العالمين (١٠٨ يوسف) :

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

﴿الباب الثاني: الصوفية والتمسك بالكتاب والسنة﴾ ﴿٦٧﴾

يدعون إلى الله على بصيرة بصائرهم منيرة وشمس الحبيب المصطفى ﷺ ساطعة في قلوبهم على الدوام فينظرون بالله إلى خلق الله: الذي ينظر بنور الله المريدون: {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله}³

لكن الشيوخ في مقام الإيقان، والموقن يجمله الله بمقام: "كنت بصره الذي يبصر به"، فيبصر بالله وليس بنور الله وهناك فارق كبير بين من ينظر بنور الله وبين من يبصر بالله جلَّ في علاه في المقامات.

لم يقل اتقوا فراسة المحسن أو الموقن... وإنما المؤمن العادي، لكن المحسن والموقن فلهم مقام أعظم وتجلي أكرم وفتح أعم من الله ﷻ لأهل هذه المقامات بينهما كما بين من ينظر بنور الله ومن ينظر بمولاه ... هل يستويان مثلاً؟! ...! أبداً.

وجلس الشيخ محمد البلخي في بيت استأجره ليتلقى ويتلقن من شيخه، وفي يوم وهو في خلوته، رأى في عالم المثال شخصان نورانيان. وعالم المثال يلوح لعين القلب بعد محو الظلال:

فعين الرأس ترى الظلال، وعين الفكر ترى الخيال، وعين القلب ترى عالم المثال بعد محو الخيال ومحو الظلال، عالم المثال وهو عالم الشفافيات والنورانيات والأرواح المثبته في أرجاء الأرض والسموات، يراها بعين البصيرة؛ يقول فيها مولانا أبو العزائم رحمته الله :

بعين الروح لا عين العقول ... شهدت الغيب في حال الوصول.

لكن عين الرأس ماذا ترى في الغيب؟!!

لا ترى إلا الطين أو ما هو من الطين أو الظلال والتكوين، وعين العقل لا ترى إلا الخيال والظلال لكن عين القلب هي التي ترى عالم المثال.

³ سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدرى

وعالم المثال، لتقرب حقيقته: فنحن معنا مندوبون منه، الآن عالم الملائكة الذين يحضرون معنا، وعالم الملائكة الذين يسجلون الأحوال التي فينا والتي بيننا، وعالم الجنة وعالم الملكوت، وملكوت كل إنسان، وما في باطنه من خواطر ومن أحوال، ومن تفضلات تفضل بها عليه الواحد المتعال: كل هذه من عالم المثال، الذي كان يظهر في أحاديث المصطفى ﷺ، ولا يفقه معناه إلا كَمَل الرجال، وعلى سبيل المثال في الإسراء والمعراج يقول ﷺ:

{فجاءوا بطست مملوءة إيماناً وحكمة}؛

وهل الإيمان والحكمة يوضعان في طست؟! .. كلا!، لكن هذه رؤية عالم المثال ولا يستطيع أن يقرب الحقيقة إلا بهذا المقال. لكن الحقيقة في ذاتها تحتاج إلى ذُق تعرف، وانظر بعين قلبك تدرك، ولا تعقل هذا الكلام بفكرك، فإن الفكر عقال عن أحوال جميع الرجال.

فالعقل يا أخي لا يفقهن حالاتي كما قال مولانا الإمام أبو العزائم ؑ

فرأى الرجل في عالم المثال شخصان: في يد أحدهما حلة وفي يد أحدهم شربة وقال له أحدهما: أنا علي بن أبي طالب، وهذا ملك من الملائكة ومعنا حلة من النور وشربة من عين المحبة، وقد أمرنا أن نكسوك بهذه الحلة ونسقيك هذه الشربة، فألبسوه معنى وليس مبنى - هذه الحلة - وسقوه معنى - هذه الشربة-، كما قال أبو العزائم عن ذلك:

سقوني الراح في ليل التداني ... بكأس النور من بحر المعاني

أين كأس النور؟ وأين بحر المعاني؟! بحر المعاني سيدنا رسول الله ﷺ .

وشاهدت المشاهد وهي تجلى ... برنات المثالث والمثاني

^٤ صحيح البخاري عن أنس بن مالك

بعض الناس لم يفقهوا المعنى، وقالوا: المثلث والمثاني، يعنى الآلات: العود والجيتار، لكن المثلث والمثاني يعنى: يشهد في العبد.. الحقيقة المحمدية والحضرة الإلهية، هذا مثلث أو يرتقى فيشهد رسول الله ﷺ ويشهد فيه الحضرة المحمدية والحضرة الإلهية وهذا مثاني أو يرتقى فيشهد حضرة الله ويغيب به عما سواه.

هكذا المرید يشهد في العبد السيد الأعظم يتجلى له في العبد في حال البدايات، لأنه لا يستطيع أن يدركه بذاته، فإن نوره ﷺ لو لم يلطّفه نور العبد، يحرق كل من واجه حضرة ذاته، ثم يتجلى الكبير المتعال - على قدره على جبل هذا العبد - ويواجهه على قدره فقد قال ﷺ:

{إن لله سبعين ألف حجاب من النور لو كشف واحد منها لأحرقت
سبحات وجهه ما أدركه بصره}°

صعقت وقدك تحتي الجبل ... أفقت فكنت لأصلي المثل

تمنيت رؤية غيب مصون ... وقدري ترب فعز الأمل

فأين أرى؟ .. أرى في العبد.. في البداية ... لأنني لا أستطيع أن أرى بذاتي، إلا إذا طهر الله ﷻ ذاتي وأصلح بذاته ذاتي، ورأيت بما في من صفاته حضرات ذاته وقدسهِ ﷻ

لكن كيف أرى بنفسي؟ وماذا معي؟

جلية الأمر: أنه يُرى ما فيك من أوصافه .. غيب ذاته، لكن ما فيك من الطين ومن الماء المهين لا يرى إلا المشاهد الكونية والمظاهر الدانية الدنيوية، أما المظاهر الغيبية، والحقائق العلوية: فلا تراها إلا بما فيك من الأوصاف القدسية، ومن الصفات الربانية إذا تجلى الله ﷻ عليك وخلع عليك

° صحيح ابن ماجه عن أبي موسى بلفظ (حجابه النور).

هذه الخصوصية، فعندما ألبسوه وسقوه غاب عنه وعيه ورأى في عالم المثال عوالم الأولياء والصالحين السابقين مجتمعين في الملاء الأعلى.

قال: وعرفت منهم أبا بكر الصديق، وعمر الفاروق وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وذكر بعض المشايخ الذين عرفهم ورآهم، قال: وسمعت قائلاً يقول: إذا أراد الله ﷻ زيادة نور أوليائه، وصفاء قلوب أحبائه ينزل الحبيب المصطفى ﷺ على كرسي نوره - ورأى كرسيًا من النور - فينظرون إليه، فيزيدون نورا على نورهم، وصفاء على صفاءهم، ثم غاب عن وعيه بعد ذلك، وظل على هذا الحال ثلاث سنوات.

وبعد مضى هذه المدة.... إذا بالشيخ عبدالقادر يضع رجلا عنده في مكانه، ورجلا في بيته، ويقول له :

يا بني إن الله قد أمرني أن أردك إلى حالك، لقد رأيت كذا وكذا وكذا، وقال: وسرد لي كل ما رأيت في هذه الفترة كأنه كان معي، ثم قال: يا بني قم فاقضى ما فاتك من فرائض.

أي أنه حتى في فترة الأخذ، وفترة الجذب، أمره بأن يقضى ما عليه من الفرائض. لأن الصالحين والصوفية الصادقين هم أول المتبعين لسيد الأولين والآخرين ﷺ في كل وقت وحين.

الصُّوفِيَّةُ وَالتَّمَسُّكُ بِالشَّرِيحَةِ

يقول الإمام الدكتور عبد الحلیم محمود :

"أنه لا يوجد صوفي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ذلك لأن التصوف لا يخلو من الغاية، وغايته دائماً روحية، رضاء الملاء الأعلى، حب الله،

الاتصال به، الفناء فيه ليصبح عارفاً به سبحانه، تلك هي الأغراض التي يسعى إليها، أو إلى بعضها الصوفي لذلك لا يتأتى لشخص ليس بمؤمن أن يسعى إليها، ذلك أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكماله، والسعي وراء هذا الكمال.

"وهي إذاً مجاهدة ضد النفس والأهواء والشهوات، حتى يصل الإنسان إلى الغايات التي وضحتها سابقاً، وهذه الغايات تقوده نحو الكمال، أو نحو المثل العليا، ولكن التخلق بأخلاق الله، لا يتأتى إلا عن طريق الوحي المعصوم، فلا بد إذاً من اتباع تعاليم الرسول اتباعاً سليماً. وبالتالي فإنه لا يتأتى أن يوجد تصوف قط مالم يكن اتباع كامل لشريعة صادقة، وإن التصوف الإسلامي لم يوجد إلا باقتداء الصوفية اقتداء تاماً برسول الله ﷺ. لقد أحبه واتبعوه وحققوا بذلك قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب].

إن الصوفية لا تتأتى إلا بالاقْتداء، والقُدوة المعروف الآن سيرتها في صدق ويقين هو رسول الله ﷺ، إنه الأسوة الوحيدة الآن لكل من يحب القرب من الله في صدق".

ويقول سهل التستري معبراً عن أصول التصوف :

"أصول طريقنا سبعة: التمسك بالكتاب، والاقْتداء بالسنة، وأكل الحلال،

وكف الأذى، وتجنب المعاصي، ولزوم التوبة، وأداء الحقوق".

وذكر رجل المعرفة أمام الجنيد وقال:

"أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر، والتقرب إلى

الله ﷻ"، فقال الجنيد:

"إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا".

فإذا ما وصلنا إلى الإمام الغزالي، فإننا نجده يقول في شيء من التفصيل، فيه دقة، وفيه استدلال غاية في القوة :

"واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعى فيه كثير، ونحن نعرفك علامة له: وذلك أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع، موقوفة على توقيفاته: إيراداً وإصداراً وإقداماً وإحجاماً.

إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، ولا يصل فيه إلا من وازب على جملة من النوافل، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض؟!

فإن قلت: فهل تنتهي رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات، ولا يضره المحظورات، كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل في هذه الأمور؟ وأقول لك: اعلم أن هذا عين الغرور، وأن المحققين قالوا لو رأيت إنساناً يطير في الهواء، ويمشي على الماء، وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع، فاعلم أنه شيطان وهو الحق".

فإذا ما انتهينا أخيراً إلى أبي الحسن الشاذلي رحمته الله، فإننا نجده يقول:

"إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة، فتمسك بالكتاب والسنة، ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة، إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة".

والصوفية يتبعون في كل هذا النصوص القرآنية والسنة القولية والعملية للرسول ﷺ. وهم يعلمون - لا شك - البديهيات التاريخية من أن الرسول ﷺ كان المثل الأعلى في أداء الشعائر، إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة.

رَأْيُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّاحِدِ يَحْيَى

ويقول الشيخ عبد الواحد يحيى المستشرق الفرنسي المسلم:

[وقد يكون من المحتمل أن نرى أحد ممثلي الشريعة يجهل التصوف، وإن كان جهله لا يبرر إنكاره، ولكن ليس من المحتمل وليس من الطبيعي أن يجهل رجل التصوف ميدان الشريعة، ولو من جانبها العلمي. ذلك أن الأكثر، وهو: التصوف، يتضمن بالضرورة الأقل، وهو "الشريعة".

على أن نظرة من يريد أن يسلك السلوك الصوفي، إلى الشريعة، من حيث عدم أهميتها على الخصوص، أهمية الجانب العملي منها بالنسبة له... هذه النظرة تتضمن ولو نظرياً، تقليل أهمية الجانب العملي في التصوف نفسه... وفي هذه الخطورة كل الخطورة، فإنه من المشكوك فيه كثيراً، أن يتوفر للشخص الذي عنده هذه الفكرة، الاستعداد الصوفي، ومن الخير له أن يلتزم الشريعة التزاماً كلياً قبل أن يبدأ السلوك، فإذا لم يمكنه التزامها فلا خير فيه، بالنسبة للجانب الصوفي.

إن تقليل شأن الشريعة إنما هو مظهر من مظاهر الروح التي لا تبالي بما أنزل الله وعادة تكون الروح الخاضعة لما أنزل الله هو أول خطوة في طريق السالكين.]

ثم يفصل ذلك بأسلوب أوضح فيقول :

[إن الإنسان لا يشيّد القصر في الهواء، إنه يشيّد على أساس، وكل فكرة لا تركز على أساس من السنة الصحيحة: إنما هي بناء في الهواء، إنها بناء على غير أساس. والبناء الذي يمكن أن يبقى على الدهر لا بد له من أساس مدعم، وعلى الأساس يرتكز البناء كله، حتى الأجزاء العليا منه، والارتكاز على الأساس يستمر حتى بعد انتهاء البناء، وعلى هذا النمط تكون النسبة بين الشريعة والتصوف، فالشريعة الصحيحة هي الأساس الذي لا بد منه لكل سالك، وكالأساس تماماً، لا يمكن طرح الشريعة بعد سلوك الطريق.

بل نقول أكثر من ذلك:

إنه كلما سار التصوف في طريقه واستغرق فيه، بدت له ضرورة الشريعة، واستنارت معرفته بها، وأصبح فهمه لها أكثر عمقاً وأكثر دراية بحقيقتها من هؤلاء الذين درسوها وآمنوا بها، دون أن يضربوا بهم في الميدان الصوفي يعيش في جوها الروحي، ويحيها، إذا أمكن هذا التعبير، وإذا كان لا يُقبل من رجل دين أن يعلن تدينه، دون أن يجعل للشريعة السيطرة على قياده، فإنه لا يُقبل من باب أولى من رجل التصوف أن يزعم انتسابه إلى الصوفية، دون أن تسيطر شعائر الدين والتزاماته على حياته].

التاسي برسول الله في الجهاد

يقول صاحب عوارف المعارف :

[الصوفي: هو الذي يكون دائم التصفية...!! لا يزال يصفي الأوقات عن شوب الأكدار، بتصفية القلب عن شوائب النفس، ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه. فبدوام الافتقار ينقى من الكدر، وكلما تحركت النفس، وظهرت بصفة من صفاتها، أدركها بصيرته النافذة وفرّ منها إلى ربه. فبدوام تصفيته جمعيته، وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه، وقائم بقلبه على نفسه... قال تعالى :

﴿كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [٨ المائدة]

وهذه القوامية لله على النفس، هي التحقيق بالتصوف..

ويقول في موضع آخر: والصوفي :

- يضع الأشياء مواضعها.
- ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم.
- يقيم الخلق مقامهم.
- ويقيم أمر الحق مقامه.
- ويستر ما ينبغي أن يستر.
- ويظهر ما ينبغي أن يظهر.
- ويأتي بالأمور في مواضعه، بحضور عقل، وصحة توحيد، وكمال معرفة، ورعاية صدق وإخلاص. [

لقد أخذ الصوفية على أنفسهم التأسي بالرسول ﷺ فيما دق من الأمور، وما وضح منها، وفي اليسير من أعمالهم، والعظيم منها.

ومن أمثلة ذلك:

كان شقيق البلخي وهو من قمم الصوفية الشامخة، يسارع إلى خوض المعارك لا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه، ولقد وصلت ثقته بالله، إلى حد أنه - وهو لا يرى إلا سيوفا مصلته ورقاباً تقطع، ورءوساً تتساقط - يقول لمن بجواره في هذا الجو: كيف ترى نفسك؟

أترى نفسك في سعادة تشبه سعادتك في الليلة التي زفت فيها امرأتك إليك؟... فأجابه الذي بجواره:

لا والله، فقال شقيق: لكنى والله أرى نفسي في هذا اليوم، مثلها في الليلة التي زفت فيها امرأتي إلي.

وشخص آخر - هو من قمم الصوفية أيضاً - إنه حاتم الأصم:

كان يدخل المعارك، ويخوضها في غير فزع ولا خوف، لقد كان كيانه كله في ثقة مطلقة بالله، وهذه الثقة تتمثل أجمل ما يكون التمثل، حينما أخذوه أسيراً وطرحوه أرضاً، وجثم العدو على صدره ليذبحه، إنه يصف شعوره وهو في هذه الحالة فيقول:

لم يشتغل به قلبي، بل كنت أنظر ماذا يحكم الله تعالى فيّ، فبينما هو يطلب السكين التي يذبح بها، أصابه سهم فقتله، وقمت سليماً معافى.

وإذا قفزنا في ساحة الزمن، قفزة واسعة، فوصلنا إلى معركة المنصورة، مع الفرنجة فإننا نجد كبار المؤمنين، وصفوة الصوفية في قلب المعركة:

أبو الحسن الشاذلي وهو من صفوة الصفوة الصوفية:

وهو قد تجاوز الستين وكان قد كف بصره، ومع ذلك ترك بيته وذهب إلى المنصورة، مساهماً في المعركة بقدر استطاعته، وفي ليلة من الليالي، رأى

رسول الله ﷺ في رؤيا طويلة وأصبح ﷺ يبشر بالنصر.

وكذلك عبد القادر الجزائري:

كان من كبار الصوفية- ومن كبار القادة في الحرب في تحرير الجزائر،
ولقد حارب الاستعمار في الجزائر، وفعل بإيمانه القوي، وصوفيته العميقة
الأعاجيب في الشجاعة والإقدام.

الصُّوفِيَّةُ وَالْتِحَالُ مِنَ الشَّرِيحَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

من المدهش أن نجد بعض من يزعمون الانتساب إلى التصوف يقللون
من ضرورة التمسك بالشرعية، أو يهملون العمل بها، وهؤلاء خالفوا كتاب الله
تعالى، وسنة نبيه ﷺ لأنهم تركوا العلم والآداب، وجانبوا الصواب.

وفيهم يقول القائل :

"رضوا من التواضع بترقيع الملبوس، ومن التصوف بتزيين الرؤوس،
واقترضوا في العبادة على مشى النقباء أمامهم وحمل السجادة، وفي الزهد
والجلادة على تخشين الفراش والوسادة".

ولقد أجاد من وصفهم بقوله:

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نساءها
فالخير كله في الإتياع، وقد سئل الإمام الغزالي ﷺ عن معنى : ارتفاع
التكليف عن الولي ؟

فأجاب كما ذكر السبكي في طبقات الشافعية بقوله :

"معنى ارتفاع التكليف عن الولي: أن العبادة تصير قرّة عينه، وغذاء روحه، بحيث لا يصبر عنها ولا يكون عليه كلفة فيها.

وهو كالصبي يكلف حضور المكتب، ويحمل على ذلك قهراً، فإذا اكتمل بالعلم، صار ذلك ألد الأشياء عنده، ولم يصبر عنه، فلم يكن فيه كلفة، وتكليف الجائع ليتناول الطعام اللذيذ محال لأنه يأكله بشهوة وبلتذ به، فأى معنى لتكليفه؟

فإذن تكليف الولي محال، والتكليف مرتفع عن الولي بهذا المعنى لا بمعنى انه لا يصوم، ولا يصلى، ويشرب ويزني، وكما يستحيل تكليف العاشق النظر إلى معشوقه، وتقبيل قدميه، والتواضع له، لأن ذلك منتهى شهوته ولذته ... فكذلك غذاء روح الولي، في ملازمة ذكره، وامتنال أمره، والتواضع له بقلبه، لا يمكنه إشراك القلب مع القلب في الخضوع إلا بصورة السجود فيكون ذلك كمالاً للذة الخضوع والتعظيم، حتى يشترك في الالتذاذ قلبه وقالبه كما قيل :

ألا فاسقني خمراً ... وقل لي هي الخمر

أي ليدرك سمعي لذة اسمه، كما أدرك ذوقي طعمه، بل تنتهي لذة الولي من القيام لربه قانتاً مناجياً، إلى أن يدرك الورم من القدم.... فيقال له: ألم يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

فيقول: أفلا أكون عبداً شكوراً."

ونختم كلامنا في هذا الموضوع بهذا الكلام المحقق للدكتور حسن الشرقاوي في تعليقه على كتاب الكوكب الشاهق للشعراني:

"إن اتهام الصوفية بأنهم يرفعون التكاليف والفرائض الشرعية، قول مردود، ودعوى كاذبة، فالصوفية يؤمنون إيماناً راسخاً بأنه لا شريعة بلا حقيقة، ولا حقيقة بلا شريعة، فمن تشرع ولم يتحقق فقد تفسق، ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق.

فأعمال القلوب يجب أن ترتبط بأعمال الجوارح، فلا تباين بينها، ولا تناقض ولا انفصال.

ولكل عضو من أعضاء الجسم وظيفته التي يجب أن يؤديها في معاملات، وعباداته، وتكاليفه الشرعية، كما أن عقل الإنسان ونفسه وقلبه جميعاً يجب أن تتكامل مع جوارحه بالتقرب إلى الله تعالى، فإذا ما انفصلت أعمال الجوارح عن أعمال القلوب، فسدت النفس والبدن جميعاً.

فكيف يمكن أن يقال بعد ذلك أن الصوفية قوم خمول وتبطل وتكاسل!، وأنهم يدعون إلى رفع التكاليف الشرعية!، وهم الذين يدعون ربهم بالغدأة والعشي يريدون وجهه الكريم.

ويبدو للمتأمل السليم القلب أن هناك اختلافاً بينا بين أهل الحق الذين يتبعون شريعة الله وسنة رسوله وبين المبتدعة الذين يخالفون قول الله وسنة رسوله فيبتدعون أعمالاً وأفعالاً من عند أنفسهم، ويؤولون كلام الله؛ فيحرمون أشياء، ويبيحون أشياء، بحسب أهوائهم.

وهؤلاء ليسوا من الصوفية، إنما هم دخلاء على أهل الله، وهم من مرضى القلوب... يزعمون أنهم من الصوفية!!!، وهم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان."

البَابُ الثَّلَاثُ أُمَّةُ الصُّوفِيَّةِ الْأَوَّلِينَ

- الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- عثمان رضي الله عنه
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه
- نماذج من أحوال الصحابة الكرام الصادقة



أُمَّةُ الصُّوفِيَّةِ الْأُولَى

إِذَا يَا إِخْوَانِي: الْبَدَايَةُ شَرْعِيَّةٌ، وَالنَّهَايَةُ صُوفِيَّةٌ.

وَالْبَدَايَةُ حَاكِمَةٌ، مَا دَامَ فِي دَارِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا لِأَنَّهُ قَدْوَةٌ يَقْتَدِي بِهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ أَكْمَلَ النَّاسِ اتِّبَاعًا لِلْحَبِيبِ الْمِصْطَفَى لِأَنَّهُ إِمَامٌ لِمَنْ خَلْفَهُ مِنْ أَهْلِ الصِّفَا وَالْوَفَا، حَتَّى قَالَ إِمَامُنَا أَبُو الْعِزَّائِمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ فِي كِتَابِهِ (مَذْكُورَةُ الْمُرْشَدِ وَالْمُسْتَرْشَدِ) :

"عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَنَزَّلَ لِلْمُرِيدِينَ وَيَقُومَ مَعَهُمْ بِالْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَإِنْ كَانَ وَصَلَ لِمَقَامَاتِ الْكَمَالِ حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مِنْهُ وَيَقْتَدُوا بِهَدْيِهِ"

بِمَعْنَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا يَقُولَ : أَنَا دَاعِي !!، وَلَيْسَ مَهْمَا أَنْ أَصْلِي فِي الْجَمَاعِ مَعَ النَّاسِ لِأَنِّي حَاضِرٌ مَعَ اللَّهِ عَلَى الدَّوَامِ !!. لِأَنَّهُ إِمَامٌ يَقْتَدِي بِهِ وَيَهْتَدِي بِهَدْيِهِ، فَلَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ أَوْلَ النَّاسِ قِيَامًا بِالْحَقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ، مَهْمَا كَانَ فِي الْمَقَامَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ وَدَرَجَاتِ الْقُرْبِ عِنْدَ رَبِّ الْبَرِيَّةِ ﷻ، وَهَذَا حَالُ الْأُمَّةِ وَالِدَّاعَاةِ وَحَالِ الصُّوفِيَّةِ الصَّادِقِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

الإمام أبو بكر الصديق

ولذلك: ... من هو أول إمام اقتدى به المتصوفة بعد سيدنا رسول الله ؟ لا خلاف أنه سيدنا أبو بكر الصديق، وبعده الفاروق، وبعده سيدنا عثمان، وبعده الإمام علي، لأنهم كانوا أئمة، شرعاً وتحقيقاً.

فلم يكن في عصرهم انفصام بين الشريعة والحقيقة كما نرى الآن، لكنهم كانوا رجال الشريعة وهم في نفس الوقت أئمة الحقيقة.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿فكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قدوة الصوفية في التخلي للتخلي والتجلي، فهو أول من تخلى عن كل ما يملك من الدنيا رغبة في الآخرة، وقد وضع ذلك في قول الحبيب رضي الله عنه له :

{ ماذا خلفت لأهلك؟ قال الله ورسوله }¹

و الحبيب رضي الله عنه لم يناقضه ولم يأمره بخلاف ذلك لأنه رآه أهلاً لذلك فهو إمام في هذا المقام في مقام التخلي. أو فيما يسمى في مقامات الصالحين مقام التجريد، فحال التجريد الذي انفرد به الأقطاب في كل زمان ومكان بأن جردوا أنفسهم من الدنيا والشهوات والحظوظ والأهواء والملذات فخلع عليهم الله ﷻ خلع الكمالات الإلهية والمزايا والخصوصيات المحمدية.

هذه الأحوال للأئمة، مَنْ إمامهم فيها؟

الإمام أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه.

وكذلك سر الوصول إلى الجنب العالي ما هو؟ ومن الإمام في هذا المقام الذي اقتدى به الصوفية على مدى الدهور والأيام والأعوام؟ سيدنا أبو بكر الصديق. لأننا لو فسرنا كل ما قاله الصالحون السابقون واللاحقون، فإنه لا يخرج عن قول الصديق مخاطباً للحبيب رضي الله عنه:

أحبك حبا لو يفاض يسيره... على الناس مات الناس من شدة الحب

وما أنا موف بالذي أنت أهله... لأنك في أعلى المراتب من قلبي

﴿فأول إمام في مقامات التمكين من الأولين والآخرين هو سيدنا أبو بكر الصديق، لأن حبه لسيدنا رسول الله الذي لا يضاهى ولا يماثل لم يجعله

¹ عن عمر بن الخطاب في المحلى { أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة فأتى أبو بكر بماله كله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. }

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

يفقد وعيه، كما حدث لأصحاب الحبيب عند انتقاله إلى الرفيق الأعلى، بل مكَّنه الله وكان هو الذي ثبَّتْهم ومكَّنْهم.

فسيدنا عمر مع شدته وقوته، أمسك السيف وقال: من قال إن محمداً قد مات قطعت عنقه بهذا السيف، وسيدنا عثمان أخذ فقعد ولم يستطع القيام والنهوض من شدة ما حدث له عندما علم بهذا الخبر، وغيره وغيره.

لكن صاحب التمكين هو الذي ظهر في هذا المكان وهو الذي وقف ودخل عليه وكشف وجهه وقبَّله من جبينه وقال: طبت حياً وميتاً يا رسول الله، ثم خرج فقال: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت...:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران]

سيدنا عمر بلغ به الأمر أن قال: و الله كاني ما سمعت هذه الآية إلا الآن، لأنه سمعها من رجل من أهل التمكين.

فإمام أهل التمكين هو سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

﴿ومع ذلك آتاه الله عِلْمَ الفراسة النورانية في أكثر من موضع:

فعندما اجتمع أصحاب رسول الله وقرروا أن يبقى بعث أسامه وقالوا: مازال الناس حديث عهد بالجاهلية، وقد ارتد كذا وكذا من العرب... كانت فراسته حيث قال:

"و الله لو تخطفنتي الطير بالمدينة ما أبقيت بعثا بعثه رسول الله ﷺ."

و أرسل بعث أسامه، فكانت فراسته هي سبب القضاء على الردة لأن

﴿الباب الثالث: أئمة الصوفية الأولين﴾ ﴿١٥﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

القوم (العرب والروم) عندما رأوا أسامة يتجه إلى الشام، عرفوا أن الإسلام مازال فتياً وقويًا، وقالوا:

لو لم يكن عند المسلمين قوة ما أنفذوا بعث أسامة. فرجع كثير منهم عن تفكيره في الردة، ثم بعد ذلك اجتمعوا على أن يصالح العرب ويتركهم ويهادنهم إلى حين، وأصرّ؛ وكان في ذلك نجاة الدين.

﴿فكأن أبوبكر هو الذي أقام الدين بعد حبيب رب العالمين ﷺ؛ حتى أنه ثار على عمر وقال: مالك يا عمر أجبارٌ في الجاهلية، وخوّارٌ في الإسلام! والله لو منعوني عناقاً - يعني ماعزا - كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.﴾

وهي هي الفراسة التي كانت مع أبو بكر الصديق ﷺ والروح التي نفخ بها فيمن حوله فجعلهم على هذه الصلابة وعلى هذه القوة، هذه الروح التي يقول فيها سيدي محي الدين بن العربي رحمته الله: لو ظهرت روح أبو بكر الصديق لهزمت جيشا بأكمله.

وما زال سيدنا أبو بكر الصديق: يواصل العطاء، يوجه الأئمة والفحول، مناما ويقظة، ويوصيهم، ويعلمهم، ويوجههم، ويهذبهم، ويقويهم، بروحه العالية وحالته الراقية ﷺ وأرضاه.

﴿وكذلك له كرامات؛ كما للصالحين أجمعين، وكما للصديقين في كل وقت وحين: فقد قال لعائشة رضي الله عنها: أني كنت نحلتك نحلا إنما هو أخواك وأختاك، وما عرفت عائشة إلا أخوين وأختا، وكانت لأبي بكر جارية حبلى، فقال: لقد ألقى في روعي أنها أنثى؛ فهذا أتم ما كان في الفراسة والإلهام؛ التي قال فيها النبي ﷺ:﴾

{ اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ تَعَالَى }^٢

﴿١﴾ ولأبي بكر رضي الله عنه معان أخرى مما تعلق بها أهل الحقائق وأرباب القلوب وإن ذكرنا جميع ذلك طال الكتاب :

﴿٢﴾ فقد حكى عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: ما فاق أبو بكر رضي الله عنه جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الصوم والصلاة، ولكن بشيء كان في قلبه، قال بعضهم: الذي كان في قلبه الحب لله صلى الله عليه وسلم والنصيحة له.

﴿٣﴾ ويقال إن أبا بكر رضي الله عنه كان إذا دخل وقت الصلاة يقول:

يا بني آدم قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها.

﴿٤﴾ وروى عنه أنه أكل طعاماً من شبهة، فلما علم به تقياً، وقال :

والله لو لم تخرج إلا مع روعي لأخرجتها، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

{ بدن غُذِّي بحرام فالنار أولى به }^٣.

﴿٥﴾ وكان يقول :

وددت أن أكون خضراء تأكلني الدواب، ولم أخلق مخافة العذاب وهول يوم الحساب.

﴿٦﴾ وروى عن أبي بكر الصديق أنه قال :

ثلاث آيات من كتاب الله صلى الله عليه وسلم اشتغلت بها عما سواها إحداها :

قوله :

﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ

^٢ سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدري

^٣ المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن أبی بکر الصدیق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : {من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به}.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿يُرِدُّكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [الآية (١٠٧) يونس]

فعلت أنه إن أرادني بخير لم يقدر أحد أن يرفع عني غيره، وإن أرادني بشر لم يقدر أحد أن يصرف غيره.

و الثانية قوله :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [الآية (١٥٢) البقرة]

فاشتغلت بذكر الله تعالى عن كل مذكور سوى الله.

و الثالثة قوله :

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [٦) هود]

فوالله ما هممت برزقي منذ قرأت هذه الآية.

🕯️ ويقال: إن هذه الآيات لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

يا من ترفع بالدنيا وزينتها ... ليس الترفع رفع الطين بالطين

إذا أردت شريف الناس كلهم ... فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي عظمت في الناس رأفته ... وذاك يصلح للدنيا وللدين

🕯️ وحكي عن الجنيد أنه قال : أشرف كلمة في التوحيد؛ قول أبي

بكر: سبحان من لم يجعل للخلق طريقا إلى معرفته؛ إلا بالعجز عن معرفته.

سَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ فإنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

{ لقد كان في الأمم مُحدثون ومُكلمون فإن يك في هذه الأمة فعمر }^٤.

سُئل بعض أهل الفهم عن المُحدث، فقال :

أعلى درجة من درجات الصديقين. ودلائل ذلك ظهرت عليه...:

﴿ وهو ما ذُكر عنه أنه كان يخطب فصاح، فقال في وسط خطبته: يا سارية الجبل !!، وسارية في عسكر على باب نهاوند، فسمع صوت عمر، وأخذ نحو الجبل وظفر بالعدو. ﴾

وقيل لسارية: كيف علمت ذلك؟

فقال: سمعت صوت عمر رضي الله عنه ... يقول: يا سارية الجبل...! الجبل...!

﴿ وروي عن أبي عثمان النهدي، أنه قال: رأيت على عمر، رضي الله عنه قميصاً فيه اثنا عشر رقعة وهو يخطب. ﴾

﴿ وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: رحم الله امرءاً أهدي إلي عيوبي. ﴾

﴿ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

{ الشيطان يفرق من ظل عمر رضي الله عنه }^٥.

﴿ وقال عمر رضي الله عنه : من خاف الله تعالى لم يشف غيظه، ومن اتقى الله لم يفعل كلما يريد، ولولا القيامة لكان غير ما ترون. ﴾

﴿ ويقال أنه أخذ تبنه من الأرض فقال: يا ليتني لم تلدني أمي، يا ليتني كنت هذه التبنه، يا ليتني لم أك شيئاً. ﴾

﴿ وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما ابتليت ببلية إلا كان لله علي فيها أربع نعم: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم تكن أعظم منها، وإذ لم أحرم

^٤ رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وعائشة.

^٥ رواه الألباني في السلسلة الصحيحة عن بريدة بن الحصيب الأسلمي.

الرضا فيها، وأن أرجو الثواب عليها.

🕯️ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين، لم أبال أيهما ركبت.

🕯️ وجاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، فشكا إليه الفقر..، فقال: عندك عشاء ليلتك؟، قال: نعم..، قال: لست بفقير.

🕯️ وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما على وجه الأرض أحد أحب إلى أن ألقى الله تعالى بمثل صحيفته إلا هذا المسجى عمر رضي الله عنه.

🕯️ قال: ورأى علي رضي الله عنه، يوماً عمر رضي الله عنه، وهو يعدو في وقت الهاجرة، فسأله عن عدوه؟ فقال: قد أغير على إبل الصدقة، فرحت أعدو في طلبها، قال: فقال علي رضي الله عنه:

" قد أتعبت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين "

🕯️ 🕯️ ولأهل الحقائق أسوة وتعلق بعمر رضي الله عنه، بمعاني خُص بذلك عمر رضي الله عنه من اختياره :

- لبس المرقعة، والخشونه.
- وترك الشهوات.
- واجتناب الشبهات وإظهار الكرامات.
- وقلة المبالاة من لائمة الخلق عند انتصاب الحق، ومحق الباطل.
- ومساواة الأقارب والأبعد في الحقوق.
- والتمسك بالأشد من الطاعات.
- وغير ذلك مما روي عنه وبيانه يطول.

﴿﴾ وأما ما روي عن عمر رضي الله عنه :

أنه رأى جماعة جلوساً في المسجد فأمرهم بطلب الكسب، والذي كتب به إلى سلمان : فلعله عرف منهم عجزاً في جلوسهم وطمعهم في الناس أو غير ذلك، فلذلك أمرهم بطلب الكسب لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم ، قد رأوا أصحاب الصِّفَّة وهم نيِّف وثلاثمائة، ولم يكرهوا ذلك، ولم يؤمروا بالخروج من المسجد وطلب المعاش.

﴿﴾ وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأخيه زيد بن الخطاب يوم أحد: إن شئت نزعت درعي هذه حتى تلبسها، فقال له زيد: أنا أيضاً أحب الشهادة كما تحبها أنت، وهذه إشارة عظيمة منهما تدل على حقيقة التوكل.

﴿﴾ وقد روي عن عمر رضي الله عنه، أنه قال:

وجدت العبادة في أربعة أشياء:

- أولها: أداء فرائض الله تعالى.
- والثاني: اجتناب محارم الله تعالى.
- والثالث: الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله تعالى.
- والرابع: النهي عن المنكر اتقاء غضب الله تعالى.

﴿﴾ وأشبه ذلك كثيرة، وفي القليل كفاية.

عِثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رضي الله عنه

أما ذو النورين، سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد خص بالتمكين؛
والتمكين من أعلى مراتب المتحققين.

ومما يتعلق به أهل الحقائق من أهل التصوف بعثمان بن عفان رضي الله عنه :

ما روي عن بعض المتقدمين أنه سُئِلَ عن الدخول في الساعات :

فقال: لا يصح إلا للأنبياء والصديقين، والدخول في السعة التي هي من أحوال الصديقين أن يكون داخلاً في الأشياء خارجاً منها، وأن يكون مع الأشياء بائناً عنها.

● كما سئل يحيى بن معاذ رضي الله عنه عن صفة العارف فقال :

رجل كائن معه، بائن عنهم.

● وسئل ابن الجلاء رحمه الله، عن الفقير الصادق فقال :

يكون دخوله في الأشياء لغيره لا لنفسه.

● وهذا وصف حال عثمان رضي الله عنه، لأنه قد روي عنه أنه قال :

لولا أنني خشيت أن يكون في الإسلام ثلثة أسدّها بهذا المال ما جمعته.

● وعلامة من يكون هذا حاله: أن يكون الإنفاق أحب إليه من

الإمساك، والخرج عنده آثر من الدخل؛ كعثمان رضي الله عنه في تجهيزه جيش العسرة، وشراءه بئر رومة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

{ ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد هذا اليوم }^٦.

● وروي عنه أنه بعث إلى أبي ذر رضي الله عنه، بكيس فيها ألف درهم،

ودفعها إلى عبد له وقال: إن قبلها فأنت حر لوجه الله تعالى، فدل

ذلك على أن أمواله كانت مستعدة لمثل هذه الجهات ولا يصح هذا

^٦ المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن عبد الرحمن بن سمرة

الحال إلا لعبد كامل المعرفة.

● قال سهل بن عبد الله، رحمه الله :

لا يصح الدخول في السعة إلا لعبد يعرف الإذن :

إذا أذن الله له أن ينفق أنفق على مقدار ما يأذن الله تعالى له، وإن أمسك على حسب ما يأذن الله تعالى له.

ويكون قيامه في ما يجمع الله عليه من الأموال للحقوق لا للحظوظ، فيكون مثله كمثل الوكيل يتصرف في مال صاحبه تصرف المالكين بإذن رب المال، وهو مكان صعب وقد غلط في ذلك خلق كثير بدعواهم هذا الحال وهم عبيد الدنيا، وعندهم أنهم من هؤلاء.

● وقد حُكي عن سهل بن عبد الله رحمه الله، أنه قال:

ربما يملك العبد الدنيا، ويكون أزهق الخلق في زمانه.. فقليل له :
مثل من؟ فقال: مثل عمر بن عبد العزيز.

وكان ﷺ (أعني عمر بن عبد العزيز) في خلافته يميز بين الزيت الذي يسرج لنفسه والزيت الذي يسرج للعامة، وكان يضع سراجَه على ثلاث قصبات، وفي يده خزائن الأرض.

● فمن هاهنا غلط من غلط في تشريف الغنى على الفقر، وذهب عليه أن هؤلاء لم يكونوا أغنياء بأعراض الدنيا، ولا فقراء بما يعدمون من الدنيا، لأن غناهم بالله وفقرهم إليه.

﴿٨﴾ ومما يتعلق به أهل الحقائق بعثمان ﷺ، ما روي عنه أنه حمل حزمة حطب من بعض بساتينه، وكان له عدة ممالك،.. فقليل له :

لو دفعتها إلى بعض عبيدك..!

فقال: إني قد استطعت أن أفعل ذلك، ولكن أردت أن اجرب نفسي هل تعجز عن ذلك؟ أو هل تكره ذلك؟ فدل ذلك أيضا على أنه كان لا يدع افتقاد نفسه، وكان يفتقد رياضة نفسه لئلا يسكن إلى ما جمع إليه من الأموال لأنه ليس في ذلك كغيره.

🕯️ وروى عنه أنه كان يقرأ بالسبع الطوال في ركعة واحدة خلف المقام وهو مقنن رأسه بالليل.

🕯️ وروى عنه أنه قال: ما تمنيت ولا تعنيت ولا مسست ذكرى يميني منذ بايعت رسول الله عليه الصلاة والسلام.

🕯️ ومما يدل على تخصيصه بالتمكين والثبات والاستقامة ما روي عنه: أنه يوم قُتل لم يبرح من موضعه، ولم يأذن لأحد بالقتال، ولا وضع المصحف من حجره إلى أن قُتل ﷺ، وسال الدم على المصحف وتلطخ بالدم، ووقع الدم على موضع هذه الآية:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة، ١٣٧]

🕯️ والتمكين حال رفيع، كان عمرو بن علوان يقول: سمعت الجنيد رحمه الله ليلة من الليالي وهو يقول في مناجاته: إلهي أتريد أن تخدعني عنك بقربك، أم تريد أن تقطعني عنك بوصلك، هيهات هيهات، قلت لأبي عمرو: ما معنى قوله هيهات هيهات؟ قال: التمكين.

🕯️ وروى عن عثمان رضي الله عنه أنه قال:

وجدت الخير مجموعا في أربعة:

- أولها: التحبب إلى الله تعالى بالنوافل،

- والثاني: الصبر على أحكام الله تعالى.

- والثالث: الرضا بتقدير الله ﷻ.
- والرابع: الحياء من نظر الله ﷻ.

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

قال أبو علي الروزباري، سمعت الجنيد رحمه الله يقول:

رضوان الله على أمير المؤمنين علي ﷺ، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة، ذاك امرؤ أُعطي العلم اللدني، والعلم اللدني هو العلم الذي خُصَّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى:

﴿ وَعَلَّمْنَهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [سورة الكهف].

ولأمير المؤمنين علي ﷺ خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعاني جليلة، وإشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم، وغير ذلك.

وخصال شريفة تعلق وتخلق بها أهل الحقائق من الصوفية وإن ذكرنا ذلك كله طال به الكتاب، ولكن نذكر من ذلك طرفاً نكتفي به عن التطويل إن شاء الله :

﴿ فَمِنْهَا لَمَّا سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ:

" بما عرفني نفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب في بعده بعيد في قربه، فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه، أمام كل شيء ولا يقال شيء أمامه، داخل في الأشياء، لا كشيء ولا من شيء، ولا في شيء، ولا بشيء، سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره."

﴿﴾ وكان أمير المؤمنين، رضي الله عنه يقول في خطبته:

خلق الأشياء لا من شيء كان معه، ولا عن شيء احتذاه، ولا عن شيء
امثله، فكل صانع فمن شيء صنع، وكل عالم فمن بعد جهل علم،
و الله تعالى عالم لا من بعد جهل.

﴿﴾ وقول في الإيمان كما ذكر عنه عمرو بن هند قال :

سمعت علياً رضي الله عنه، يقول: الإيمان يبدوا لمظة بيضاء في القلب، فكلما
ازداد الإيمان ازداد القلب بياضا، فإذا استكمل الإيمان ابيض القلب، وإن
النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سوادا،
فإذا استكمل اسود القلب.

﴿﴾ وقام رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان، فقال:
الإيمان على أربع دعائم، على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد، ثم وصف
الصبر على عشر مقامات، وكذلك اليقين والعدل والجهاد، فوصف كل واحد
منها على عشر مقامات.

وبذلك فهو أول من تكلم في الأحوال والمقامات.

﴿﴾ وقيل لأمير المؤمنين رضي الله عنه، من أسلم الناس من سائر العيوب؟ قال:

من جعل عقله أميره، وحنده وزيره، والموعظة زمامه، والصبر قائده،
والاعتصام بالتقوى ظهيره، وخوف الله تعالى جليسه، وذكر الموت والبلى
أنيسه.

﴿﴾ وقال علي رضي الله عنه، في حديث كميل بن زياد :

ها إن ها هنا علم لو وجدت له حملة !! وأشار إلى قلبه، فكان
تخصيصه من بين الصحابة بالبيان والعبارة عن التوحيد والمعرفة، والبيان من

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أتم المعاني وأعلى الأحوال، قال الله تعالى [١٨٧ آل عمران]:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾

وقال تعالى::

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ ﴾ [الآية (١٣٨) آل عمران].

ولا يبلغ العبد كمال الشرف إلا بالبيان لأنه ليس كل من عقل يعلم، ولا كل من علم يحسن أن يبين، فإذا أعطى العبد العقل والعلم والبيان فقد بلغ إلى الكمال.

🕯️ والمشهور عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا إذا أشكل عليهم شيء من أمور الدين سألوا علياً رضي الله عنه، فكان يبين لهم الذي يشكل عليهم.

🕯️ وروى عن علي، رضي الله عنه أنه كان يقول :

أحب حبيبي هوناً ما فعسى أن يكون بغيبك يوماً ما، وأبغض بغيبك هوناً ما فعسى أن يكون حبيبي يوماً ما.

🕯️ وذكر عنه أيضاً: أنه وقف على باب الخزانة - خزانة الأموال - وقال: يا صفراء ويا بيضاء غُري غيري.

🕯️ وذكر عنه أيضاً: أنه لبس قميصاً شراه بثلاثة دراهم، فقطعه من رأس أصابعه وذكر عنه أنه عمل بأجرة، فأخذ أجرته مُدّاً من تمر، وحمل ذلك إلى رسول الله ﷺ فتقوّت به.

🕯️ وروى عنه أنه قال لعمر بن الخطاب: إذا أردت أن تلقى صاحبك فرقع قميصك، واخصف نعلك، وقصر أملك، وكُلْ دون الشبع.

🕯️ وروى عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: لولا علي - رضي الله عنه - لهلك عمر.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

يقال أنه لما قُتل عليه السلام، صعد الحسن عليه السلام منبر الكوفة وقال: يا أهل الكوفة لقد قُتل بين ظهرانيكم أمير المؤمنين، عليه السلام، والله إنه ما خَلَفَ من الدنيا شيئاً إلا أربعمئة درهم، وكان قد عزلها ليشتري بها خادماً يخدمه.

يقال: إن علياً، عليه السلام، كان إذا جاء وقت الصلاة يتزلزل ويتغير لونه فيقال له: مالك يا أمير المؤمنين؟.. فيقول:

جاء وقت أمانة عرضها الله تعالى على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أحسن أداء ما احتملت أم لا.

وقال علي رضي الله عنه: ما أنا ونفسي إلا كراعي غنم كلما ضمها من جانب انتشرت من جانب.

ولعلي عليه السلام، أشباه ذلك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التي يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الإشارات وأهل المواجيد من الصوفية.

فمن ترك الدنيا كلها وخرج من جميع ما يملك وجلس على بساط الفقر والتجريد بلا علاقة بإمامه فيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه. ومن أخرج بعضها وترك البعض لعياله ولصلة الرحم وأدار الحقوق لإمامه فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومن جمع لله ومنع لله وأعطى لله وأنفق لله وإمامه فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه. ومن لا يحوم حول الدنيا وإن جُمعت عليه من غير طلبه رفضها وهرب منها لإمامه في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وروي عن علي عليه السلام، أنه قال:

الخير كله مجموع في أربعة:

الصمت والنطق والنظر والحركة، فكل نطق لا يكون في ذكر الله

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

تعالى فهو لغو، وكل حركة لا تكون في تعبد لله فهي فترة، فرحم الله عبداً جعل نطقه ذكراً وصمته فكراً ونظره عبرة، وحركته تعبداً، ويسلم الناس من لسانه ويده.

نماذج من أحوال الصحابة الكرام الصادقة

﴿﴾ وأما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه :

فقد روي عن زياد بن خدير أنه قال: رأيت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، فوق مائة ألف في مجلس وإنه ليخيط طرف إزاره بيده.

﴿﴾ وأما معاذ بن جبل رضي الله عنه :

فقد روى الحارث بن عميرة قال: إني لجالس عند معاذ بن جبل رضي الله عنه، وهو يجود بنفسه ويقول: اخنق خنقك فوعزتك أي لاحبك.

﴿﴾ وأما عمران بن حصين رضي الله عنه :

قال: وددت أني كنت تراباً تذرني الرياح ولم اخلق مخافة العذاب.

﴿﴾ وقال ثابت البناني رحمه الله: أنه - يعني عمران بن حصين - رضي الله عنه، اشتكى بطنه ثلاثة وثلاثين سنة، فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقالوا: يمنعنا من الدخول عليك طول شكابتك، فقال:

لا تفعلوا ذلك؛ فإن أحبه إلى ربي أحبه إلي.

﴿﴾ وأما سلمان الفارسي رضي الله عنه :

فقد قيل: إنه لما نزلت هذه الآية:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر]

﴿ الباب الثالث: أئمة الصوفية الأولين ﴾ ﴿ ٩٩ ﴾

صاح صيحة ووضع يده على رأسه، ثم خرج هاربا ثلاثة أيام.

وفي الخبر أن سلمان رضي الله عنه، زار أبا الدرداء رضي الله عنه، من العراق إلى الشام راجلاً وعليه كساء غليظ مضموم الرأس شاحبا :

ف قيل له: شهرت نفسك، فقال: الخير خير الآخرة، وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبيد، فإذا اعتقت لبست جبة لا بلاء لمحاسنها.

﴿١٠٠﴾ وأما أبو الدرداء رضي الله عنه :

فإنه قال: كنت امرؤا تاجرا في الجاهلية، فلما أسلمت أردت أن أجمع بين التجارة والعبادة فلم تجتمعا لي، فأثرت العبادة على التجارة.

وسئلت أم الدرداء رضي الله عنها، عن أفضل عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه، فقالت: التفكير والاعتبار.

﴿١٠١﴾ وأما أبو ذر رضي الله عنه :

فإنه روي عنه أنه قال: إن قيامي بالحق لله تعالى لم يترك لي صديقاً، وإن خوفي من يوم الحساب ما ترك على بدني لحمًا، وإن يقيني بثواب الله تعالى ما ترك في بيتي شيئاً.

﴿١٠٢﴾ ويروى عنه قال: قتلني همّ يوم لم أدركه، فقيل له: وما ذاك؟

قال: إن أملي جاوز أجلي، وددت أن الله تعالى خلقني شجرة تعضد.

﴿١٠٣﴾ ودعى أبو ذر رضي الله عنه، إلى وليمة فسمع صوتا فانصرف وهو يقول: من أكثر سواد قوم فهو منهم، ومن رضي عمل قوم فهو شريكهم.

﴿١٠٤﴾ وحمل حبيب بن مسلمة إلى أبي ذر رضي الله عنه، ألف درهم :

فرد عليه وقال: عندنا عنز نحلبها، ومركوب يسارع على ظهرها، فلا حاجة لنا في غير ذلك.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿﴾ وأما أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه :

فإنه روي عنه أنه خرجت في كفه طعنة في أيام الطاعون، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرقوا منها، فأقسم لهم أبو عبيدة رضي الله عنه ما يحب أن له مكانها حمر النعم.

﴿﴾ وجاء رجل إلى أبي عبيدة رضي الله عنه، فسأله فرده، ثم جاءه فسأله فأعطاه فقال: الذي أعطاك والذي ردك الله صلى الله عليه وسلم.

﴿﴾ وقال أبو عبيدة: وددت أن أكون كبشاً لأهدى فيتعرق لحمي ويتجنى فرقي ولم أُخلق.

﴿﴾ وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

فإنه روي عنه أنه كان يقول: يا حبذا المكروهان الموت والفقر فما أبالي بأيهما ابتدأت.

﴿﴾ وروي أن في بيته كانت عشاش الخطاطيف: وكان له بنون، ف قيل له: لو نقضت هذه العشاش، فقال: والله لئن نقضت يدي من تراب قبورهم - يعني أولاده - أحب إلي من أن أكثر من عشاش هذه الخطاطيف بيضة واحدة.

﴿﴾ وأما البراء بن مالك رضي الله عنه :

فقد روي عن أنس بن مالك، رضي الله عنهما - أنه قال:

دخلت على البراء بن مالك رضي الله عنه، وقد مال برجليه على الحائط وهو يترنم بالشعر فقلت: يا أخي أبعد الإسلام والقرآن؟، فقال: يا أخي ديوان العرب، ثم قال: أتراني أموت وعلى فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين مبارزا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى ما أشركتُ فيه.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فلما كان يوم "شهرك ملك تُسْتُر" قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :
سمعت رسول الله ﷺ يقول:

{ كم من ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك رضي الله عنه }^٧.

فقال البراء: اللهم فإني أقسم عليك لما رزقتني الشهادة، ورزقت أصحابي الفتح، قال: فاستشهد البراء، وفتح الله عليه.

﴿١﴾ و﴿٢﴾ وأما عبد الله بن العباس رضي الله عنهما:

فإنه روي عنه أنه كان يقول: أفضل المجالس، مجلس في قعر بيتك حتى لا ترى ولا تُرى.

﴿٣﴾ وروى عنه أنه كان يقول: أن الله تعالى لبيتلي العبد بالفقر شوقاً إلى دعائه، ويقال إن هذا الموضع يعني خده كان مثل شراك النعل من كثرة الدمع يعني ابن عباس رضي الله عنه.

﴿٤﴾ وروى عنه أنه قال: لأن أرفع ثوباً فألبسه فيرفعني عند الخالق أحب إليّ من أن ألبس ثياباً تضعني عند الخالق، وترفعني عند المخلوقين.

﴿٥﴾ و﴿٦﴾ وأما كعب الأحمار، رضي الله عنه :

فقد روي أنه قال: لن ينالوا شرف الآخرة حتى يكرهون المدحة والثناء، وأن ينالوا الملامة في الله تعالى.

﴿٧﴾ وقال كعب رضي الله عنه: لن يستكمل العبد أجر الحج والجهاد حتى يصبر على الأذى.

﴿٨﴾ و﴿٩﴾ وأما حارثة رضي الله عنه، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:

^٧ سنن الترمذي - الجامع الصحيح عن أنس بن مالك

{ من أراد أن ينظر إلى عبد نور الله تعالى الإيمان في قلبه

فلينظر إلى حارثة ^{رضي الله عنه} {^٨

﴿﴾ وأما أبو هريرة ^{رضي الله عنه} :

فإن ثعلبة بن أبي مالك قال: رأيت أبا هريرة ^{رضي الله عنه} وهو يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خليفة مروان بن الحكم، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك، فقلت: أصلحك الله تكفى هذا، فقال: أوسع الطريق للأمير يا ابن أبي مالك.

﴿﴾ وروي عنه أنه بكى لما حضرته الوفاة فقيل له: ما يبكيك؟ قال: بُعِدَ المفازة، وقلة الزاد، وضعف اليقين، وعقبة كؤود، والمهبط منها إلى الجنة أو النار.

﴿﴾ وقال أبو هريرة ^{رضي الله عنه}: جرأت الليلة ثلاثة أجزاء، ثلثا أصلي، وثلثا أنام، وثلثا أستذكر فيه حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام.

﴿﴾ وأما أنس بن مالك ^{رضي الله عنه} :

فروي عنه أنه قال: إن أول من يرد الحوض يوم القيامة الذّابِلون الناحلون الذين إذا جنّهم الليل استقبلوه بحزن.

﴿﴾ وأما عبد الله بن عمر ^{رضي الله عنه} :

^٨ شعب الإيمان للبيهقي عن أنس بن مالك.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فروي عنه أنه كان يقول: ما كنا ننام ونحن عُزَّاب في أيام رسول الله ﷺ إلا في المسجد، ولم يكن لنا مسكن ولا مأوى.

﴿١﴾ وروي عنه أنه قال: لا تحب أبدا إلا من تثق بدينه.

﴿٢﴾ وكان يقول: ولا تطعموا طعامكم إلا كل تقي ونقي ولا تأكلوا إلا من طعام تقي نقي.

﴿٣﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إنما سلَّط على ابن آدم من يخافه، ولو لم يخف إلا الله لم يسلط الله تعالى عليه شيئا.

﴿٤﴾ وأما حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

فروي عنه أنه قال: إن أقرَّ يوم لعيني، ليوم إذا رجعت إلى أهلي فيشكون إليَّ الحاجة.

﴿٥﴾ وقال رضي الله عنه: كم من شهوة ساعة أورثت صاحبها حزناً طويلاً.

﴿٦﴾ ودعى حذيفة إلى مائدة فرأى عليها زىَّ العجم فانصرف وهو يقول: من تشبه بقوم فهو منهم.

﴿٧﴾ وأما عبد الله بن جحش رضي الله عنه:

فروي سعيد بن المسيب رحمه الله، قال: قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد: اللهم إني أقسم عليك أن ألقى العدو، وإذا لقيت العدو أن يقتلوني، ثم يقرروا بطني ثم يمثلوا بي، فإذا لقيتك قلت: فيم قتلت؟ فأقول: فيك. قال: فلقى العدو، فقتل، وفُعل به ذلك.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿﴾ وأما صفوان بن محرز المازني رضي الله عنه :

فإنه كان يقول: إذا أويت إلى أهلي وأصبت رغيماً أكلته فجزى الله الدنيا عن أهلها شراً، وما زاد على ذلك إلى أن خرج من الدنيا.

﴿﴾ وأما أبو مزونة رضي الله عنه :

فإنه رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان مولى لبنى سليم - سار ميلاً لم يذكر الله تعالى فيه، فرجع حتى سار فيه ذاكراً لله تعالى، فلما بلغ منتهاه قال: اللهم لا تنس أبا مزونة؛ فإن أبا مزونة لا ينسك.

﴿﴾ وأما أبو بكرة رضي الله عنه :

فإنه أغمى عليه عند قبر، فصرخوا عليه، فلما أفاق قال: ما من نفس تخرج ولا نفس دابة إلا وهي أحب إلي من نفسي، قيل له: ولم؟... قال: إنني أخاف أن أبقى إلى زمان لا أمر فيه بالمعروف ولا أنهى عن المنكر.

﴿﴾ وأما عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

فذكر عنه أنه بكى فبكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: إنك بكيت فبكيت، قال: إنني أنبت أني وارد النار، ولم أنبأ أني صادر.

﴿﴾ وأما تميم الداري رضي الله عنه :

فذكر عنه أنه قام ليلة إلى الصباح يبكي ويقرأ هذه الآية:

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا
سَحَّكُمُونَ ﴾ [الجاثية].

﴿ وأما عدى بن حاتم رضي الله عنه :

فروى عنه أنه كان يفتّ الخبز للنمل ترحماً عليهم.

﴿ وأما أبو رافع رضي الله عنه ، مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله :

فقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رجل:

يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ قال مامعناه : { كل مخموم قلب صدوق

اللسان ، قيل: يا رسول الله، وما مخموم القلب؟ قال: التقي النقي الذي لا

كدر فيه (ولا بغي) ولا حسد، الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة، قالوا: فما

نعرف فينا مثل ذلك غير أبي رافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله . }

﴿ وأما محمد بن كعب رضي الله عنه :

فإنه ذكر عنه أنه قال: "إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه ثلاث خلال

فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره عيوب نفسه".

﴿ وأما زرارة بن أوفى رضي الله عنه :

﴿ ١٠٦ ﴾ الباب الثالث: أئمة الصوفية الأولين ﴿﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فإنه روى عنه أنه أمّ الناس في مسجد بني قشير فقرأ قوله تعالى :

﴿فَإِذَا تُقْرِفِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾

[٨-٩] المدثر، فخر ميتاً.

﴿﴾ وأما حنظلة الكاتب ﴿﴾ :

فإنه روى عنه أنه قال :

{ كنا عند رسول الله ﷺ فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين، فعدت إلى أهلي فضحكت، ولقيت الناس، فقلت: نافق حنظلة !!، فقال أبو بكر رضي الله عنه: مالك؟ فأخبرته، فقال: إنا لنفعله أيضاً، فذهب حنظلة إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك، فقال: { يا حنظلة لو كنتم في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم }^١ أو كما قال: {يا حنظلة ساعة وساعة}.

﴿﴾ وأما اللجاج وكنيته أبو كثير صاحب رسول الله ﷺ :

فإنه روى عنه انه قال: أسلمت مع النبي ﷺ وأنا ابن خمسين سنة، ومات اللجاج وهو ابن عشرين ومائة سنة وقال:

{ ما ملأت بطني من طعام منذ أسلمت مع رسول الله ﷺ آكل حسبي وأشرب حسبي }

﴿﴾ وأما أبو جحيفة ﴿﴾ :

^١ صحيح مسلم عن حنظلة بن حذيم الأسدي التميمي

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فإنه روى عنه أن امرأته استخبأت ثلاثين درهماً فنسيتها حتى مضت لها سنة، ثم إنها ذكرتها، فقال لها: يا أخت هذيل اعتدى، بئس حشوة البيت أنت، لو متّ لعددت عند الله من الكنازين، إن نبي الله ﷺ مات، وعهده بين أعيننا جديداً، لم يترك ديناراً ولا درهماً ولا فلساً ولا براً ولا شعيراً.

﴿﴾ وأما حكيم بن حزام : ﴿﴾

فإنه روى أنه قال: ما أصبحت ذا صباح قط، لم أر عندي طالب حاجة، ولا مستعيناً على أمر: إلا عددته من المصائب التي أسأل الله تعالى الأجر عليها.

﴿﴾ وأما أسامة : ﴿﴾

فإنه روى عنه أنه اشترى فرساً إلى شهرين فقال النبي ﷺ لما بلغه ذلك: "إن أسامة لطويل الأمل".

﴿﴾ وأما بلال وصهيب : ﴿﴾

فإنه روى عنهما أنهما أتيا قبيلة من العرب فخطبا إليهم. فقبل لهما: من أنتما..؟ فقالا: بلال وصهيب، كنا ضالين فهدانا الله تعالى، وكنا مملوكين فأعتقنا الله تعالى، وكنا عائلين فأغنانا الله تعالى، فإن تزوجونا فنحمد الله وإن تردونا فسبحان الله، فقالوا: تُزوّجون والحمد لله، فقال صهيب لبلال: هلا ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ؟ فقال بلال: اسكت فقد صدقت فأنكحك الصدق.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ وَمَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، ﴾

فكانا متآخيين، قال عبد الله: كنت أنظر إلى مصعب فتدمع عيني رقة عليه، وكنت رأيته بمكة في الرفاهية وكان على رأسه ثلثة من الشعر، قال: فكنت أمر إلى بعض حيطان المدينة فأعمل في السواني إلى الأولى على مد من التمر فأحمله إلى مصعب بن عمير، ومر مصعب يوماً إلى رسول الله ﷺ فلم يجد عند رسول الله ﷺ إلا قطعة حيس، فأكل بعضها وحمل النصف الآخر إلى عبد الله بن ربيعة.

﴿ وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ آخَى بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَكَانَ لِسَعْدِ امْرَأَتَانِ فَقَالَ سَعْدُ: ﴾

أقاسمك مالي وأنزل عن إحدى امرأتي حتى تزوج بها، فلم يفعل ذلك عبد الرحمن، وقال: ذلوني على السوق، فدخل السوق وكسب حتى جمع شيئاً من التمر والسمن والأقط وتزوج أيضاً من عمل يده.

﴿ وَرَوَى أَنَّهُ نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ضَيْفٌ فَلَمْ يَجِدْ أَهْلَهُ شَيْئاً فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخَذَ مَهَ الضَّيْفِ، وَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ وَأَمَّ زَوْجَتَهُ أَنْ تَتَظَاهَرَ بِإِعْدَادِ الطَّعَامِ لِلْأَوْلَادِ حَتَّى يَنَامُوا فَفَعَلَتْ، ثُمَّ وَضَعَا بَيْنَ يَدَيْهِ الطَّعَامَ الْقَلِيلَ الْمَوْجُودَ عِنْدَهُمْ وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: أَطْفِئِي السَّرَاجَ، وَجَعَلَا يَمْدَا يَدَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ حَتَّى أَكَلَ الضَّيْفُ الطَّعَامَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴾

{ لقد عجب الله تعالى من صنعكم إلي ضيفكم }^{١٠}.

ونزلت هذه الآية [الآية (٩) الحشر]: ..

﴿ وَبُؤْرُوتَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

(١٠) صحيح البخاري عن أبي هريرة

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿﴾ وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما :

أنه قال: أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة، فقال إن أخي كان أحوج إليه مني، فبعث إليه، فلم يزل يبعث الواحد إلى الآخر حتى تناوله سبعة أبيات فرجعت إلى الأول.

قال: ونزلت فيهم هذه الآية:

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

﴿﴾ ومثل هذا كثير في الأخبار عن الصحابة.

وما منهم أحد، إلا وله تخصيص في معانٍ من هذا النوع الذي ذكرنا.

﴿﴾ ﴿﴾ ﴿﴾ والمؤمنون مندوبون إلى التعلق بمثل هذه الأفعال..

والتخلق بأخلاقهم فيما أتوا به من أنواع الطاعات.. ونطقوا به من أنواع الحكم...

﴿﴾ وقد ذكرنا القليل من الكثير.



البَابُ الرَّابِعُ

﴿المَعْرِفَةُ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ﴾

- المعرفةُ الصوفيةُ
- طريقُ اليقين
- مقامُ التحقيق
- حقيقةُ المعرفة
- عجائبُ الرؤيا الصادقة
- رأيُ الدكتور عبد الحلیم محمود
في الصفاء والمشاهدة



﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾



﴿١١٢﴾ ﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾

المعرفة الصوفية^(*)

القضية الأصلية التي سنبحثها في هذا المبحث :

﴿ ما مدى حاجة الإنسان إلى المعرفة الصوفية؟ ﴾

﴿ وهل للصالحين طريق للمعرفة، يختلف عن الطرق المعروفة..، ﴾

﴿ والمتداولة بين الناس!!؟ ﴾

﴿ وإذا كان ذلك، فما هو ؟ وكيف الوصول إليه ؟ ﴾

﴿ إن الطرق الثابتة والتي يحصّل الإنسان بها العلوم والمعارف هي: السماع أو القراءة والإطلاع أو النظر بعين الفكر :

﴿ فإما أن يسمع الإنسان من العلماء الأجلاء.... ﴾

﴿ وإما أن يتصفح الكتب والمراجع التي كتبها العلماء ودونوا فيها علومهم وأفكارهم ومعتقداتهم..... ﴾

﴿ وإما أن يتفكر الإنسان، ويتذكر، ويذكر، فيصل إلى حقائق.... عن طريق العقل، والعقل أيضاً باب من أبواب الوصول إلى المعارف في أي ميدان من الميادين.

﴿ ولكن الصالحين لهم طريق آخر للحصول على المعارف:

﴿ وهو القلب والفؤاد.

﴿ وقد أثبت الله ﷻ هذه الطرق لتحصيل المعارف في الآيات القرآنية

﴿ فقال عزّ شأنه ﴿١١٣﴾ [الإسراء]:

(*) كانت هذه المحاضرة بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي يوم الخميس ٤ من ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ الموافق ١٢ من مايو ٢٠٠٥ م.

﴿ الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ﴾ ﴿ فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ ﴾

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾

كما ترون إعجاز الله :

﴿ خلق السمع والبصر .

﴿ ثم الفؤاد والقلب .

﴿ وذكر في آيات أخرى غير هذه الآية: الفكر [١٩١ آل عمران]:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية].

أو يعقلون على اختلاف الآيات :

﴿ فالفؤاد أدق طريقة للوصول إلى الحقائق الغيبية .

فالبصر واللمس للحصول على الحقائق المحسوسة والملموسة التي أراها بعيني وألمسها بجوارحي : فأتحقق مثلاً من الحرارة، أو من البرودة، أو من الملوحة، فمن الحلاوة عن طريق الذوق، والحرارة والبرودة عن طريق الجلد، وهكذا وكلاً عن طريق الحواس. وكذلك عن طريق العين: يتعرف الإنسان على الأشياء الملموسة المحسوسة.

﴿ لكن الأشياء والقضايا الغيبية التي، يتوقف عليها انسجام الحياة الآدمية والتوافق النفسي لأي شخصية بشرية - لأن الله ﷻ خلق الإنسان من ظاهر يتعامل مع عالم الظاهر، وله باطن يتعامل به ويتواصل به مع عالم الباطن ، فالظاهر : هو هذا الجسم ويتعامل مع الحقائق الظاهرة.

والباطن: إن كان عقلاً أو قلباً أو روحاً أو سراً أو غيرها من الحقائق اللطيفة العالية: يتعامل مع عالم الألفاظ الخفية التي أخبرنا بها الوحي - ولا

سبيل إلى معرفتها إلا عن طريق الوحي.

﴿ فالوحي هو الذي أخبرنا عن : الدار الآخرة : لأننا لا نستطيع أن نحسها أو نلمسها ولا نستطيع أن نقننها في معمل أو مختبر ولا نستطيع شركة سياحية أن تجهز رحلة لمن يريد الذهاب بنفسه للدار الآخرة !! كيف تجهزها؟! وأين وسيلة المواصلات؟! ولأي جهة يتجهون؟! وفي أي موضع ينزلون؟! وماذا يرون؟! وماذا يشاهدون؟

أمور لا يستطيعها فكر ولا يستطيعها حس لأنها أمور غيبية.

وكذلك العوالم الغيبية :

عوالم الجنة، وعوالم النار، وعوالم العرش، وعوالم الكرسي، وعوالم اللوح، وعوالم القلم، وعوالم الملائكة، الذين منهم الحفظة الذين يحفظوننا من بين أيدينا ومن خلفنا، ومنهم الكرام الكاتبين الذين يسجلون أعمالنا، ومنهم الذين يسوقون لنا الأرزاق، ومنهم الذين يسوقون لنا الهواء، ومنهم الذين يأتون لنا بالضياء، ومنهم ومنهم إلى مالا نهاية من أنواع الملائكة.... وهم لطائف نورانية لا تراها عين الحس ولا يستطيع الإنسان أن يتعرف عليها بحواسه، وإنما سمعها الإنسان واعتقدها وأيقنها عن طريق الوحي الذي نزل به الأنبياء والمرسلين وإمامهم سيدنا رسول الله ﷺ.

وكذلك صفات الله ﷻ الإلهية، وأفعال الله ﷻ الذاتية، وتصرفاته سبحانه وتعالى القدسية، وتجلياته تبارك وتعالى اسمه الوهية.

كل هذه الأمور الغيبية جاءت بها الوحي : .. ولكن

حاول العلماء أن يقنعوا بها عوام المؤمنين عن طريق الدليل والبرهان!، ولا دليل ولا برهان في هذه الحقائق إلا من السنة والقرآن.

طريق اليقين

كيف يتيقن الإنسان بهذه الحقائق؟

لا سبيل له ولا وسيلة له: إلا إذا فتح عين بصيرته فيرى بها هذه الحقائق الغيبية، فيعاين عالم الألفاظ الخفية، ويرى هذه الحقائق الغيبية لأنها لا ترى بكيفية عينية، ولكنها ترى بحقائق ذاتية، يقول فيها الإمام أبو العزائم رحمته الله وأرضاه :

لا بكم أو بكيف ولكن ... بأنوار تعالت معنوية

ليس لها كم أو كيف !!، بل بأنوار إلهية...!!، فلا سبيل لهذه الحقائق إلا من هذا الطريق. ومن هنا كانت أحوال الصالحين والصوفية الصادقين في كل زمان ومكان تنقسم إلى شقين :

﴿ جهاد لتطهير النفس وتصفية القلب وفتح عين البصيرة. ﴾

﴿ ثم بعد ذلك مشاهدة بعين البصيرة لما يغيب عن العين ولا يراه إلا الأخيار والأطهار والمصطفين الذين قال فيهم الله ﷻ :

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ

مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ [سورة الأنعام]

إذن ليس بمفرده، ولكن كل من وصل إلى مقام الإيقان يشاهد في مقام العيان مالا تستطيع أن تراه العين المركبة في الأبدان؛ لأن عين الأبدان ترى عن طريق الضوء وطريق ذلك في علم الفيزياء عن طريق نظرية انكسار الضوء وكيف يتم.. إلخ..، والغرف التي خلقها الله فيها وكيفية تجهيزها، وذلك لكي ترى المحسوسات، لكنها لا ترى المعنويات :

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ حتى المعنويات الفكرية التي يفكر فيها الإنسان لا تراها، وكذلك الحقائق المعنوية القلبية لا يستطيع الإنسان أن يراها !

﴿ من الذي يستطيع أن يرى الإيمان؟

﴿ ومن الذي يستطيع أن يرى الحب، أو الشوق، أو الوجد الذي يوجد في قلب أي إنسان حتى ولو لإنسان، كيف يراه؟

لأنها حقائق معنوية لا تراها العين الحسية وهذه حقائق فكرية وليست حقائق غيبية إلهية.

فكان مقتضى الأمر أن الصوفية عندهم في بواطنهم وفي قلوبهم ظمأ إلى المعرفة اليقينية، لا يكتفون بتحصيل المعارف الظاهرة ولا يقفون عند الدليل والبرهان ولكن يريدون أن يشهد القلب والجنان كل ما تحدث به عالم القرآن عن غيب حضرة الرحمن ﷻ، وأنبأ الله سبحانه وتعالى أن ذلك في الإمكان (١٨ آل عمران) :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ ﴾

هؤلاء أيضاً يشهدون، وأوجبوا على أهل هذا المقام هذه الشهادة، وقالوا: إن الإنسان لكي يعبد الله حق عبادته لا بد أن يعرفه.

كيف تعبد من لم تعرفه؟ لمن تصلي؟ ولمن تصوم وتحج وتزكي؟

لا بد أن تعرف من تتوجه له بالعبادة معرفة يقينية، حتى تكون هذه العبادة خالصة وتدخل في قول الله [١٠٠ التوبة]:

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾

وأول باب لدخول الإنسان في العبادة :

هي الشهادة لكي يدخل الإنسان في الإسلام، ماذا يقول؟

﴿ الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية ﴾ ﴿ ١١٧ ﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

يقول: أشهد، ولا يقول: أعلم أن لا إله إلا الله، والشاهد: لا بد أن يكون رأى وعين، هل يجوز للإنسان أن يشهد على شيء لم يره؟
كلا لأنها تكون شهادة زور، فمقتضى الشهادة أن يشهد الإنسان حقيقة: أنه لا إله إلا الله.

ولذلك سئل الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه: هل رأيت ربك؟

قال: كيف أعبد رباً لم أره؟، قالوا: وكيف رأيته؟، قال :

لا تراه العيون بالحدقة والأجفان، وإنما تراه القلوب بحقائق الإيقان

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿١٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [القيامة].

مَقَامُ التَّحْقِيقِ

فيلزم للإنسان أن يصل لهذا المقام، لكي يرتقي لمقام التحقيق.

وهذا ما يسميه الصوفية: التحقيق، فالتحقيق يعني: أن يرى الحقائق الغيبية التي تحدث عنها القرآن وأخبر عنها النبي العدنان، بعين القلب وبعين الإيقان، كيف يراها؟ وهل يستطيع وصفها؟

هذا أمر يستحيل فيه البيان، وإنما غاية ما يقول فيه القائلون ، ما قال فيه الإمام الغزالي رحمته الله :

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ولذلك فالإمام الغزالي رحمته الله يقول في بدء سلوكه طريق التصوف في كتابه "المنقذ من الضلال" :

((ثم إنني لما فرغت من هذه العلوم، أقبلت بهمتي على طريق

﴿ ١١٨ ﴾ ﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾

الصوفية، وعلمت أن طريقتهم تتم بعلم وعمل، وكان حاصل عملهم قطع عقبات النفس، والتنزه عن أخلاقها المذمومة، وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصل بها إلى تخلية القلب عن غير الله تعالى، وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر علي من العمل، فابتدأت بتحصيل علمهم، من مطالعة كتبهم، مثل "قوت القلوب" لأبي طالب المكي رحمه الله، وكتب الحارث المحاسبي، والمتفرقات المأثورة عن الجنيد والشبلي، وأبي يزيد البسطامي، قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام مشايخهم، حتى اطلعت على كنه مقاصدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقتهم بالتعلم والسماع، فظهر لي أن أخص خواصهم ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلم، بل بالذوق والحال، وتبدل الصفات.

وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة، وحد الشبع، وأسبابهما وشروطهما، وبين أن يكون صحيحاً وشبعاناً، وبين أن يعرف حد السكر، وأنه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن يكون سكراناً، بل السكران لا يعرف حد السكر وعلمه وهو سكران، وما معه من علمه شيء، والصاحي يعرف حد السكر وأركانه، وما معه من السكر شيء، والطبيب في حالة المرض، يعرف حد الصحة، وأسبابها، وأدويتها، وهو فاقد الصحة.

كذلك فرق بين أن تعرف حقيقة الزهد وشروطها، وأسبابها، وبين أن يكون حالك الزهد، وعزوف النفس عن الدنيا.

فعلمت يقيناً: أنهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال، وأن ما

يمكن تحصيله بطريق العلم، فقد حصلته، ولم يبق إلا ما لا سبيل إليه بالسمع والتعلم، بل بالذوق والسلوك)).

فلذلك لا يستطيع الإنسان أن يدرك حقائق الصوفية إلا إذا عاشها وتلقاها من رجل حي عارف بالله ﷻ، وهذا ما جعل هذا الرجل سلك طريق الصوفية، لماذا؟

لأن هؤلاء يريدون أن يصلوا إلى معرفة الحقائق القرآنية بالأذواق القلبية والمكاشفات الروحانية، وهذا لمن عنده قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لمن عنده هذا الاستعداد.. وله هذا الإمداد.. والذي عنده هذا الاستعداد: كالإمام أبو العزائم مثلاً كان يقول :

أرى فؤادي يطالبني برؤيته ... يلح عليّ فؤادي دوماً

أريد هذه الرؤية، وهل الرؤية مستحيلة؟... كلا...!! إنها مستطاعة، ولو أنها مستحيلة لم يطلبها نبي الله موسى، ويقول:

﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف ١٤٣]

فكونه طلبها فهذا يقتضي جواز هذه الرؤية، وأنها في الإمكان.

وسيدنا إبراهيم عندما طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى؛ قال ربي أرني، ولم يقل ربي أعلمني كيف تحي الموتى، قال: أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.

وهذه أحوال الصوفية يريدون أن يروا الكيفية والأنوار العلية، ويريدون أن يروا التجليات الربانية المنبثة في الأكوان، لأنها متاحة لمن صفا ووفى وفتح الله ﷻ له هذا الميدان، كما فتحه للأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين في كل وقت وحين.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

وبعد أن سلك الإمام الغزالي طريق القوم استرسل قائلاً في كتابه المنقذ من الضلال :

"وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصائها واستقصائها والقدر الذي أذكره لينتفع به :أنني علمت يقيناً أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة، وأن سيرتهم أحسن السير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق، بل لو جمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا من سيرهم، وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً، فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة: فماذا يقول القائلون في طريقة :

﴿ طهارتها - وهي أول شروطها - :

تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى.

﴿ ومفتاحها - الجاري منها مجرى التحريم من الصلاة - :

استغراق القلب بالكلية بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية في الله.

﴿ وهذا آخرها، بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار

والكسب: من أوائلها، وهي، على التحقيق: أول الطريقة، ومقابل ذلك: كالدهليز للسالك إليه، ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى إنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم

﴿ الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية ﴾ ﴿ ١٢١ ﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد.

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه.

بل الذي لا يسته الحال لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان مما لست اذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت ٦٩]

فيهديهم لهذه السبل؛ سبل الكشف، وسبل المشاهدة، وسبل البصيرة وسبل العلوم الوهبية، والمشاهدات القرآنية الرحمانية: والتي يدخلها العارفون فيرون حقائقاً صادقة، وينطقون بهذه العلوم بأمر من الله... للصدر التي تتحملها، ويرون أنها لا تنكرها، بعد أن يعاينوها بما أودعه الله ﷻ في قلوبهم من النور، وهذه هي المعرفة الصوفية التي ينشدها الصوفية.

حَقِيقَةُ الْمَعْرِفَةِ

ماذا يريدون من المعرفة؟

يريدون معرفة أشهد أن لا إله إلا الله.

ويريدون معرفة أشهد أن محمد رسول الله.

يشهدونها.... ولذلك قالوا :

﴿١٢٢﴾ ﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أن الناس في الإيمان درجات: فيهم العوام المؤمنين لأنهم ولدوا من آباء وأمهات مؤمنين ومسلمين، وهناك العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالأدلة والبراهين، وهؤلاء على قدرهم!، وهناك الأفاذا والأكابر الذين يؤمنون عن شهود!، لا عن دليل أو برهان!، وإنما عن شهود بعين أوجدها فيهم الرحمن عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه العين موجودة في القلب...:

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج] ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف] ١٠٨

فالتصوف يدور حول هذه الحقيقة :

أن الصوفية يريدون المعرفة الذوقية، أو إن شئت قلت المعرفة العينية، أو إن شئت قلت المعرفة الشهودية للحقائق الغيبية القرآنية التي جاء بها القرآن ونزل بها الوحي على النبي العدنان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

حجائب الرؤيا الصادقة

هل يصدق العقل بإمكانية ذلك؟

نعم، ولم لا، وعجائب الرؤية الصادقة تُنبئ عن ذلك، فإن الرؤية الصادقة التي يراها الناس في المنام وتتحقق في اليقظة: إنما هي قبس من عالم الغيب، يراه الإنسان عند نومه وتتحقق له في عالم اليقظة.

والذين يَعْبُرُونَ هذه الرؤى لا يستنبطون بفكرهم، وإنما يعبرون بأرواحهم إلى هذه الحقائق التي أتت إلى محدثيهم وأحبابهم، وينبئونهم كما شهدوها ورأوها بأرواحهم. ولذلك قد يزيدون على الرؤية، وقد ينقصون منها، فعلى

﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾ ﴿١٢٣﴾

سبيل المثال :

رؤيا الملك في سورة سيدنا يوسف عليه السلام، عندما قال الملك :

﴿ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ
وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ [٤٣ يوسف]

بم أولها سيدنا يوسف؟ قال: سيكون سبع سنين رخاء، ثم سبع سنين
عجاف، وعام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون!!، هل هذا العام مذكور في
الرؤيا؟ لا، لأن الرؤيا فيها سبعة وسبعة فقط، وهذا العام غير موجود في
الرؤيا... من أين أتى به؟

وما كنتم للرؤيا.. ليس " تُعْبَرُونَ " .. ولكن " تَعْبُرُونَ " ... تعبرون
بأرواحكم إلى المصدر الذي تبث منه الرؤيا، ولذلك قال :

﴿ ذَلِكُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾ [٣٧ يوسف]

وهذا علم علمه من الله وَعَجَلٌ .

ولذلك لماذا برع ابن سيرين في الرؤيا؟

لأنه رأى سيدنا يوسف في المنام، وقال له: افتح فاك، ففتح فاه فوضع
فيه لسانه، فمص لسان سيدنا يوسف عليه السلام، فقام من نومه وقد أحسن
تأويل الرؤيا... وراثه.

وعندما كان يستفتيه الناس في الرؤى كان يفتيهم ويفسر لهم بالإلهام:

﴿ جاءه رجلان في مجلس واحد، فقال أحدهما :

رأيت في المنام أني أؤذن، فقال: إنك ستسرق وتقطع يدك.

وجاءه في نفس الوقت الرجل الآخر وقال: رأيت أني أؤذن، فقال :

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

ستحج إلى بيت الله الحرام. فتعجب الحاضرون، فقال: عندما حدثني الأول كانت الآية التي مرت على خاطري :

﴿ ثُمَّ أَذِّنْ مُؤَدِّنِ أَيُّهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴾ [يوسف]

ولما حدثني الآخر: كانت الآية التي مرت على خاطري

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ﴾ [آية ٢٧ سورة الحج]

✽ ذهب إليه الإمام أبو حنيفة في مقتبل عمره وقال له: رأيت رؤيا أهالتي وأفرعتني، وكان في غاية الحزن بسبب هذه الرؤيا قال: وماذا رأيت؟ قال: رأيت أني ذهبت إلى قبر رسول الله ﷺ، ونزلت فيه فوجدته ﷺ، عظاما فجمعت هذه العظام، فقال له: إنك ستجمع سنته. وذلك لأنه علم إلهامي من الله ﷻ .

ولا ينفع تأويل الرؤيا من أي كتاب ككتب علم النفس أو غيره حتى كتاب ابن سيرين.

إذن ماذا يفعل المؤول؟ .. يقف على باب قلبه، حتى يفتح الله ﷻ له باب تأويل الرؤيا فيؤلها بربه لا بنفسه ولا بفكره ولا بعلمه، فالذي يؤول برأيه أو بفكره أو بعلمه: قد يخطئ في الإجابة، لكن الذي يؤول بربه لا يخطئ أبداً ، لأنه من باب :

﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ لَدُنَّا عِلْمًا ﴾ [سورة الكهف]

ولم يقل بقية العلوم، ولكن علما واحدا يستطيع تحمله أو يليق به أو يحتاج إليه، وعلوم الله لا حد لها ولا انتهاء لها.

فهذه العلوم التي خص الله بها هؤلاء القوم نتيجة الوقوف على بصائرهم حتى يفتحها الفتح ﷻ، فتطلع على عالم الغيوب، فتنظر فيه إلى مواهب الله

﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾ ﴿١٢٥﴾

وإلى ما خص به الله أحبابه وأصفيائه :

فينطقون معبرين لمن اصطفاهم الله عما يستطيعون تحمله مما كاشفهم به الله جل في علاه، ويبقى هناك علوم وأسرار لا يستطيعون إذاعتها أو نشرها أو بثها، يقول فيها الإمام علي زين العابدين عليه السلام :

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به ... لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسناً

وهذا باختصار موضوع المعرفة عند الصوفية :

فالصفاء يحتاج إلى المجاهدة، ثم بعد الصفاء تأتي المشاهدة، وفي المشاهدة تلوح لهم وعليهم أنوار العناية.

- منهم من يجمل بالفراسة.
 - ومنهم من يجمل بالمكاشفة.
 - ومنهم من يجمل بالمحادثة.
 - ومنهم من يجمل بالإلهام.
 - ومنهم من ينطق بغوامض الحكمة،
- كل واحد على قدر ما يعطيه الله ويفتح له من كنوز عطاء الله ﷻ.

ولذلك لو بحثنا عن معنى الصوفية وتعريفها، كلها نجدها :

❁ إما تتحدث عن الوسيلة وهي الجهاد.

❁ أو الغاية وهي المشاهدة.

والوسيلة الغاية منها الصفاء، وبعد الصفاء... المشاهدة.

رَأْيُ الدُّكْتُورِ عَبْدِ الحَلِيمِ مُحَمَّدٍ

فِي الصِّفَاءِ وَالْمَشَاهِدَةِ

وفي ذلك يقول الإمام د. عبد الحلیم محمود في كتابه "قضية التصوف" وهو يحلل تعريف أبو بكر الكتاني للتصوف بأنه صفاء ومشاهدة: ((وإذا نظرنا إلى تعريف الكتاني، فإننا نجد أن عباراته المختصرة : قد جمعت بين جانبيين هما اللذان - فيما نرى - يكونان - في وحدة متكاملة - تعريف التصوف...:

أحدهما : وسيلة...، والثاني : غاية....،

أما الوسيلة : فهي الصفاء.

وأما الغاية : فهي المشاهدة.

والتصوف من هذا التعريف: طريق، وغاية.

وطريقه يتضمن نواحي كثيرة تشير إليها تسميته نفسها.

ولعل ذلك من الأسرار التي كانت السبب في هذه التسمية، واتخاذها عنواناً على هذه الطائفة.

❁ لقد قال جماعة: إنما سميت "صوفية"، لصفاء أسرارها..

ونقاء آثارها.

❁ وقال "بشر بن الحارث": الصوفي: من صفا قلبه لله.

❁ وقال بعضهم: الصوفي :

من صفت لله معاملته، وصفت له من الله عز وجل كرامته.

وهؤلاء يهدفون إلى أن كلمة:

"الصوفية" إنما تشير إلى الصفاء، وهذه الإشارة لا تخضع لمقاييس اللغة، وما دامت "إشارة" فإنه من التعسف أن يجادل إنسان في أمر انسجامها مع اللغة وعدم انسجامها.

﴿ويقول قوم: أنهم سموا "صوفية" لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل، بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم بقلوبهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه.﴾

﴿وهؤلاء إنما يعبرون عن إشارة الصوفية إلى الصف: أي إلى الصف الأول في العمل على الوصول إلى الله والجهد في سبيله.﴾

﴿أما إشارة الكلمة إلى "أهل الصفة" الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما تشير إلى أوصافهم من العبادة، والتهجد، وعدم الطمع في الدنيا، واستعدادهم الدائم للجهد في سبيل الله.﴾

﴿وتشير الكلمة للصفة: أي الصفة الكريمة، التي لا يتعلق فيها القلب بالمادة وإنما يتعلق بالله تعالى.﴾

وكل ذلك إنما هو حديث عن الوسائل.

على أن هذه الوسائل التي تشير إليها الكلمة لها وسائل أخرى.

﴿هذه الوسائل الأخر منها ما يعبرون عنه بقولهم: "لا يملك ولا يملك"!!، ويعنون بذلك أنه: "لا يسترقه الطمع" ..:﴾

وهذه الكلمة لها مدلول واسع :

هو أن يتحرر الإنسان من الدنيا :

حتى ولو ملكها عريضة طويلة، يتحرر من الجاه، من الانغماس في الملذات، من الجري وراء المال، من حب السلطان، من حب الترف، من الصفات التي تتنافى مع الفضيلة.

❀ وخاتمة المطاف في هذه الوسائل:

أنها تؤدي إلى الصفاء، فإذا ما حل الصفاء، كان عند الإنسان استعداد كامل للمشاهدة، فيجود الله عليه بها، إن شاء.

هذه المشاهدة هي أسمى درجات المعرفة : وهي الغاية النهائية التي يسعى وراءها ذوو الشعور المرهف والفطر الملائكية، والشخصيات الربانية، فالتصوف إذاً معرفة - أسمى درجات المعرفة بعد النبوة - إنه مشاهدة وهو طريقة إلى المشاهدة.

وإذا أردنا أن نلجأ إلى الإمام "الغزالي" في تلخيص الطريق والغاية، فإننا نجده يقول في كتابه الخالد: "إحياء علوم الدين":

"الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم.

وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فإذا ما حصل ذلك كانت المشاهدة.

❀ ❀ ومن القصص اللطيفة التي تصور الوسيلة إلى المشاهدة في سهولة ويسر، القصة التالية : قال ذو النون رأيت امرأة ببعض سواحل الشام. فقلت لها: من أين أقبلت رحمك الله؟، قالت: من عند أقوام تنجاني

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، قلت: وأين تريدان؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، قلت: : صفيهم لي، فأنشأت تقول:

قوم همومهم بالله قد علقت ... فما لهم همم تسموا إلى أحد
فمطلب القوم مولاهم وسيدهم ... يا حسن مطلبهم للواحد الصمد
ما إن تنازعهم دنيا ولا شرف ... من المطاعم واللذات والولد
ولا للبس ثياب فائق أنق ... ولا لروح سرور حل في بلد
إلا مسارعة في إثر منزلة ... قد قارب الحظو فيها باعد الأبد
فهم رهائن غدران وأودية ... وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

﴿ ثم يستطرد في حديثه عن المشاهدة قائلاً: "والمشاهدة التي هي الغاية (للسوفية) هي أيضاً تحقيق واقعي للتعبير، الذي ننتق به في كل آونة حينما نقول: " أشهد أن لا إله إلا الله .."

فالشهادة هي غاية الصوفي، وهو إنما يسعى جاهداً إليها بشتى الوسائل ليحقق بالفعل مضمون ما يلفظ به قولاً، أو ما يقوله حروفاً .

وما من شك في أن تعاريف التصوف الكثيرة التي نجدناها منشورة هنا وهناك، والتي تكاد تبلغ الألف، إنما تعبر في أغلب الأحيان عن زاوية من زوايا التصوف تتصل بالوسيلة، أو تتصل بالغاية، فلا يمكن أن يقال عنها إذا ما كانت كذلك، إنها خطأ تام، ولكن الخطأ إنما هو في أخذها على أنها تعبر عن الحقيقة الكاملة ... ولكننا يمكننا القول بأن أقرب ما يعبر عن الحقيقة الكاملة من هذه التعريفات الكثيرة إنما هو تعريف الكتاني:

التصوف صفاء ومشاهدة. [كتاب قضية الصوف: ص: ٤٣-٤٧، دار المعارف ١٩٨٨].

﴿ ١٣٠ ﴾ ﴿الباب الرابع: المعرفة عند الصوفية﴾

البَابُ الْخَامِسُ

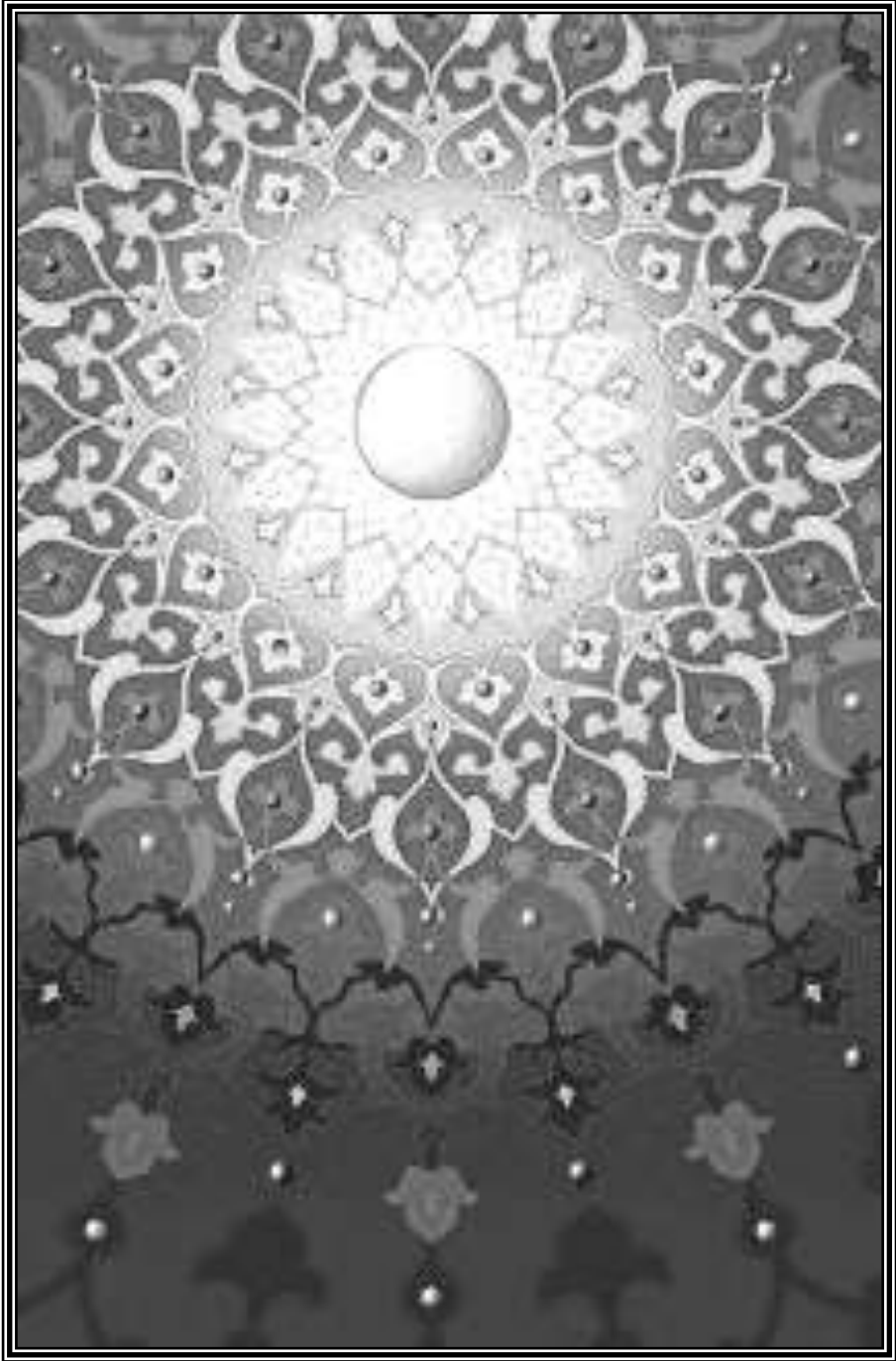
مَشْرُوعِيَّةُ أَحْوَالِ الصُّوفِيَّةِ

وَأَفْعَالِهِمْ

- مشروعيَّة الأوراد
- اسمُ الله الأعظم
- أسماء الله الحسنَى
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي مَجَالِسِهِمْ
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي الْإِنْشَادِ
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي مَوَاقِبِهِمْ
- السِّيَادَةُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي الْأُورَادِ وَالْأَحْزَابِ
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي تَقْدِيمِ مَا يَسْرُ لِإِخْوَانِهِمْ
- سَنَدُ الصَّالِحِينَ فِي أَحْوَالِهِمْ
- الْأَقْطَابُ
- الْأَوْتَادُ
- الْأَبْدَالُ



﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾



﴿١٣٢﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

مَشْرُوعِيَّةُ الْأُورَادِ

س : لماذا يتخذ الصوفية الأوراد ؟

ج : الأوراد أصلا هي منهج، لا يوجد واحد منا جميعا يستطيع أن يعمل بما في كتاب الله كله، وبسنة رسول الله ﷺ جميعها، فهذا مستحيل. ولكن كل واحد يأخذ بناحية ويعمل فيها ويدرس فيها.

فمنهج أخذه الرجل الصالح وسار عليه، فوصل إلى مقام الصفاء وانضم إلى عداد الأصفياء، فلما أذهب إليه يعطيني هذا المنهج من أين المنهج؟ لا بد أن يكون من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

وهناك بعض الصالحين في أحوال خاصة يكونون في ساعة لا يسعهم فيها إلا الله وينطقون بعبارات تستغل على الأذهان. هم أنفسهم لا يطالبون من خلفهم بقراءة هذه الكلمات.

سيدي إبراهيم الدسوقي رحمته الله وأرضاه، وقد ورد عنه بعض من هذه الكلمات في الحزب الكبير والحزب الصغير مثل (إيه) (شراه) مثل هذه الكلمات، وورد عنه أيضا قصائد عالية المعاني، فعندما سألوه عن معانيها بعد فوقته: لأنه كانت تأخذه حالة هيام ويغيب عن شعوره، قال لهم: إذا سمعتموني أقول ذلك فاضربوني بالسيف.

مما يدل على أنه كان في حالة الغيبة، وحينئذ لا يطالب أتباعه بتنفيذ هذا الكلام أو هذا العمل.

لكن المنهج الأصلي والكل مطالب به هو القرآن والسنة الواردة عن رسول الله ﷺ، وفيهما سعة للجميع.

إِسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمِ

س : ما اسم الله الأعظم؟

ج : لقد جمعنا في كتابنا (مفتاح الفرج) واحداً وعشرين رأياً للعلماء في اسم الله الأعظم، لكن الرأي الذي نرتاح له هو أن اسم الله الأعظم: هو الاسم الذي يدعو به الإنسان في حاله يقول فيها الله:

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [النمل ٦٢]

إذا كنت في حالة الاضطرار، ودعوت الله ﷻ وأنا في خشوع وتبتل واضطرار، فإن الله يجيبني بأي اسم دعوته به، لكن لو واحد عرف اسم الله الأعظم، ودعا به وهو في حالة غفلة، هل يجيبه الله؟ قال ﷻ:

{ لا يستجيب الله ﷻ دعاء من قلب لاه }^١.

إذاً خلاصة الموضوع:

إذا صفا القلب، وكنت في حالة الاضطرار ودعوت الله: يكون هذا هو الاسم الأعظم الخاص بي الذي سيجيبني به الله ﷻ. فلا أشغل نفسي بأن فلان الفلاني كان له اسم، وفلان الفلاني كان عارف الاسم، وما من أحد منا إلا ويقع في ضائقة، ويصدق مع الله إلا ويستجيب الله ﷻ دعائه في أي زمان وفي أي مكان، فضلا من الله ﷻ لقوله:

﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ٦٠]

لم يحدد ولم يقل ادعوني بالاسم الأعظم، ولا حتى ادعوني عند الكعبة، ولا حتى في وقت السحر :.... صحيح أن الدعاء عند الكعبة أفضل

^١ سنن الترمذي عن أبي هريرة.

والدعاء في وقت السحر أفضل....

لكن الدعاء في وقت الاضطرار :

أجمع للمرء على الله، وأقوى في الاستجابة عند الله ﷻ، فالدعاء في وقت الاضطرار يساوي الدعاء باسم الله ﷻ الأعظم.

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى

س : هل يستطيع أحد جمع أسماء الله الحسنَى؟

ج : سيدنا رسول الله جمعها في الحديث قال ﷺ:

{ اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنَى ما علمت منها وما لم أعلم وما أنت به أعلم وما استأثرت به في علم الغيب عندك }^٢.

وفي الحديث الآخر عنه ﷺ: { اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك }^٣.

صفات الله ﷻ لا يحيزها مكان ولا زمان :

فصفات الله ﷻ هي التي تسيّر الأكوان، وهي التي تظهر في الإنسان، بسر السميع أسمع، وبسر البصير أبصر، وبسر المتكلم أتكلم، وبسر الحيّ أحياء، وبسر العليم أعلم، وبسر المرید أريد، وبسر القادر أقدر.

^٢ رواه الطبراني عن أنس بن مالك.

^٣ مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان والمستدرک عن عبد الله.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

ولذلك عندما يموت الإنسان... ماذا ينتقص من أعضائه الظاهرة؟! لا شيء !! .. لكن أسماء الله الحسنى تخلت عنه، ذهب اسمه الحي، وجاء تجلى اسمه المميت، فأسماء الله الحسنى وصفاته العليا ﷻ :

تظهر في الإنسان وتظهر في الأكوان...:

﴿ ما الذي رفع السماء بلا عمد؟... ﴾ اسمه الرافع.

﴿ وما الذي بسط الأرض؟... ﴾ اسمه الباسط.

﴿ وما الذي جعل في الماء كل شيء حي؟... ﴾ اسمه الحي.

﴿ وما الذي مَنَّ الجبال؟... ﴾ اسمه المتين.

فأسماء الله الحسنى ترى بعين القلب، ولا يستطيع الإنسان أن يعرفها بعقله، ولكن كما قال الله [الآية (٥٣) فصلت]:

﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

فكل إنسان يشاهد من صفات الله بعقله، أو بنور قلبه، أو بسر روحه، ما يستطيع تحمله...!! ويبقى بعد ذلك قوله ﷻ في معنى الحديث:

{ كل ما خطر ببالك فإِنَّهُ ﷻ بخلاف ذلك }

سند الصالحين في مجالسهم

وهذه الأحوال يا إخواني التي نحن فيها الآن، هي الأحوال التي كانت مع أصحاب رسول الله ﷺ، فكما ذكرنا من قبل:

﴿ ١٣٦ ﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أن أهل الصفة رضى الله عنهم هم أول من هاجر خارج المدينة المنورة لله، طلبا لوجهه الكريم، وابتغاءً لمرضاته سبحانه، وإعلاءً لشأن دينه في جميع بقاع الأرض، وكذلك نحن عندما نهاجر فإننا نتأسى بهجرة أهل الصفة.

﴿ لماذا نهاجر؟ ﴾

لا لعمل ولا لأكل ولا لشرب، وإنما نهاجر لله طلبا لوجه الله وابتغاء لمرضاة الله جل في علاه.

وإذا كان من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة. هذه آية، لكن الأعظم منها في المقام هو قول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ [النساء، ١٠٠]

والموت الخاص بنا هنا في الدنيا هو الفناء، ومعنى فقد وقع أجره على الله: أن جزاؤه هو الله ﷻ.

﴿ ماذا كان يفعل أهل الصفة؟ ﴾

كما ذكرنا كانت لهم مجالس.

مجالس قرآن، ومجالس علم، ومجالس ذكر، ومجالس فكر. كانت هذه هي المجالس الخاصة بهم، وكذلك مجالسنا لأن مجلسنا عبارة عن مجلس قرآن، ومجلس صلاة على حضرة النبي، ومجلس ذكر، ومجلس علم، ولذلك نريد من إخواننا الرجوع لهذه الأصول.

﴿ فإنما حرموا الوصول بتضييع الأصول. ﴾

﴿ مولانا أبو العزائم لم يسمّها " حضرة " بل كان دائما يقول عنها " ﴾

﴿ الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم ﴾ ﴿ ١٣٧ ﴾

مجالس الإخوان ."

لأن النص في الحديث: مجلس، وأبو العزائم كان دائما يرجع للأصول،
مجلس ذكر، أو مجلس علم، أو مجلس قرآن أو إذا كان الإخوان مع بعض
نسميه مجلس الإخوان.

﴿والناس تقول الشيخ فلان أو شيخنا فلان أو عمنا فلان..﴾

قال: قولوا الأستاذ، أن تجازي أستاذنا أبا العزائم، لأنه له الأستاذية في
مجال السير إلى الله والسعي إلى الله والفتح الأعظم في رحاب حضرة الله
ﷺ، وهكذا،... انت رايح فين؟ أنا رايح المجلس... مجلس إيه؟

مجلس العلم، مجلس الذكر.. إن شئت قلت مجلس علم لأن فيه علم
وإن شئت قلت مجلس ذكر وإن شئت قلت مجلس قرآن وإن شئت قلت
مجلس صلاة على النبي، وهذه كلها موجودة في الأحاديث الصحيحة.

﴿دخل ﷺ المسجد، فوجد مجلسين: مجلس علم، ومجلس
ذكر. فقال: كلاهما على خير، ولكني أرسلت معلما.

﴿وكذلك، أين أنت ذاهب؟﴾

أنا رايح أزور الأستاذ، لأنه أستاذي فعلا فكل من يريد أن يسجل رسالة
ماجستير في معرفة النفس أو دكتوراه في معرفة الله لابد أن يكون له أستاذ
مشرف على الرسالة.

﴿وهكذا.. فكل الأعمال التي نعملها، والتي عملها السلف الصالح،
والسادة الصوفية ... كلها موجودة في كتاب الله وفي سنة رسول الله.

سنة الصالحين في الإنشاد

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

ومن ذلك أيضا نحن نروح النفوس بمواجيد حكمية، لأنها عن وجد،
ولذلك عندما نسمعها نجدها تثير كوامن الوجد ويتحرك الباطن بالغرام.

راح قدس قصائد عن قصود ... قد أدبرت من يد المعبود

فهذا كلام غير عادي :

لأن الكلام العادي يحرك النفوس، وهذا الكلام يحرك القلوب.

﴿ وهذه الأحوال كانت موجودة على عهد سيدنا رسول الله الأعمم

ﷺ :

فسيدنا رسول الله لما دخل المدينة المنورة، كيف دخل ؟

بالقصائد،.. لأنهم كانوا فرحين به.

وكذلك نحن عندما نفرح بالله ورسوله، نعبر عن ذلك بإنشاد القصائد

والمواجيد الدينية، والحكمية.

سند الصالحين في مواكبهم

حتى مواكب السادة الصالحين لها سند من الهدي النبوي :

﴿ فسيدنا عمر لما دخل الإسلام هو وسيدنا الحمزة، وذهب سيدنا

عمر وأسلم، وقال :

يا رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟ قال: بلى.

قال : فلم نرضى بالدنية في ديننا ؟ هيا بنا نذهب إلى الكعبة.

وصفَّ المسلمين صفين، صف في أوله عمر والثاني في أوله الحمزة

وسيدنا رسول الله في الوسط. ومشى الصفا إلى أن وصلوا إلى الكعبة.

﴿ الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم ﴾ ﴿ ١٣٩ ﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ وكذلك مواكب الصوفية: صف عن اليمين، وصف عن اليسار، والشيخ في الوسط، هذا هو الموكب. ﴾

﴿ وقد عُمل لسيدنا رسول الله مرة أخرى، عندما دخل المدينة لأن الموكب من دار الأرقم بن أبي الأرقم كان بدون رايات. لكنه عندما دخل المدينة، كان موكبه بالرايات. ﴾

لأنه لما دخل المدينة وقابله سيدنا عبد الرحمن بن عوف وكان قادما من بلاد الشام، وكان معه تجارة ومن ضمن التجارة كان معه ملابس بيضاء، كان قد اشتراها من حُلل الملوك بضاعة راقية، قال:

يا رسول الله أتدخل المدينة بهذه الهيئة؟ لا يكون..!

وأعطاه حُلّتين بيض من حُلل الملوك، لبسهما سيدنا رسول الله.

وتصادف مرور قبيلة من القبائل العربية هي قبيلة أسلم، أرادت أن تعترض موكب سيدنا رسول الله لتنال الجائزة التي وعد بها الكفار من يأتي به حيا أو ميتا، فخرج زعيمهم وكان معه سبعون رجلا من قومه :

وكان اسمه بريدة بن الحصيب الأسلمي، فذهب لرسول الله.

فقال له : من أنت؟

قال : بريدة.

فقال رسول الله : برد أمرك يا أبا بكر.

فقال له رسول الله : وممن الرجل؟

قال : من أسلم.

فقال ﷺ : سلمت يا أبا بكر.

﴿ ١٤٠ ﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

فقال له بريدة : من أنت؟

فقال : محمد رسول الله فأسلم بريدة ومن معه.

فقال بريدة : يا رسول الله أتدخل المدينة هكذا؟! : لا والله لا يكون!، وفك عمامته، وأحضر رمحه، وصنع منهما راية.

وأحضر الرجال السبعين، وصفهم صفين عن اليمين والشمال.

ومشوا أو ساروا بهذه الكيفية، وخلفهم رسول الله على هذه الهيئة كأنهم حرس جمهوري، أليس هذا هو الموكب؟

صفان، وأمامهما الراية، وأستقبلهم المنشدون من أهل المدينة بالنشيد المشهور (طلع البدر علينا)، أليست هذه أحوال وموكب رسول الله؟

﴿ وكذلك العمامة أو الملبس الذي اتخذها الصالحون تأسيا بسيدنا رسول الله ﷺ في هذا الأمر :

جماعة منهم لبسوا عمامة حمراء...

وجماعة لبسوا عمامة خضراء^٤....

وجماعة لبسوا عمامة سوداء،.... لماذا؟

أخذنا من رسول الله... لأنه كان أحيانا يلبس عمامة حمراء^٥، فاخترها السيد أحمد البدوي شعارا له.

وعمم سيدنا علي بعمامة سوداء كان يلبسها، فكان ساعة أن يراه يقول : " هذا علي قد أقبل في السحاب"^٦.

^٤ في الحديث عن كعب بن مالك في تفسير الطبري { فيكسوني ربي حلة خضراء... (وفي آخره) ، فذلك المقام المحمود }
^٥ عن عائشة ؓ، في حديث { رأيت جبريل عليه السلام عليه عمامة حمراء مرخيها بين كتفيه } ، الهيثمي في مجمع الزوائد،
 وفي حديث آخر عن عائشة أيضا وقد حدث به ابن عسكر في تاريخ دمشق أنه رآه وعليه عمامة بيضاء.
^٦ عن محمد الباقر بن علي بن الحسين، المحدث ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وكنتي سيدنا رسول الله هذه العمامة السحاب.

كما ثبت بالأحاديث المتواترة أنه ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء، فأخذها سيدي أحمد الرفاعي شعارا له.

واختار الإمام أبو العزائم أحب الثياب إلى الله البياض واختار لأولاده الجلباب الأبيض، وهذه أيضا من السنه عن رسول الله ﷺ.

لكن الناس الجهلاء:

لأنهم لا يعرفون الأصول حاربوا أهل الله المتمسكين بالأصول الموصلة إلى حضرة الرسول ﷺ.

السيادة لأهل البيت

يقول بعض المعترضين:

لماذا تقولون السيد فلان؟ ، والإجابة لأن رسول الله هو الذي قال عن الحسن بن علي رضي الله عنه :

{ إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين }

هذا حديث، وفي الحديث الثاني قال :

{ الحسن والحسين سيديا شباب أهل الجنة }^٧

أليس هذا كلام الرسول يا إخواني؟

﴿فلو فتشت في أحوال السلف الصالح :

تجد أنه لم يكن أحد منهم يقص أظافره، إلا كما عمل النبي ﷺ، أو أمر

^٧ سنن الترمذى عن أبي سعيد الخدري.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

بذلك عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولم يكن أحد منهم يطرف عينيه إلا بالكيفية التي كان يفعلها حضرة النبي في ذلك، كله عن رسول الله.

فبدلاً من أن أهاجم..!

أسأل أولاً عن السند..؟

من سنن الحبيب المصطفى؟

فحينئذ لن أعترض، ما دام من رسول الله ﷺ.

سنة الصالحين في الأوراد والأحزاب

الأوراد

رسول الله، هو الذي أعطاها لأصحابه، وأعطى كل واحد ورداً خاصاً به، ﴿فقد قال :

{ يا علي ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قال بلى يا رسول الله، قال:

قل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم }^٨

وهذا ورد علي، وكذا غيره، فكل هذه الأوراد الموجودة أعطاها رسول الله لأفراد من أصحابه ﷺ، أجمعين، كان يعطي لكل واحد منهم ورداً خاصاً به على حسب قدراته وعلى حسب طاقاته وعلى حسب إمكاناته.

﴿من الذي يعطي هذه الأوراد ويجدد هذه الأحوال؟ الذين يقول فيهم

^٨ صحيح البخاري عن أبي موسى الأشعري

الله [الآية (١٠٨) سورة يوسف]:

﴿ عَلَيَّ بِصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي ﴾^ط

لأن الأوراد موجودة، لكن القدرات محدودة!!
من الذي يعرف القدرات ويعطي لكل واحد ما يلائم طاقاته وقواه
الروحانية الظاهرة والباطنة؟
الذي هو على بصيرة، ومن أين يأتي بالأوراد؟ .. من سنة رسول الله،
كلها من كتاب الله أو من سنة رسول الله ﷺ.

الأحزاب

﴿ إذا لماذا هذا "الحزب" (أو هذه التسمية) ؟
هذا وارد في السنة لأن سيدنا رسول الله كان إذا حزبه أمر^٩ فزع إلى
الصلاة والصلاة يعني الدعاء.
﴿ وكذلك الصالحون، قد جربوا عندما يحزب أحدهم أمر، فيدعو
بدعاء فيفرج الله عنه، فيسأله أولاده، ماذا يفعلون عند الشدائد؟ فيعطيهم
الدعاء - أي الحزب - الذي جربه، ويأمرهم بترديده إلى أن يأتيهم الفرج.
﴿ سيدي أبو الحسن الشاذلي على سبيل المثال :

كان يركب سفينة في البحر، والسفينة على وشك الغرق، فالتف الناس
حوله يستغيثون به، ففتح الله عليه بحزب في الحال سمّاه " حزب البحر
". وعندما فرغ من دعاء الحزب (لأن الحزب أدعية فيه آيات قرآنية، وفيه

^٩ رواه حذيفة بن اليمان ، المحدث أحمد شاکر في عمدة التفسير

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أدعية نبوية، وفيه أدعية إلهامية ألهمه الله ﷻ بها في الحال) وعندما فرغ من الحزب سكتت الريح واستقرت السفينة فعرفوا

أن هذا الحزب له سر، فلما يقع الواحد منا في ضيق ماذا يفعل؟
يأخذ حزب البحر ويدعوا به.

﴿ وكل الصالحين على هذه الشاكلة وعلى هذه الهيئة وعلى هذا الحال يقع أحدهم في شدة، فيلهمه الله من باب :

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ [الآية (٣٧) سورة البقرة]

يلقنه الله كلمات يفتح الله ﷻ بها عليه في الوقت، فيذهب الله عنه هذه الأهوال وهذه الأحوال.

فلما يأتي أولاده وهذه حاجة مجربة، أي دواء مجرب واعتمده وزارة الصحة النبوية، وسُجِّلَ في الحضرة الإلهية هل أتركه وأجرب!؟

إنه دواء قد ثبت واعتمد، فأخذ هذا الدواء: ولكن من الأطباء الحكماء والرحماء، فهم الذين يكتبون تذكرة هذا الدواء الذي يلائم قواي وقدراتي الروحانية والجسمانية، لكي لا يحدث عندي زعزعه ولا فلتات.

﴿ ولذلك تجد أن الناس السائرين على النهج الصالح مثل مولانا أبو العزائم وأبنائه الكرام لا يحدث لهم أن واحدا يصاب بالعتة أو بلوثة أو واحد يخرج عن الطوق وعن الطبيعة مثلما نرى في الناس الآخرين.

لأن الآخر يأخذ أورادا من نفسه، وأحيانا تكون فوق طاقته فيفقد التوازن بين الجسم وبين الروح، فيحدث له الأحوال التي نراها والتي تجعل الناس تعترض على الصالحين.

﴿ طبعا هذا ليس له شأن بالصالحين لأنه مشى على حسب هواه، لأن

﴿ الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم ﴾ ﴿ ١٤٥ ﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أوراد الصالحين مفتوحة لكن ليس من حقي أن آخذ منها كما أنه ليس من حقي أن آخذ دواء من الأجزخانة بدون تذكرة من الطيب؛ لأنني لا أعرف ما يلائمني ولا أقدر على تحديد المرض الذي عندي :

لا بد من واحد معه الإمكانيات الروحانية، والطاقة النورانية التي تحدد لي الداء الذي يمنع من رؤية سيد الأنبياء، ومن الوصول إلى مراضى الحق ﷺ في جميع الأرجاء، ويعطيني المواصفات التي أتم بها علاج هذا الداء من صيدلية القرآن ومن تحضيرات مركز النبي العدنان ﷺ، ليس من عنده ولكنه يمتلك البصيرة المنيرة.

﴿وهكذا يا إخواني :

كل أحوال الصالحين على هذه الشاكله، كلها من رسول الله ﷺ.

سند الصالحين في تقديم ما يسر لإخوانهم

كذلك الذين يقعدون في المجلس، لازم "نفحة" :

أصحاب رسول الله هم الذين قالوا ذلك:

{ كانوا إذا اجتمعوا لا يتفرقون إلا عن ذواق }

هكذا تقرير وكالة البخاري ومسلم والذي ذكره سيدنا أنس بن مالك وسيدنا أبو هريرة وكانوا من الصحفيين الأوائل في نقابة الصحفيين المحمدية، ماذا قالوا: "كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا اجتمعوا لا يتفرقون إلا عن ذواق"

يعني شيء يتذوقوه ويأكلوه، كأن يأكلوا تمرا أو عجوة، أو يشربون لبنا أو عسلا أو أي شيء يتذوقونه وهي التي سمينها الآن "نفحة".

﴿١٤٦﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لكنها من سنه رسول الله ﷺ وليس فيها تكلف، إنما الجود بالموجود.

﴿وهكذا أي أمر من أمور الصالحين :

سنده موجود في كتب الصالحين رضي الله عنهم أجمعين.

ولكن الناس المشغولين بالظاهر:

مثلاً درسوا سيرة رسول الله الظاهرة ولكنهم لم يلتفتوا لأحواله الباطنة، وهي التي ركز عليها العارفون، كذلك درسوا سيرة أصحاب رسول الله الظاهرة، وتركوا أحوالهم الباطنة، مثلاً تكلمنا عن سيدنا أبو بكر الصديق ؓ:

هل كتب السيرة تحوي هذا الكلام؟!... لا!!..!

الذي يتكلم عن هذه الأحوال :

أفراد مثل الإمام أبو العزائم في كتابه " الفرقة الناجية " .

ذكر عينات وترك لنا أن نرى الباقي، فذكر عينات من أصحاب رسول الله، وسرد بعض أحوالهم الباطنة التي أسس بها مقامات وأحوال الصالحين رضي الله عنهم أجمعين.

وأنت تقيس على ذلك إذا كنت من أهل الفتح فعندما تبحث عنهم ابحث عن هذه المجالات.

سنة الصالحين في أحوالهم

يقولون: أين وردت أحوال الصالحين؟

فلم تكن عند أصحاب رسول الله :

﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾ ﴿١٤٧﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ونقول من أول المحدثين وأهل الفراسة؟﴾

﴿ألم يكن سيدنا عمر؟ الذي قال فيه النبي ﷺ:﴾

﴿"لقد كان فيمن قبلكم محدثين وإن عمر لمنهم".﴾

﴿لقد كلم الأرض وقال لها: قري واسكني فإني اعدل على ظهرك.﴾

﴿وكذلك بعث رسالة للنيل واستجاب لها النيل.﴾

﴿وأول واحد في الشفافية البصيرية، كان سيدنا عمر: لقد رأى الرجل﴾

﴿بينه وبينه مسافات طويلة، وحذره قائلاً له: يا سارية الجبل!!﴾

﴿وكذلك كان القرآن ينزل على رأيه.﴾

﴿وكذلك سيدنا عثمان بن عفان إمام أهل الفناء.... لأنه كان فانيا﴾

﴿في الله بالكلية.﴾

﴿وسيدنا علي أول من تكلم في علوم الإلهام، حيث يتشدد﴾

﴿المعترضين ويقولون: من أين جاءت الصوفية بهذا الكلام.﴾

﴿إن سيدنا علي هو أول من تكلم في هذا الكلام. رحم الله سلفنا﴾

﴿الصالح وقد قال سيدنا الجنيد رضي الله عنه:﴾

﴿رحم الله أبو الحسن لولا الحروب لترك لنا علوما كثيرة.﴾

﴿أليس كان يقول: لو فسرت فاتحه الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيرا،﴾

﴿وكان آونة يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كل شيء في السماء﴾

﴿وفي الأرض، من أين؟﴾

﴿من علوم الإلهام.﴾

﴿فيقولون له: هل خصكم رسول الله بشيء؟﴾

﴿١٤٨﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

فيقول: لا.. إلا فهما يجده العبد في كتاب الله، وهو الإلهام.

فأول من تكلم في علوم الإلهام هو سيدنا علي:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة، ٢٨٢]

﴿وَعَلَّمَنَّهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف، ٦٥]

هذه أحوال أصحاب رسول الله، والتي ينكرون مثلها على الصالحين، وغيرها كثير.

نسأل الله سبحانه وتعالى: أن يجدد لنا وبنا أحوال أصحاب النبي المصطفى... وأن يجعلنا من أهل الصفا والوفا... وأن يرزقنا العفاف والتقى والهدى والغنى.. وأن يغيننا بفضله عمن سواه.. وأن يفتح لنا فتحا مبينا، ويفتح بنا قلوب الغافلين، ويفتح لنا قلوب عباده المختصين، وأن يجعلنا من عباده الواصلين... ويرزقنا في الدنيا روحا وريحانا... ورؤيا دائمة في المنام واليقظة للنبي العدنان... ويجعلنا من أهل مقاعد الصدق وروضات القرب في الجنان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأقطاب والأبدال والأوتاد

س : ما الفرق بين الأقطاب، والأبدال، والأوتاد؟

الأقطاب

الأقطاب هم :

﴿رؤساء الدوائر الإلهية.

﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾ ﴿١٤٩﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿وأئمة الإرشاد في المراحل السلوكية.

﴿وأئمة الإمداد في مراحل الوصال لأهل دوائهم.

فإن القرآن قد جعل هناك دوائر روحانية، بمعنى أن هذه الدوائر لأهلها خصال ومواصفات وأعمال ومجاهدات إذا قاموا بها بلغوا الكمالات التي جهزها الله لأهل هذه الدائرة، وأفاض الله ﷻ عليهم الأسرار

التي اختص بها أهل هذه الدائرة. ومن أمثلة هذه الدوائر...:

﴿ دائرة...:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ [(٣٠) فصلت]

هذه دائرة من الممكن تشبيهها في عصرنا بفرقة في الجيش الإلهي... سلاح معين لأنهم مشتركين في أوصاف معينة:

﴿ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا... ﴾

هذه دائرة، وأعلى الناس شأنًا في الاستقامة في هذا العصر يكون قطب هذه الدائرة لأنه المعلم لهم والمهذب لنفوسهم والممد لهم من وراء حجاب أو مواجهة على حسب أحوالهم وتأهلهم في هذا المقام.

وأهل هذه الدائرة :

﴿ تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ

﴿ [سورة فصلت] ﴾ ﴿٦٠﴾

﴿ ١٥٠ ﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

إذن أهل هذه الدائرة، وهم أهل الاستقامة، يخدم الله لهم ويسخر الله
لهم ملائكته الكرام في حوائجهم وفي طلباتهم وفي كل أطوارهم وفي كل
أحوالهم... هذه دائرة.

﴿هناك دائرة ثانية :﴾

﴿الْآيَاتُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

ما أوصافهم أهل هذه الدائرة وما أعمالهم ؟

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [يونس ٦٣]

ما الذي أعده الله لهم ؟ [٦٤ يونس]

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾

وكذلك أعلى الناس شأناً في هذه الدائرة وفي هذا العمل وفي هذا
الحال هو قطب هذه الدائرة الذي يدورون حوله.

﴿وهناك دائرة قوله تعالى [٦٣ الفرقان]:﴾

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾

﴿وهناك دائرة قوله أيضا [٣٢ فاطر]:﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾

﴿والدوائر القرآنية كثيرة ومتعددة وكل دائرة لها قطبها وهو أعلى
الناس شأناً في القيام بأوصافها وأعمالها.

﴿ومن الذي سيختار هذا القطب ؟﴾

النبي المختار ﷺ.

﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾ ﴿١٥١﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿وكيف يعرفونه؟﴾

بما يلوح لهم من الأنوار والأسرار.

والذي يختاره النبي المختار يليح لهم فيه أنوارا وأسئارا، فيعلمون أن هذا القطب المختار الذي عليه المدار.

﴿وهناك قطب الأقطاب الذي يرأس كل هذه الدوائر :

وهو الوارث الكلي لحبيب الله ومصطفاه، الذي يقوم مقام حضرة النبي ﷺ في أمته وينوب عنه ﷺ في تبليغ رسالته وفي الاجتهاد في شريعته.

﴿وهؤلاء الأقطاب كثيرون، من الذي لديه القدرة على عدهم ؟ لا يوجد ومن يريد أن يعدهم لا بد أن يأخذ القرآن من أول آياته...﴾

﴿هُدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة]

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة]

كل هذه دوائر...

وكل دائرة لها أهلها ولها رجالها، وهم الأقطاب.

﴿وطبعاً هذه المصطلحات يجب معرفتها:

لأن هذه المسميات دخلت في كتب التصوف الفلسفي، لأن هناك بعض المتصوفة خلطوا التصوف بالفلسفة، وقالوا في هذا المجال كلام كثير

﴿١٥٢﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

يحتاج إلى تنقية، ولكننا نقول الحقائق من كتاب الله..

س : إذا الأقطاب ليسوا بأربعة فقط؟

ج : هذا من ضمن الخرافات التي انتشرت بأن الأقطاب أربعة :

- سيدي أحمد الرفاعي.

- وسيدي إبراهيم الدسوقي.

- وسيدي عبد القادر الجيلاني.

- وسيدي أحمد البدوي.

وأن هؤلاء المدركين بالكون، وهذه من جملة الخرافات التي نريد أن نحاربها، وبأن كل واحد فيهم له مائة سنة، وبعدها يأتي من بعده ...

معنى ذلك أنه قبل وجود هؤلاء الأقطاب الأربعة....

ألم يكن يوجد أقطاب في الكون؟! !!

وهؤلاء الأربعة الذي مات منهم!..! ألن يأتي غيره؟

مع أن ربنا يقول [١٠٦ البقرة]:

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾

معنى ذلك أننا نوقف عطاء الله عند هؤلاء، وعطاء الله واسع، ويسع

الجميع، ومستمر إلى يوم الدين [٧٥ الحج]:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾

يصطفي بصيغة المضارع المستمر:

من الملائكة ومن الناس... باستمرار...

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

والذي سيكرم منكم ويصبح من أهل الصفاء، سيرى كل يوم في عالم
البقاء صحف الأتقياء الذين يصطفاهم الحق ﷻ وتذيعها الأنبياء في عالم
السماء... كل يوم

مثلاً... فلان ولد اليوم من الأصفياء..

لبس فلان رتبة كذا من الأصفياء والأتقياء..

مات فلان اليوم من الأولياء.. وأخذ مقامه فلان من الأولياء ...

فوراً وهي نفس ما يحدث في كل شأن من شؤون

الله ﷻ.... مات الملك... يحيا الملك.

ففي نفس اللحظة التي يقال: فيها مات الملك فلان، قبل دفنه نقول

يحيا الملك فلان، وكذلك الأمر في كل أخبار السماء.

الأوتاد

أما الأوتاد :

﴿فهم الذين آتاهم الله ﷻ الأحوال النورانية الإلهية والحجة القرآنية
والبلاغة النبوية:

فيثبتوا القلوب عند الزلازل وعند الفتن وعند الشك وعند الريب
والزوغان حتى تظل على صريح الإيمان.

﴿وهؤلاء أيضاً رجال ربنا أعطاهم الحال، الذي به يثبتون الناس :

لأن الإنسان ساعة الفتن والمحن من الممكن، أن ينتقل إلى الناحية
الأخرى، أي إلى الزيغ والضلال بقلته لسان أو بحركة يعملها من الأبدان..

﴿ ١٥٤ ﴾ ﴿الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم﴾

كمن نراه من الناس في الشارع يسب الدين:

فمثل هذا قد انتقل إلى الناحية الأخرى، إلا إذا أدركته عناية الله فتأب وأتاب، وكذلك من يعترض على الله وعلى أقدار الله...!!!

من الذي يثبت هؤلاء الناس؟...هم ما نسميهم بالأوتاد :
معهم أحوال ...

وكذلك معهم حجج قرآنية وبلاغة نبوية يشبتون بها الناس.

﴿ وكان الشيخ بن عربي يقول: كان الإمام الشافعي من الأوتاد، لأنه كان من الذين يشبتون الناس عند الزوغان.

﴿ وقد رأينا في زماننا هذا الشيخ الشعراوي وكان من الأوتاد، لأنه كان يشبت الناس على العقيدة الحقة.

فعندما يسمع الناس منه دروس العقيدة، يربوا الإيمان ويزيد اليقين، ويزيد الناس هدىً واطمئناناً إلى جناب الله ﷻ وهؤلاء اسمهم الأوتاد.

الأبدال

أما الأبدال :

﴿ فهم رجال استطاعوا بالجهاد :

- أن يبدلوا أوصافهم بأوصاف حبيبهم ﷺ.

- يجاهد الرجل منهم نفسه الجهاد الشديد حتى يبدل صفاته بأوصاف رسول الله.

- فإذا كان عجولاً يجاهد نفسه إلى أن يصبح شبيه سيدنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم في الأناة.

- وإذا كان سريع الغضب يظل يجاهد نفسه إلى أن يصبح شبيه سيدنا رسول الله في حلمه.

- وهكذا يجاهد نفسه إلى أن يغير كل أوصافه ويصبح على نهج وعلى أخلاق سيدنا رسول الله.

فهؤلاء ما نسميهم بالأبدال.

لأنهم بدلوا أوصافهم فيبدل الله ﷻ ذواتهم إن شاءوا ...، ويبدل لهم أحوالهم إن طلبوا ...، ويبدل لهم مَنْ حولهم إن رغبوا ...، لأن لهم مكانة عالية عند الله ﷻ.

﴿واشتهر هؤلاء بأنهم نتيجة تبديل أوصافهم، فإن الله أعطاهم القدرة على أن يكون الرجل منهم في أكثر من موضع في وقت واحد.

﴿مثل الشيخ قضيبة البان الموصلية:

فقد طلبه القاضي وطالبه بأنه لا يؤدي الصلاة، وإذا به يرى إحدى عشر رجلاً كلهم قضيبة البان وتكلم واحد منهم وقال:

من الذي لا يصلى من هؤلاء؟ فأسقطت الحجة في يد القاضي.

﴿وكذلك مثل سيدي أبو العباس المرسي رحمته الله :

دعاه أكثر من رجل من أحبابه لتناول الغذاء يوم الجمعة، وبعد الصلاة خرج وتناول الغذاء مع أحبابه في بيته، وبعد العصر جاء مضيفوه ليشكروه، وكل واحد منهم يقول له:

جزاك الله خيراً على تشريفك لنا اليوم وتناولك الغذاء عندنا، وكانوا أكثر من عشرة، وقد ذهب للجميع وتغذى عندهم. وهو في الأصل تناول

غذاءه في بيته.

وهذه كرامة يختص بها الله ﷻ هؤلاء القوم.

س : هل يختص الإنسان بمقام واحد من هذه ؟

أم من الممكن أن تجمع لواحد كلها أو بعضها؟

ج : قد تجمع كلها لواحد، وقد يمر بها، ولكنه لا يقف عند واحد منها، وأعظم من هؤلاء: الذين لم يقفوا عند مقام ولا رتبة وإنما أفردهم الله لذاته ويقول فيهم ﷻ:

{ سيروا سبق المُفْرَدُونَ }

وفي روايات أخرى: { سبق المُفْرَدُونَ أو سبق المُفْرَدُونَ }

{ قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، وضع الذكر عنهم إصرهم حتى يلقون الله ﷻ خفافاً } ١٠
وهؤلاء:

- طلبهم الله لذاته.
- ولم يشغلهم بكائناته.
- وخصهم بمحض هباته.
- فهم عبيد لذاته.
- ولا يقفون عند هذه الهيئات، ولا هذه المقامات، وإنما تجاوزوها إلى رفيع الدرجات ﷻ.
- وهؤلاء من يقول عنهم الله :

^{١٠} صحيح مسلم عن أبي هريرة

﴿ الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ﴾ ﴿ فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ ﴾

﴿ هُمْ دَرَجَتْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [١٦٣ آل عمران]

ليس عندنا هنا، ولكن عنده هو.

وَهَذَا بَعْضُ مَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَحَدَّثَ بِهِ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ،
وَالْمَقَامَاتِ كَثِيرَةٍ، وَالرَّتَبِ كَثِيرَةٍ.

وَالْمَهْمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ :

يَجَاهِدُ لِكَيْ يَشَاهِدَ، وَبَعْدَمَا يَشَاهِدَ :

سِيرَى بَدَلًا مِنْ الْوَاحِدِ أَلْفٍ وَاحِدٍ، وَبَدَلَ الْمَقَامِ مِائَةَ أَلْفِ مَقَامٍ، وَبَدَلَ
الدرجة مائة مليون درجة، لا عد ولا حد عند الله ﷻ.

لكن في هذه الحالة سيكون رأى بعينه وليس سماعاً.

ولكن الناس في عصرنا انشغلوا بما كتبه الشيخ محي الدين بن العربي
وغيره وغيره، ويذاكرون في هذه الأحوال، لكي يتكلموا فيها... وماذا

بعد الكلام؟

ليس المهم أن أتكلّم عنهم ، ولكن المهم أن أكون منهم...!!!

فلا يشغل الإنسان باله بالكتب التي بها الشطحات والتي دخل فيها
الفلسفة، وخاصة فلسفة التصوف .. وما ذا: إلا لأننا نريد التصوف أو
الصوفية من القرآن ومن السنة.

وَالصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ

وَالصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ

﴿ ١٥٨ ﴾ ﴿ الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم ﴾

البَابُ الْسَّادِسُ

حَقِيقَةُ مَحَبَّتِهِمْ

- الحب في الله
- سر فضل الله
- السبيل إلى حب الله
- لا عبادة كالتفكير
- المراقبة والمحاسبة
- محبة الحبيب
- المحبة والمتابعة
- موقف الشريعة من علم الإلهام
- مشروعية الذكر

قال الإمام أبو العزائم رضي الله عنه
في محبته لحبيب القلوب صلى الله عليه وسلم

كرم ليلة فبكى للصبح لها
قربتُ فيها قانصاً علي كبري
قد خصت العين بالدموع وقد
وضعت خدي علي بناه يدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (ﷻ)

و الصلاة والسلام على ينبوع المحبة ، وكنز الأجابة وإمام أهل الحب في حضرة الله، بدءاً وختماً سيدنا محمد وآله الهداة وأصحابه الذين أحبوه غاية الحب في الله، وكل من تابعه على هذا الهدى وعلى هذا المنهج إلى يوم الدين، آمين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :

كان فيما استمعنا إليه اليوم من آيات كتاب ربنا ﷻ بياناً كافياً شافياً لنا وللناس أجمعين أن المؤمن كما قال فيه الحبيب المصطفى ﷺ :

{ المؤمن يكفيه قليل الحكمة } ١

والحمد لله العلوم أصبحت كثيرة، ونسمع الكثير ولكن ما نحتاج إليه أجمعين لتصلح أحوالنا ولتصفوا قلوبنا ولننال من الله ﷻ مرادنا ولكي يصلح الله ﷻ دينانا ويسعد آخرانا :

نحتاج إلى العمل، ولو بآية من كتاب ربنا ﷻ، أو بحديث ولو من كلمتين من أحاديث النبي ﷺ، فإن العمل هو الذي يبلغ الإنسان الأمل، ولذلك يقول مولانا أبو العزائم ﷺ :

العلم يهتف بالعمل... فاعمل تنل كل الأمل

وماذا نعمل ???

(*) كان هذا الدرس بمسجد السيدة الحورية - محافظة بني سويف يوم الاثنين ١٩ من المحرم ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٨ من فبراير ٢٠٠٥ م.

^١ سنن الترمذي والجامع الصحيح بلفظ الحكمة ضالة المؤمن عن أبي هريرة

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

والأعمال كثيرة، وشعب الإيمان والحمد لله سبحانه وتعالى متنوعة
وغزيرة؟، نعمل عملا واحدا ...

يبلغنا ما نتمناه في الدنيا، وما نرجوه من الله ﷻ من الفضل والرضوان
وننال به في الآخرة معية الحبيب العدنان ﷺ.

الحب في الله

العمل الذي نحتاجه كلنا :

الحُب ...

فلا يوجد يا إخواني شيء سيصلح أحوال الناس فيما بينهم، ويرفع شأن
العباد مع ربهم، إلا مراعاة المحبة التي نأخذها من سيد الأحبة ﷺ، فنحن
نحتاج لجرعات حب، ومن أين نأخذها؟

لا يوجد عندنا في الصيدليات: جرعات أو كبسولات ولا فيتامينات في
الحب، وكذلك لا يوجد في المكتبات وحتى الكتب المكتوب فيها الحب: لا
تعطينا الحب. لكن الحب لازم نأخذه من رسول الله ﷺ.

هذا الحب الذي وصل به أصحابه إلى ما يبغون، فالأنصار عندما أثنى
عليهم الله ﷻ في كتاب الله، بم أثنى عليهم؟

أبالصلاة أم بالصيام أم بالزكاة والصدقات والعبادات والأذكار والحج
وغيرها؟

لا بهذا ولا ذاك لكن اسمع وأعقل قول مولاك :

﴿تُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية (٩) الحشر]

﴿١٦٢﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

أثنى عليهم الله بحبهم لحبيب الله ومصطفاه فهو هاجر إليهم. هذا الحب جعلهم ينطعون على العمل لله رغبة فيما عند الله ويستقلون ما يعملونه في جانب فضل الله ورضوان الله ولذلك قال عقبه الله جل في علاه:

﴿وَلَا سَجْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [(٩) الحشر]

فالحب هو الذي يدفع المحب إلى العمل، رغبة في نيل الأمل. وهذا لا يكون إلا إذا كان على نسق الأنصار، لكن من يزعم أنه يحب الله، ويكبل يده عن الإنفاق فيما يحبه الله ويرضاه، نقول له: أين هذا الحب؟ وكذلك من يدعي أنه يحب مولاه، ونفسه تمنعه من القيام في صلاة الفجر سعياً لرضاء الله، ويستلذ المنام ليرضي نفسه ويغفل جانب رضاء الله. الحب لا بد أن يكون ترجمه سلوكية عملية فعلية للعقيدة القلبية التي زرعها في قلبي الله وغرسها ونمّاها سيدنا رسول الله ﷺ.

وهذا حب الأنصار :

الذي كان يجعل الرجل منهم يذهب ويسارع ويتنافس في سبيل العمل الذي يرضي حبيب الله، حتى ورد أنهم كانوا يتقاتلون على الرجل المهاجر، كل يسعى لأخذه إلى بيته، وربما لا يوجد في بيته شيء، حتى وصل الأمر أن الحبيب كان يُقرع بينهم (أي يجري قرعة) فمن يقع عليه السهم هو الذي يفوز بنصيبه من الضيف، ويفرح به ويذهب إلى بيته فرحاً بفضل الله؛ لأنه سينال رضا الله ورضاء حبيب الله ومصطفاه

نحن كلنا نحب :

ولكن الله ﷻ جعل لنا ميزاناً إلهياً قرآنياً للحب.

﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾ ﴿١٦٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

نحب الزوجة، ونحب المال، ونحب الأولاد، ونحب الآباء والأمهات،
ونحب الوظيفة والجاه، ونحب الطعام والشراب، ونحب الكساء الجيد
ونحب كل مظاهر الحياة الدنيا.

لكن هذا كله لا يبلغ في قلب المؤمن بعض ذرة من حبه لربه ولنبيه
ﷺ وقد قال ﷺ :

{ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما }^٢

حتى أنه من شدة بيانه أكد هذا الأمر، مع انه ليس في حاحه إلى تأكيد
وأقسم عليه وليس بحاجة إلى القسم فقال :

{ والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله وولده ونفسه
والناس أجمعين }^٣

هذا هو الترمومتر الذي تقيس به عندك حب رسول الله في قلبك؛ إذا
وجدت هذا الحب، في الحال تفتح أمامك خزائن فضل الله وجميع أبواب
كرم الله...:

من لحظة في الحب تشهد وجهه... وتفوز منه بسره والحال

تعطى العلوم وتشهدن. فترجمن... بلسان أهل القرب والأبدال

ولو كنت أمياً لا تقرأ ولا تكتب تُعطى الجمال:

ليس الجمال الحسي، ولكن الجمال الباطني، والجمال المعنوي،
والجمال القرآني، والجمال الإيماني، والجمال النبوي، والجمال الباهي،
والجمال الإلهي الذي لا يراه إلا أهل القلوب الذين رزقوا الفراسة التي يقول

^٢ صحيح البخاري عن أنس بن مالك.

^٣ المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن فاطمة بن عتبة.

فيها الحبيب المحبوب:

{ اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }^٤.

تعطى الجمال فلا يراك مصدق... إلا ويشهد نوره المتلالي
من أين هذا العلم والنور الذي... أعطيته من لحظة في الحال
من حب قلبي للحبيب محمد نلت المنى بل نلت كل آمالي

سِرُّ فَضْلِ اللَّهِ

وهكذا فالعارفون والصالحون والمقربون أجمعون :

بم وصلوا إلى فضل الله؟

وبم أورثهم الله كمال حبيبه ومصطفاه؟

وكشف عنهم الحجب؟ وأراهم سجد الغيب؟

وعاينوا الجمال في عالم الإطلاق؟

﴿فمنهم من كان يرى الجنة وهو بين الناس.

﴿ومنهم من كان يرى الحبيب المصطفى ﷺ ولا يغيب عن ناظره

طرفه عين ولا أقل.

﴿ومنهم من كان إذا أراد أن يتحدث نظر إلى اللوح المحفوظ من عين

موهوبة من علام الغيوب فيترجم معاني كلام الله ﷻ المكتوب.

(٤) سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري.

﴿ ومنهم ومنهم إلى مالا نهاية. ﴾

بم وصلوا؟ وبم اتصلوا؟ وبم نالوا فضل الله؟

بما حصّلوا بحبهم لحبيب الله ومصطفاه، ولحضرة الله جل في علاه:
بالحب يا إخواني...!! ليس حب كلام...!! ولكن حب فعلي وعملي.

﴿ كان بعضهم لا ينام : ﴾

ليس شغلا بالدنيا الدنية ولا طلباً للشهوات الأرضية : لأنهم علموا أن
ما كان لماضيك أن يمضغاه فلا بد أن يمضغاه فقد قضى ذلك الأمر قبل
خلق الدنيا بألفي عام كما أخبر حبيب الله ومصطفاه، فقد قال صلوات ربي
وسلامه عليه :

{ إن الله خلق الدنيا وقدر فيها أقواتها قبل خلق آدم بألفي عام }^٥

﴿ فالأقوات موجودة ومشهودة ومحدودة ومعدودة : ﴾

- ولن ينال إنسان رزق آخر.

- ولن يأخذ إنسان إلا ما قدره له ربه، فإن رضي عن الله وكان له
الرضى، أخذ ما قُدّر له من الحلال، وإن تعجلته نفسه وسولت له
أن يستعجل رزقه أخذ ما قُدّر له ولكنه حصله بالشغل الحرام ومن
الطرق التي لا ترضي الله ﷻ ولا المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم
السلام.

لذلك قال ربي لأحبابه وعباده المقربين حتى لمن أراد الأرزاق الفانية :

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الذاريات]

(٥) المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن عبد اللہ بن عباس رضی اللہ عنہما.

﴿أين رزقكم؟﴾ في السماء.

يعني اطلبوه بالعزة...

لأنه من حضرة الله ولا مذلة فيه لأحد من خلق الله... ولا تركب الصعب في سبيل تحصيله.

لا إذا وافق على هذا المسلك شرع الله، وكنت على بيته أن فعلك هذا يرضى عنه كتاب الله وتوافق عليه سنة حبيب الله ومصطفاه، وأنتك لن تنال إلا ما قُدر لك لأن الرزق في السماء وليس في الأرض.

﴿أين المطبخ؟﴾ في السماء.

﴿وأين محل الأكل؟﴾ في الأرض.

السفرة في الأرض. وكيف تحضر لسفرة الأكل؟ ومن أين؟

من المطبخ!... لكن المطبخ الذي يوصل المأكولات، ويسويها وينضجها وينميها، أين يا إخواني؟

من الذي يسوي الثمار؟ ومن الذي يعطيها المذاق؟ ومن الذي يكورها وينضجها ويعطيها الأشكال والألوان؟ ومن الذي يجعل فيها القوت الذي يرزقك به الله القوة حتى تستطيع أن تستعين بهذا القوت على طاعة الحي الذي لا يموت؟ ... الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿وهل الأرض لو فتشنا فيها، والتي فيها المزروعات فيها طعوم؟﴾

أو فيها حلاوة؟ أو فيها مرارة؟ أو فيها حموضة؟ أو فيها ألوان؟

وهل المياه التي نروي بها فيها شيء مما ذكرناه؟

وهل الهواء الذي يغذيها فيه شيء مما حكيناها؟

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

كلا ولكن الأمر كما قال الله:

﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَتُفْضِلُ بَعْضَهَا
عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الآية (٤) الرعد]

﴿من الذي عمل الطعوم، والألوان، والروائح، والمشام؟
الله جلّ في علاه.

السبيل إلى حب الله

فالحب الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ :

كيف وصلوا إليه؟

سيدنا رسول الله بين لهم الطريق ووضح لهم المحجة :

لكننا لم نفظن لذلك.

﴿فقد جلس مع أصحابه قبل فرض العبادات بإثني عشرة سنة قبل
فرض الصلاة والصيام والزكاة والحج، ماذا كان يفعل؟

﴿كان يغرس نبات الحب ويغذيه وينميه.

والعبادة التي بها يصل الإنسان إلى مقام الحب عبادة كثير من الناس
أهملها وتركها في زماننا هذا وقال فيها الحبيب :

{ أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم والآلاء وأحبوني لحب الله وعجل لي

وأحبوا آل بيتي لحبي }^٦

(٦) المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن ابن عباس رضی الله عنه.

﴿ كيف نحب الله يا إخواني؟

إذا شغلنا عبادة الفكر، وكيفية الفكر؟

لأن فكرنا كلنا شغال في تحصيل حاصل.

شغال في الأكل ماذا أتغذى؟ ماذا أتعشى؟ ماذا أبني؟ كيف أزوج هذا الولد؟ أو كيف أعلمه؟ وأُريه؟

شغلنا أنفسنا باختصاصات ربنا ﷻ، وقد قال الله من البداية ليس لك شأن بهذا الموضوع :

﴿ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا ﴾ [آية (١٣٢) طه]

هذه وظيفتك.

والأكل والشراب قال ليس لك دخل لأنه اختصاصنا

﴿ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[آية (١٣٢) طه]

نحن بكل أسمائنا وصفاتنا وخزائننا الظاهرة والباطنة، وأملاكنا وقدراتنا وعوالمنا التي تراها والتي لا تراها، كلها في خدمتك ومسخرة لخدمتك إذا كنت في طاعة الرحمن.

﴿ وهذا الذي جعل السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها، عندما سُئلت عن شدة الغلاء الحاصل؟

فقال لهم: الغلاء في أي شيء؟

قالوا لها: الكيلة من الحبوب بكذا، والأردب بكذا، والملابس بكذا

والذهب بكذا، ونحن مشغولون.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فقلت: وعزة ربي وجلاله، لو صارت الحبة بدينار ما اهتممت.. عليّ أن أعبده كما أمرني، وعليه أن يرزقني كما وعدني!!

أي ليس لي دخل بهذا الأمر.

لكننا نحن أدخلنا أنفسنا: فوكلنا إلى أنفسنا، فلما وكلنا إلى أنفسنا، هل نقدر على عمل أي شيء؟

لا لن نقدر أن نعمل إلا بالله..... ومتى هذا؟

إذا اتقيناها ومشينا على الطريق الذي بينه ووضحه في كتاب الله:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾

﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الآية (٢-٣) الطلاق]

أي من حيث لا يتوقع الإنسان أو يتخيل ... والذي يتوكل على الله ياهناه ويأسعد مناه في دنياه وأخراه :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الآية (٣) الطلاق]

﴿ وأولادنا ماذا نصنع بشأنهم؟

سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه :

وكان خليفة على أكبر دولة في البسيطة في عصره (فلم تصل الدولة الإسلامية لهذا الاتساع في أي زمان ولا مكان) وعندما حانت منيته كان له ثمانية عشرة ولد ولا يملك شيء.

فقالوا له: تركت أولادك فقراء !!، أما كنت قد أوصيت لهم بشيء من بيت المال ؟ أو ادخرت لهم شيء من أرزاقك الحلال ؟ لأنه كان يوزع ما

﴿ ١٧٠ ﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

عنده في الباقيات الصالحات.

فقال ﷺ: أولادي رجلان: أما الصالح منهم فالله يتولاه وهو يتولى الصالحين، وأما الطالح منهم فما كنت لأترك له ما أعينه به على معصية الله فينفته على المعصية وأحاسب عليه معه لأنني الذي أعطيته له.

فقد ترك للثمانية عشر: ولدا ثمانية عشر دينارا.

وتحكي كتب السيرة والتاريخ أنهم اشتغلوا بالتجارة، وبعد سنة واحدة وبركة التقوى، كان كل واحد منهم معه مائة ألف

﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الآية (٨٢) الكهف]

﴿ وكيف رباهم ؟

وهذا هو الباب المفتوح:

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [سورة الطلاق]

أنا أريد أعلم ابني لغات، وأدخله مدارس أجنبية، أو مدارس خاصة ليس هناك مانع: ولكن قبل هذا وذاك لازم ألقنه كتاب الله، وأملأ قلبه بتقوى الله، يصبح أي مكان يذهب فيه معه الله، قال الله في [النحل]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾

﴿ كيف يكون معهم ؟

- معهم بمعونته وطوله وحوله.
- ومعهم بفتحه وبتأييده.
- ومعهم بكفايته وصيانتته.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

- ومعهم بولايته ومعهم بهدأيته، ومعهم بعنايته، وقل كما شئت في معية الله.

فإذا جعلت ابنك معه الله: يصبح معه مفاتيح الدنيا ومفاتيح السعادة للدار الآخرة، إن شاء الله معه الاثنان.

وهذا هو السر الذي أعطاه الله لنا.

﴿ هذا بينما خلف سيدنا عمر بن عبد العزيز، ابن عمه الخليفة هشام بن عبد الملك :

وترك لعياله: لكل واحد مائة ألف دينار، وكانوا أربعة عشر ولدا، ولم يترك لهم تقوى الله.

فقد انشغل عنها كما نحن مشغولون الآن، وترك لكل واحد من أولاده مائة ألف !! فلم يمر عام !

إلا وقد مروا على الأبواب يطلبون الشراب والطعام..!!

﴿ ما الذي يسلم الولد ؟... تقوى الله.

﴿ وما الذي يسلم البنت ؟... تقوى الله.

﴿ وما الذي يجعلهم من أهل السعادة في الدار الآخرة؟.. تقوى الله.

﴿ إذا ينبغي أن يكون كل اهتمامي أن أربيهم على تقوى الله، وعلى مراقبة الله وعلى خشية الله.

فلو أنني وضعت في قلب أولادي خشية الله، فلا يهمني أي شيء بعد ذلك لأن الأرزاق بيد الرزاق عز وجل، وكما قال القائل:

ولو أن أرزاق العباد على الحجا... لماتت إذاً من جهلهم البهائم

﴿ ١٧٢ ﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

(يعني على العقل) لأنهم ليس لهم عقول... إذاً الأرزاق على يد حضرة الرزاق ﷺ.

لا عبادة كالتفكير

فلكي يضع الإنسان حب الله في قلبه وفي قلوب أولاده :

ماذا يعمل؟

يشغل دائرة الفكر، لكن بعد صفاء القلب لله ﷻ.

لأن الفكر قبل صفاء القلب فكر دنيوي في المشاغل الكونية.

ويجعل الفكر في نعم الله...، وآلاء الله التي ترى عليه في نفسه، والتي يراها فيمن حوله...، هذا هو الأساس الأول الذي سينمي المحبة في قلب الإنسان.

﴿فكان سيدنا رسول الله يجلس مع أصحابه ويذكرهم بآلاء الله وينعم الله. حتى أن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

تركنا رسول الله ﷺ وما من طائر يطير بجناحيه في عنان السماء إلا وذكر لنا عنه علماً.

لماذا؟.. لكي يزيدوا في حب الله، وفي الإقبال على الله ﷻ، وفي شكر الله سبحانه وتعالى على عطاياه.

﴿هذه العبادة يا إخواني :

هي أساس زيادة المحبة، وأساس أهل القربة.

لأن الإنسان لو تفكر في خلق الله وليس في ذات الله:

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

اللقطة الواحدة أحسن من عبادة سنه من النوافل التي نتقرب ونتطوع بها إلى حضرة الله: قال عليه السلام :

{ تفكر ساعة (ساعة يعني لحظة) يعدل عبادة سنة }^٧

تساوي عبادة سنة من النوافل والقربات لله ﷻ، لماذا يا إخواني؟
لأنها عبادة تشد الإنسان إلى الله.

﴿ولذلك بعد عصر الصديق ﷺ، ظهرت طائفة اهتمت بالعبادات البدنية الظاهرة: قيام الليل، تلاوة القرآن، وهذا كان كل مهمهم.

هؤلاء القوم نظروا إلى عبادة الصحابة في هذا الباب، ووجدوها قليلة فذهب بعضهم إلى سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه فقالوا له :

لماذا لا تصومون كما نصوم الاثني والخميس، ولا تقومون الليل، ولا تقرأون القرآن كل ثلاثة أيام مثلن ؟

فاعتقدوا أن العبادات التي يعملونها هي سر الأفضلية.

فرد عليهم سيدنا أبو الدرداء قائلاً :

عجبت للحمقى كيف يعيرون على الأكياس نومهم وفطرمهم، ولذرة من تقوى من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

﴿المهم العمل القلبي.

لأن العمل الذي من القلب هو العمل الذي يقبل عليه الله، والذي يرفع شأن صاحبه عند مولاه ﷻ، وعمل القلب تكون النية فيه أساسها وبدأها لله جل في علاه.

^٧ رواه العراقي في تخريج الإحياء عن أبي هريرة بنص {تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة}.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿والنية لا تكون لله:

إلا إذا أخلص الإنسان في حبه لمولاه، وكان طامعاً في رضاه، ويتحرى في كل عمل أن يعمله ابتغاء وجه الله، وطلباً لرضاء الله جلّ في علاه، وهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ كما قال فيهم الله [٢٨ الكهف]:

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾

يريدون بالعمل وجه الله.. لا يريدون الخلق ولا يريدون الشهرة ولا الرياء ولا السمعة، لا يريدون إلا وجه الله.

هذه النية تجعل العمل القليل كبير وكثير وعظيم عند الله ﷻ.

هذا هو الأساس الأول الذي أسسوا عليه أعمالهم وأحوالهم رضي الله ﷻ عنهم في كل وقت وحين.

فلما يتفكر الإنسان في الآلاء وفي نفسه: هذا الفكر يا إخواني، إذا ارتقى به الإنسان؛ كان خير الذكر... لأن ربنا لما ذكر في القرآن الذكر، في سورة آل عمران:

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

والذكر الراقى هنا، ماذا يكون؟

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١٩١ آل عمران]

﴿أصحاب رسول الله كانوا يتفكرون، ولكن فيم يتفكرون؟

إما في آلاء الله التي في الآفاق أو النفس، وإما يتفكرون في اللحظة التي يقابلون فيها حضرة الله، وماذا سيقول لله؟ وماذا سيقول له الله؟

﴿وسيدنا عثمان حتى في الجنازة ﷻ يقول:

﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾ ﴿١٧٥﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

ما شيعت ميتاً قط إلا وكنت مشغولاً بما يقول الميت، وما يقال له؟
أي مشغول بالمرجع والمآل، هل سيكون من الذين وجوههم مبيضة؟ هل
سيكون من الذين يأخذون الكتاب بأيمانهم؟ هل سيكون تحت ظل العرش؟
هذا هو الفكر الذي ينفع للذكر.

﴿ولذلك لا ينبغي أن أكون مشغولاً بالمعدة..! وماذا أضع فيها؟ وبم
أغذيها؟ وكيف أروح عن الجسم؟ وكيف أكيف له الجو؟
لأن الجسم كله يقول فيه الله ﷻ:﴾

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [الآية (٥٥) طه]

ولكن يجب أن أشغل نفسي :

بما أنا مقبل عليه وإلى أين أذهب؟ وبم يختم لي؟
وماذا قدمت من العمل الصالح؟ ويا ترى كم لي من رصيد؟
فلا بد للمرء أن يراجع رصيده كل ليلة لأنه مشغول بـ

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [٩٦، النحل]

وهل سيكون من المخاطبين بقول الله:

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ [سورة الواقعة]

أم يخاطب بقوله سبحانه:

﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ [سورة الواقعة]

وهذا شغل المؤمن في دنياه.

ولا يتحقق ذلك إلا نتيجة الفكر فيما هو مقبل عليه، وهذا هو حقيقة

﴿ ١٧٦ ﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الذكر لأنه هو الذي يدفع للعمل.

لكن لنفترض مثلاً.. أنني جلست في حلقة ذكر في هذا المسجد أو في غيره، وذكرت الله إلى ما شاء الله ولم أملأ قلبي بالفكر فيما أنا مقبل عليه عند لقاء الله..، ربما أرتكب المعاصي مع العاصين مع أنني كنت في حلقة ذكر..!! ما الذي سيمنعني؟

الذي سيمنع الإنسان من المعاصي... هو الفكر.

ماذا أفعل؟ .. إذا كان الخلق لا يروني...!! فإن الله ﷻ يراني ومشغول دائماً بقول الله :

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [ء الحديد].

المراقبة والمحاسبة

فالفكر يقوي المراقبة وينمي المحاسبة.

وهذا أساس نيل فضل الله وكرم الله جل وعلا.

إذن الذي يريد أن ينال فضل الله وكرم الله لابد وأن يراقب الله

وكلما تزيد المراقبة لحضرة الله كلما يزيد الفضل الذي يترى على القلب ويتوالى على الفؤاد من كنوز فضل الله جلّ في علاه وكلما زادت المحاسبة قلت المعاصي:

فالذي سيحاسب نفسه.. قلما يرتكب ذنبا.

الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمته الله، كان أحد تلاميذه وهو سيدي مكين الدين الأسمر يعمل ترزياً، وكان يقول فيه: مكين الدين رجل من الأبدال. يعني

﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾ ﴿١٧٧﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

من أهل المقامات العالية فالذين سمعوا هذا الكلام عنه ذهبوا إليه؛ لأن دكان الترزي محل للأحاديث فوجدوه مشغولاً بعمله

ولا يتكلم، وفي آخر اليوم سألوه ما طاعتك؟ قال:

كما ترون في صنعتي، إلا أنني عاهدت ربي ﷻ أن أحاسب نفسي قبل غروب الشمس على الكلمات التي تكلمتها في يومي:

فأجدها أحياناً إحدى عشرة كلمة وأحياناً أربعة عشرة كلمة فأعرضها على كتاب الله وعلى سنة سيدنا رسول الله فما وافق عليه كتاب الله حمدت الله عليه وما كان غير ذلك استغفرت الله ﷻ منه.

﴿لماذا؟﴾

لأنه يحاسب نفسه.

﴿فإذا كان المؤمن لا يحاسب نفسه وأبسط أمر يقع فيه المؤمنون أجمعون في زماننا هذا هو الكذب، من الذي يحاسب نفسه من المؤمنين على الكذب وعلى أنه ذنب سيحاسبه عليه الله؟﴾

لو واحد فينا حاسب نفسه آخر النهار على عدد مرات كذبه سيجد كم كذبه في الملف لو صوروا صحيفة الأحوال النهارده؟

﴿ولكن الإمام البخاري رحمته الله عندما حانت منيته وبكى عليه من حوله، قال لهم:

لم تبكون؟ وهاأنذا ألقى الله ﷻ ولم تكتب في صحيفتي كذبة واحدة ولا غيبة واحدة.

هؤلاء هم الرجال:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ^ط﴾ [الأحزاب]

﴿١٧٨﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

حاسب نفسه أولاً بأول. أما الذي لا يحاسب نفسه، فسيحاسبه ربه.

﴿ما الذي يجعل الإنسان يحاسب نفسه؟﴾

إذا تفكر أنه سيلقى الله، أو تذكر ما يريد من فضل الله: يريد أن يكون له مقام كريم عند الله كيف سيناله؟

أعظم مقام سيناله الإنسان بعد مقام النبوة هو مقام الصديقية [٦٩ النساء]:

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾

كيف سيصل لهذا المقام؟ كم ركعة سيصليها كل ليلة؟ وكم مرة يقرأ القرآن كل شهر؟ وكم يوم يصومهم في الشهر لينال هذه المرتبة؟ لا بهذا ولا بذاك، وإنما بقول الحبيب ﷺ:

{ لا يزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً }^٨

هذا هو الطريق الذي سار فيه الصالحون.

واعتقد الناس أن الحكاية بالصلاة والصيام والأذكار والعبادات، ويكون الواحد ماسك السبحة ويسبح: يا لطيف يا لطيف ويقول الشيخ أعطاني ورد اللطيف مائة ألف مرة، فيسأله أحدهم: ما رأيك في فلان؟

يقول في شأن فلان كلمة، السموات والأراضين يقولون له: يا لطيف على كلمتك في أخيك، فلا بد للإنسان أن يحاسب نفسه.

﴿الصالحون يا إخواني الواحد لا يحاسب نفسه فقط في البداية:

بل يحاسب نفسه في كل يوم وليلة مرة، وبعد ذلك كل يوم مرة، وكل ليلة مرة، ثم بعد ذلك يقول:

^٨ مسند أحمد بن حنبل عن عبد الله.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

في كل نفس أتففسه لازم أحاسب نفسي عليه.

يقول: لماذا تنفست هذا النفس؟

هل لله فيبقى لي يوم لقاء الله أو لنفسي فأقول:

﴿يَحْسَرْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [٥٦ الزمر]

حتى الكلمة:

﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق]

إذن: الفكر هو أعلى الذكر، لأنه ذكر المقربين.

﴿لذلك ذهب جماعة من شباب المسلمين لسيدنا أبو الدرداء يسألون عن عبادته، فوجدوا زوجته فسألوها عن عبادته؟

فقال: يجلس يتفكر، فيم يتفكر؟

ليس في الدنيا أو المشاغل أو المشاكل، وإنما يتفكر في خلق الله في الآفاق أو في آلاء الله، في نفسه أو في نهايته عند الله أو في المقام العظيم الذي يطلبه من الله.

فلو أن لي مقصداً عظيماً وأتمنى أن أكون مع عباد الله الصالحين وأحظى بشيء من الفتوحات التي فتح الله بها عليهم، هذا الأمل سيدفعني للعمل وأبحث كيف وصل هؤلاء القوم؟

وصلوا بالمحاسبة والمراقبة.

ويظل يراقب الله إلى أن يصل لمقام لا يغفل فيه عن الله ﷻ طرفة عين ولا أقل، حتى يكون الرجل منهم ...

﴿١٨٠﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

مع الله في نومه، ينام وهو يذكر الله ويقوم من نومه يجد قلبه يذكر الله، لأن قلبه اطمأن بذكر مولاه ﷺ وهذا هو الطريق الذي ينمي المحبة ويجعل الإنسان يدخل في عداد الأحبة :

{ أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم والآلاء }^٩

وحبذا لو فكر في النعم الباطنة:

إذا كان الذي سيتفكر في النعم الظاهرة سيحظى بهذا المقام، فكيف بالذي سيتفكر في النعم الباطنة: كالإيمان والقرآن والنبي العدنان والهداية..، لما يتفكر كيف وصلت له هداية الله :

﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ
الْكَفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [٧ الحجرات]

﴿هل جاء الإيمان منذ ولادتنا؟﴾

أبدأ هذا من قبل القبل ويقول في ذلك الحبيب:

{ إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك

النور وفق واهتدى ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى }^{١٠}

فإن لم يتذكر الإنسان ويتفكر متى أعطى الله له النور؟

ومتى اختصه الله بعنايته؟

(قبض قبضة يمينه وقال هؤلاء إلى الجنة، ولا أبالي، وقبض قبضة

بشماله وقال هؤلاء إلى النار ولا أبالي):

^٩المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن ابن عباس.
^{١٠}سنن الترمذی عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فنحن جميعا والحمد لله في القبضة التي على اليمين :

بكم اشترينا هذا الفضل؟

بكم ركعة صليناها؟

وبكم عمل عملناه؟

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [٤ الجمعة]

بعد ذلك اختار الله الأمم، وخير بين الأمم، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس.

فعندما يتفكر الإنسان في هذه العناية وهذه الهداية وهذه السابقة سابقة الحسنی، يعلم أن فضل الله عليه: لا يعد ولا يحد ويكرر....

قول الواحد الأحد:

﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [٣٤ إبراهيم]

فيقول: الحمد لله على نعمة الإيمان ونعمة الهداية ونعمة العناية ونعمة الفضل من الله ﷻ.

﴿في هذه الحالة لو قتر الله عليّ في الرزق، أو قلل عليّ الأرزاق الظاهرة، لا يهم...!!..المهم...: الإيمان.

لا يقول بعد الأكل: أدمها نعمة وأحفظها من الزوال - لأنها محفوظة - ولكن يقول على نعمة الإيمان؛ لأنها النعمة الباقية التي بها الجنة الراقية، والتي بها المقامات العالية عند الله ﷻ.

وبهذا يدخل على ذلك المقام.

﴿١٨٢﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

مَحَبَّةُ الْحَبِيبِ

ثم بعد ذلك :

{ وَأُحِبُّونِي لِحُبِّ اللَّهِ ﷻ لِي }^{١١}

فعند ذلك لا يري سيرة رسول الله وأين ولد وزواجه وحياته فقط، ولكن سيرى فضل الله عليه في كتاب الله.

"أحبوني لحب الله ﷻ لي" هل ربنا كان يحبه؟

نعم..... كم مقدار الحب؟ ... يقرأ كتاب الله ويتدبر الآيات التي يتكلم فيها الله ويشي فيها على حبيب الله ومصطفاه ليعرف فضل الله علينا بهذا النبي الكريم ﷺ فيحب النبي كحب أصحاب النبي لحضرة النبي.

✽ الحب الذي جعل الواحد منهم مثل سيدنا أبو بكر ﷺ وأرضاه:

تارة يمشي أمامه وتارة يمشي خلفه وأخرى عن يمينه وتارة يمشي عن شماله، لأنه خائف على رسول الله، قد يكون عدو أمامه أو خلفه أو عن يمينه أو عن شماله حتى خائف عليه من الحيات والعقارب والحشرات..

فقال لرسول الله:

انتظر حتى أدخل الغار قبلك وأخذ يقفل ثقوب الغار بعد أن قطع جلبابه ليسد به ثقوب الغار لأنه خائف على رسول الله فوق الوصف.

حتى أن سيدنا رسول الله قال:

"اللهم إني قد رضيت عن أبي بكر فارض عنه في الدنيا والآخرة واجعله

^{١١} المستدرك على الصحيحين للحاكم عن ابن عباس.

معي في الجنة" لماذا؟

للحب الذي رآه من أبي بكر رضي الله عنه، وفي رواية أنه سأله :

إلى أي مدى تحبني يا أبي بكر ؟

فتمثل رضي الله عنه قائلاً:

أحبك حبا لو يفاض سيره على الناس ... مات الناس من شدة الحب

وما أنا موفٍ بالذي أنت أهله ... لأنك في أعلى المراتب من قلبي

فلو وصلنا لهذا الحب... الواحد فينا سينام ويجد الحبيب في حضنه.

﴿ سيدنا الإمام مالك كان يحب رسول الله نفس هذا الحب فكان

عندما يمشي في المدينة يخلع حذائه ويمشي حافياً، لماذا؟

يقول: أخشى أن أطأ بنعلي موضع قدم رسول الله وعند قضاء حاجته

يخرج خارج المدينة ليقضي حاجته.

داخل درس العلم في مسجد رسول الله لازم يدخل أولاً الحمام ويغتسل

ويتطيب ويلبس أبهى ما عنده

يقول: لأنني خارج لحديث رسول الله لا بد أن أعظم حديث رسول الله

ولذلك كان يقول: ما بت ليلة إلا ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام

لأنه مشغول به يحب رسول الله حبا جعله مشغولاً به بالكلية.

﴿ فعلامه حب رسول الله أنه عند النوم على الأقل يرى رسول الله في

المنام يراه يجالسه ويؤانسه ويحدثه ويوجهه هذه هي علامة الحب.

وإذا لم تصل لهذه الحالة :

يكون حب رسول الله لم يصل للغاية لأنك في هذه الحالة تكون

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

مشغولا بالدنيا أو بالأولاد أو بالزوجة أو بالمنصب والدنيا، ولا يرضى رسول الله إلا إذا كان في أعلى الرتب من القلب ﷺ.

✽ ✽ إذا الإنسان حينما يقرأ في القرآن الآيات التي تتحدث عن النبي العدنان يعرف المكانة التي أوصله الله إليها.

أحد أصحاب رسول الله ﷺ وهو سيدنا عبد الله بن زيد صاحب الأذان:

كان واقفاً في حديقته لحظة انتقال سيدنا رسول الله للرفيق الأعلى، فجاءه ابنه قائلاً له أن رسول الله لحق بالرفيق الأعلى فقال على الفور:

{ اللهم اعم بصري حتى لا أرى بعد حبيبك محمد بعيني أحداً }

فأخذ الله بصره في الحال، وصل الرجل بحبه لرسول الله لدرجة أنه لا يريد أن يرى أحداً بعد رسول الله بعينه.

حبا جعل هؤلاء القوم يقدونه بآبائهم وأمهاتهم وكل شيء هو لهم!
وا تخلف عن ذلك أحد حتى النساء...!! أسمعوا لقصصهن التي
تخلب الألباب في جبههم له ﷺ....

✽ امرأة من الأنصار، عندما سمعت أن هناك قتلى كثيرين في غزوة أحد ذهبت لتطمئن على زوجها وأبيها وابنها فقابلوها في الطريق...

وقالوا لها : استشهد زوجك

قالت : وماذا فعل رسول الله ؟

قالوا : بخير.

وبعد قليل قالوا : ابنك استشهد

قالت : ماذا فعل رسول الله!؟

﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾ ﴿١٨٥﴾

قالوا : بخير!

بعد قليل قالوا لها : استشهد أبوك!

قالت : وماذا فعل رسول الله؟

قالوا : بخير

قالت : أرونيه

فأوقفوها على صخرة في مكان عال في المكان الذي سيمر فيه سيدنا رسول الله إلى أن مر رسول الله ورائته، فقالت: كل مصيبة بعدك جليل (يعني هيئة)...!!.. ما هذا الإيمان؟ وما هذا الحب؟

✽ هذا هو الحب الذي بلغوا به المراد، والذي نالوا به كريم العطاء من المنعم الجواد، والذي نالوا به المنازل العالية، وبه صاروا من الأفراد لأنهم هاموا عشقاً وهياماً صادقاً في حبيب الله ﷺ على الدوام، في اليقظة والنام، ولم يشغلهم عن حضرته شيء من الدنيا، ولا من الحطام وأعطاهم الله ﷻ ما سمعنا بعضه لحبهم لرسول الله ﷺ.

وعلى هذا المنهج كان الصالحين.

✽ الإمام أبو العزائم رحمته الله، كان جالساً في ليلة واضعاً يده على وجهه وهو يتذكر ويتفكر، في أحوال رسول الله ومقاماته عند الله، فلما رأوه سمعوه يقول :

كم ليلة فيك لا صباح لها

قد بت فيها قانصاً على كبدي

قد غصت العين بالدموع وقد

وضعت خدي على بنان يدي

الحبة والتابعة

وهذا هو الشغل برسول الله ﷺ :

شغل كامل بعالم الباطن حتى يحل فيه بجماله وكماله وأنواره وعطاءاته وهباته وتفضلاته، وهذا الحب يدفع المحب إلى أن يتشبه به ﷺ في كل أحواله: في مشيه وفي أكله وفي شربه وفي نومه وفي حديثه وفي كلامه ويكون دائما أمام ناظره قول رب العزة :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب]

لكن الحب الذي لا يدفع إلى التشبه بالحبيب :

يكون حب معيب، وصاحبه معيب، والمعيب لا ينال جمال الحبيب.

لكن المحب يتشبه بالحبيب في أخلاقه وفي معاملاته، لينال فضل الله :

لأنه سيعامل الناس بما كان يعامل به حبيب الناس.

✽ فالذي يتأسى به لا يتفوه بكلمة نابيه ولا تصدر منه أخلاق جافية

وإنما يكون على الخلق العظيم فيمن حوله أجمعين.

لأنه يقتدي بإمام الأنبياء والمرسلين، ورجل هذا حاله وهذا شأنه ينال حب الخلق وحب الخالق وحب حضرة النبي ويوضع له الحب في السماء ويوضع له الحب في الأرض.

✽ نسأل الله ﷻ أن يضع حبه الخالص لوجهه الكريم في قلوبنا. وأن يجعل حب حبيب الله ومصطفاه في مهجة أفئدتنا، وأن يرزقنا أجمعين حبا

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

خالصاً لوجهه الكريم.

وأن يوفقنا لفعل المحبين، ويرزقنا أرزاق المحبوبين، ويجعلنا نقتدي بحضرة النبي وشمائله وهداه في كل وقت وحين، ويجعلنا نتمسك بسنته أجمعين حتى نكون معه في الدنيا، ومعه يوم الدين.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

موقف الشريعة من علم الإلهام

أسس علم الإلهام في الكتاب والسنة

أخواني القراء الكرام ...

دعونا نسأل سؤالاً يتبادر لأذهان الكثيرين ...

ما أسس علم الإلهام من الكتاب والسنة؟

نجيب بفضل الله تعالى ونقول :

سيدنا موسى عليه السلام لما سأله بني إسرائيل من أعلم الناس يا موسى؟ .. قال: أنا، فأمره الله ﷻ أن يذهب إلى العبد الصالح.

ما اسمه؟ ما شخصه؟

ليس لنا شأن بذلك، لأن الله لم يخبرنا بشأنه وهناك بعض الروايات تقول إنه اسمه بلياً بن بلكان أو الخضر، المهم ألا نشغل بالنا بهذا الموضوع.
لما ذهب سيدنا موسى إليه والتقى به على ساحل البحر، كما حكى

وجاء عصفور فشرب من البحر قال: صلى الله عليه وسلم

(يا موسى أنت على علم علمك الله، لا أعلمه أنا وأنا على علم علمني الله لا تعلمه أنت، وما علمي وعلمك في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر).

هذا العلم وهو العلم الإلهامي موجود في كتب الصالحين أجمعين. (استطرد أحد الحاضرين) طالبا الدليل...:

✽ أول دليل: ألا ينافي الشريعة الإسلامية.

✽ الدليل الثاني: وهو الأهم أن يكون سلوكه مطابقاً لقوله.

لأنه لو قال ما لا يصدقه فعله يكون حافظاً لأن كثيراً من الناس يحفظ كلام الشيخ محي الدين بن العربي لكي يكون أمام الناس شيخ كبير ليس له مثل ما الدليل هنا؟ فعله. لقد قالوا في ذلك:

الاستقامة خير من ألف كرامة، وإذا رأيت الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تعتقد فيه حتى تختبره عند الأمر والنهي.

سيدي أبي اليزيد البسطامي رحمته الله:

سمع عن رجل من الصالحين، فقال لمريد له: هيا بنا نذهب إلى هذا الرجل الذي اشتهر بالصلاح لنزوره، فذهب إلى القرية وسأل عنه فدل، على المسجد الذي يصلي فيه وأخبروهما أنه إمام المسجد.

وعندما دخلا المسجد، بينما كانا يبحثان عن الرجل ذهبنا ناحية قبلة المسجد فوجدنا نخامة - وهي الشيء الذي يرجع من الأنف إلى الحلق - فقال سيدي أبو اليزيد لمريده: هيا بنا نرجع لا حلجة بنا للقائه!، قال:

يا سيدي ولماذا؟ قال:

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

إذا كان هذا غير مأمون على أدب من آداب الشريعة وقد تفل في القبلة،
فكيف يأتينه الله ﷻ على أسراره.

هذا هو الاختبار :

شروط علم الإلهام

فعلم الإلهام له شروط :

✱ شرطه الأول: أن يكون مطابقاً لكتاب الله

✱ والشرط الثاني أن يكون من يقوله فعله يطابق قوله

✱ الشرط الثالث وهذا مهم :

أن يجد الإنسان صدى له في قلبه، وكل واحد منا - والحمد لله -
عنده هذا الميزان، الحسن البصري كان يستمع إلى رجل؛ فالميزان أعطاه
العلامة الحمراء، غقال:

يا هذا إن بك عيباً أو بي.

لماذا؟ .. لأنه إذا كان الكلام عن النور حصل لسامعه السرور، وقال
الشيخ ابن عطاء الله ﷻ وأرضاه في الحكم:

كل كلام يخرج وعليه كسوة من نور القلب الذي خرج منه.

ومثلما قالوا:

إذا كان الكلام من القلب وقع في القلب وإذا كان الكلام من اللسان لا
يتجاوز الأذان.

﴿١٩٠﴾ ﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فإذا كان الكلام أشعر له بوقع في قلبي ورنين في نفسي وصدى في روعي يكون إلهام.

✽ الشرط الرابع وهو مهم أيضا :

أن نجد العالم الملهم يخبرني بما في نفسي بغير أن أخبره، لأنه عندما أتكلم معه ويبدأ هو في الكلام يضع يده على الجرح الذي عندي ويبدأ يتكلم فيه، من أين عرف؟ ألهمه الله ﷻ.

وهذا الموضوع هو الذي يجعل المريدين متمسكين بالصالحين: لأنه يذهب للرجل الصالح وعنده هموم ومشاكل لا يجد لها حلاً والدنيا مسددة في وجهه ، وعندما يجلس معه.. يسرد له الشيخ هذه المشاكل وحلولها من غير أن يفتح فاه، من أين عرف؟

"نبأني العليم الخبير"

فهذه الوراثة من العلي الكبير ﷻ.

سيدنا عثمان بن عفان ﷻ :

كان جالساً يوماً في مجلس الحكم، فدخل عليه أحد الأصحاب الكرام - وكان الداخل قد نظر إلى امرأة في الطريق - فنظر إليه عثمان ﷻ، وقال:

أما يستحي أحدكم أن يدخل عليّ وفي عينيه أثر الزنا.

فقال الرجل مبهوتاً: يا أمير المؤمنين أوحى بعد رسول الله ﷺ،.

قال ﷻ: لا ولكنها فراسة المؤمن:

{ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله }^{١٢}

^{١٢} سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري.

مشروعية الذكر

س ٢: هل الذكر بالصورة الحالية التي نراها الآن كان في عصر رسول الله ﷺ؟

ج : ليس كل شيء نفعه كان في زمن رسول الله ﷺ، لكن كما قلت الأصل في الأمور الإباحة: إلا إذا وجد مانع كمثال صلاة التراويح، متى أقيمت في جماعة؟ في عصر سيدنا عمر ؓ لكننا ارتضينا بها وأقمناها لأنه ليس هناك ما يمنعها في شرع الله ﷻ، فالذكر الذي ورد.. كقول الله:

﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب]

في أكثر من آية، وورد أن هناك حلقات من الذكر كانت مقامة في مسجده ﷺ، لم تصفها الروايات: فقد دخل المسجد ووجد حلقة ذكر وحلقة علم، لم توضح الروايات كيف كان أمر حلقة الذكر؟ لكنهم كانوا يذكرونه في حلقة، ماذا قال عنهما ﷺ؟ قال:

{ كلاهما على خير وإنما بعثت معلماً }^{١٣}

وجلس في مجلس العلم، ولكنه لم ينكر على مجلس الذكر، ولم يأمر بإخراج أهله من المسجد، فأقره رسول الله ﷺ بل زاد فقال:

(إن لله ملائكة سياحين إذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلي بغيتكم فيحفونهم بأجنحتهم من الأرض إلى السماء إلى آخر الحديث الذي يقول فيه هم القوم لا يشقى جليسهم.)

^{١٣} رواه الألباني عن عبدالله بن عمرو بن العاص.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فالآثار الواردة في الذكر لا تعد ولا تحصى !! من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسول الله ﷺ.

﴿أما الهيئة، فقد قال فيها الله [١٩١، آل عمران]:

﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيلَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾

إذا ذكركم من قعود موافق للآية، من قيام أو نيام موافق للآية، ليس هناك ما ينفي أي ذكر بأي كيفية على وفق هذه الآية.

ما المانع والدليل الذي يمنع من ذكر الله على أي وضع ذكرناه؟
هل هناك مانع؟

وسأل أحد الحاضرين... أليس معنى قياما (يتفكرون)؟

والجواب: القرآن لا يحدد يا أخي، ولا تقصر اللفظ على المعنى الذي في فكرك، القرآن واسع يسع كل المعاني أنت أخذته على معنى، وأنا آخذه على معنى، لأن إبليس نفسه لما قابل إبراهيم ابن أدهم ﷺ فقال

له : ألك نصيب في رحمة الله

قال : نعم

قال : أين؟

قال : ربنا يقول:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾

وأنا شيء، فقال إبراهيم بن أدهم: ولكن الله قال بعدها :

﴿فَسَأَلْتُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية (١٥٦) الأعراف]

﴿الباب السادس: حقيقة محبتهم﴾ ﴿١٩٣﴾

فقال له إبليس:

ما كنت أظن أنك بهذا الجهل يا إبراهيم، عمم الله عيِّبك وتخصص أنت،
فالقُرآن يسع الكل، فلا تخصص معنى من المعاني على حسب فهمك أنت.

فسرت قائماً على أنه واقف فقط...

آخر فسرهما على أنه واقف يتفكر ...

ووصف القيام على أنه يتفكر ...

وثالث فسرهما على أنه قائم في الصلاة في جنح الليل، وهذا صادق.

ورابع فسرهما على أنه واقف في ميدان القتال ممسكاً بالسيف!

وخامس فسرهما على أنه واقف يربت على رأس اليتيم !!

لا نخصص نحن لفظ القرآن على معنى واحد في أذهاننا.

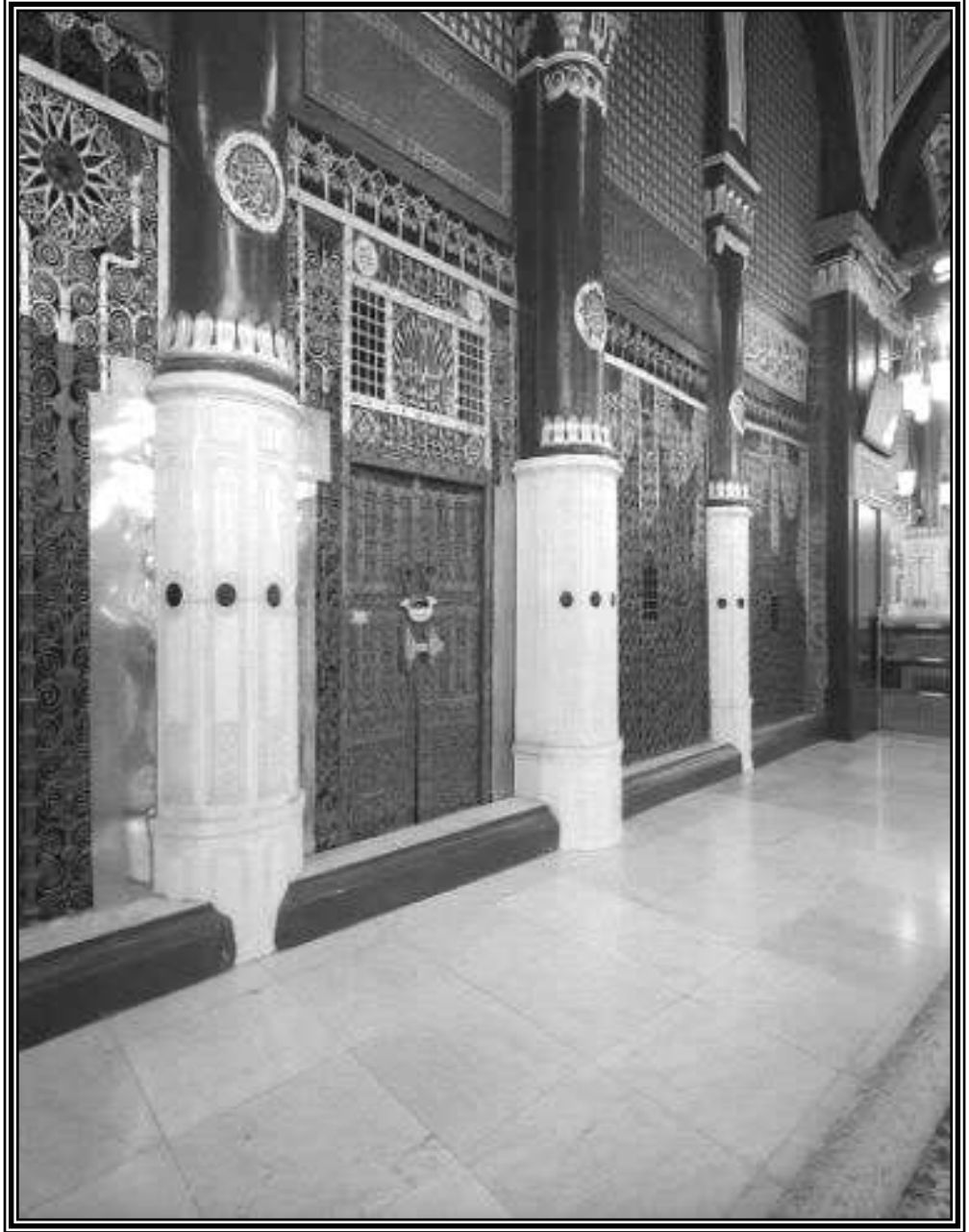
لكن لفظ القرآن واسع يسع الكل.



البَابُ السَّابِعُ

﴿بَابُ الْقُرْبِ وَمِفْتَاحُ الْوِصَالِ﴾

- باب القرب
- حقيقة الحب
- حب الصحابة للنبي
- الداء والدواء
- علامات الحب الصادق
- حسن الإتياع
- التسليم لشرع الله ﷺ
- الإكثار من الصلاة عليه ﷺ
- تعظيمه وتوقيره ﷺ
- الفرح برسول الله ﷺ
- ثمرات محبته ﷺ
- الغاية من رؤية سيدنا رسول الله ﷺ
- تربية النبي البرزخية
- رؤيته ﷺ يقظة
- الاجتهاد لرؤيته ﷺ
- همم الرجال
- نية الصلاة على النبي وتكريم أهلها
- التأهل لرؤيته صلى الله عليه وسلم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(*)

الحمد لله رب العالمين ...

الذي أكرمنا بسيد الأولين والآخريين ...

وجعله إماماً لنا في الدنيا وشفيعاً لنا يوم الدين....

وجعله لنا نبياً ورسولاً واختاره لنا بفضلته ومته وكرمه مبشراً لنا وجعلنا من خيار التابعين لحضرته أجمعين.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على قطب دائرة الجمال وجاذب القلوب إلى مقامات القرب والكمال وفتح خزن العطايا والمواهب لجميع الصالحين والعارفين والرجال ...

سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين يا رب العالمين.

إخواني وأحبابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين.

نحن جميعاً والحمد لله سمعنا ووعينا الكثير عن ميلاد رسول الله ﷺ وعن سيرته العطرة وعن أخلاقه الكريمة وأحواله العظيمة.

والآن أريد أن أتناول في هذه الصفحات القليلات ، أو فلنقل أريد أن أفق معكم أحبابي على باب عظيم لنا جميعاً مع هذا النبي الكريم ﷺ :

فقد جعله الله ﷻ باب القرب لكل الرجال ومفتاح الوصل لجميع أهل الكمال فلا يدخل عبد إلى الله ﷻ إلا عن طريق حضرته ولا يصل واصل إلى فضل الله وعطاء الله وكمال الله إلا بواسطة صدرته ولا يسمح الله ﷻ لعبد

(*) احتفال المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية يوم الخميس ٢١ من أبريل ٢٠٠٥ م الموافق ١٢ من ربيع أول

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

بوصاله ونواله إلا إذا كان ذلك عن طريق خيار بريته عليه السلام.

هذه الحقيقة عرفها الصالحون وتحقق منها المقربون فأقبلوا بالكلية بقلوبهم وأسرارهم وأرواحهم على هذه الذات المحمدية وعكفوا عليها بالكلية لأنهم علموا أنه هو السبيل الوحيد لإرضاء الله عليه السلام وفي هذا المجال يقول سيدي مصطفى البكري رحمته الله :

وأنت باب الله أي امرئ

أتاه من غيرك لا يدخل

باب القرب

هو باب القرب لحضرة الله عليه السلام وباب أي فضل وأي عطاء وأي نوال لمن يريد ذلك من أهل الوصال وأهل الجمال وأهل الكمال الطالبين القرب من الواحد المتعال عليه السلام.

كيف يكون ذلك؟

قال الأئمة العارفون والسادة المحققون في ذلك:

إن في القلب طاقة لا يسدها إلا حب الله عليه السلام ورسوله صلى الله عليه وسلم.

القلب جعل الله عليه السلام فيه طاقة نورانية، فيها شفافية روحانية، وفيها حياة قدسية، وفيها لوامع إلهية....

هذه الطاقة لا تتحرك ولا تتحفز ولا تسير بالمرء إلى حضرة الله، إلا إذا ملاً هذه التجاويف بحب حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لأن الله ﷻ أمر المرء أن يقبل على الله بهم واحد، فلا يترك قلبه تتشعب به الأهواء وتتفرع به الشهوات والأغراض، لكن القلب الذي يسمح الله بوصاله:

هو الذي توحدت فيه الوجهة ولم يعد له إلا الله ورسوله ﷺ.

ولا توجد أي حاجة تستطيع أن توحد همة القلب وتجمع أفياء القلب على وجهة واحدة إلا حب الله وحب رسول الله ﷺ.

لكن لو أن الإنسان لم يملأ القلب بحب حضرة النبي ﷺ : فإنه يتسرب إليه شاء أم أبى حب الأشياء الدنيئة كالشهووات والأهواء والحظوظ والملذات الفانية والتي لا تغني الإنسان ولا تسمن من جوع في قلبه من الله.

فلا يظهر القلب من هذه الدنئات، ولا يطرد هذه الشهوات ولا يفرغه من الأغيار، لكي يصلح لتنزل الأنوار وتجلى الواحد القهار إلا إذا أشرق في هذا الفؤاد وفي هذا القلب وملك شغافه حب النبي المختار ﷺ.

وهذا هو الحب الذي بلغ برسول الله من اعتداده بشأنه ومن اهتمامه بأمرنا أن أقسم لنا وقال ﷺ :

{والله لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده ونفسه والناس أجمعين}¹

سيدنا رسول الله يقسم وهو في غير حاجة إلى القسم، لأن كلامه ﷺ وحي يوحى، لكنه ليؤكد لنا هذه الحقيقة التي لا بد منها لمن أراد سلوك الطريقة، والوصول إلى هذه المناصب الرفيعة والمقامات السامية والفيوضات العالية في رضاء الله وفي القرب من حضرة الله جل في علاه.

¹ المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن فاطمة بنت عتبة

حَقِيقَةُ الْحُبِّ

فمن أراد أن يكون مقرباً من الله لا بد أن يملأ تجاوبف القلب كله
وشغاف الفؤاد كله بحب الحبيب ﷺ :

الحب الذي يملك عليه جميع زمام أمره حتى أن هذا الحب يسيطر
عليه عند مشيه وعند نومه وعند أكله وعند شربه وعند عمله :

فيجعله يستحضر الحبيب ﷺ في كل أمر من هذه الأمور:

- فإذا مشى غلب عليه حب رسول الله فيحاول أن يقلده ويتابعه في
مشيه كما كان يمشي، وكما وصلت إلينا الروايات الصحيحة عن
مشيه في هذه الحياة.

- وكذلك إذا أكل وإذا شرب وإذا فعل أي عمل.

- حتى إذا ضحك يحاول أن يتبسم كهيئته، وكما وصلت إليه حالته
في التبسم ﷺ فقد كان جُلَّ ضحكه التبسم، وكان كما قالوا
يضحك أو يتبسم من غير صوت، ويظهر من فمه أسنانه الشريفة
والتي وصفوها بأنها بيضاء وناصعة وبأنها كاللآلئ أو كالدرر من
شدة جمالها وحسن تركيبها، لأن الله ﷻ ركب على أكمل هيئة
وجمله على أفضل صورة.

فهو ﷺ المثل الأعظم...

والنموذج الأقوم الذي جعله الله ﷻ أسوة لمن أراد أن يصل إلى الله
سبحانه وتعالى جلَّ في علاه.

حُبُّ الصَّحَابَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ

وهذا هو الباب الذي دخل منه أصحاب رسول الله أجمعين .
فقد قال الله ﷻ في شأن الأنصار:

﴿ تَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٩ الحشر]

والذي هاجر إليهم هو رسول الله ﷺ .

● وكانوا يحبونه حباً بلغ بهم أن بعضهم كان يذهب إليه ويقول :

{ "يا رسول الله إني إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة، إني لا أطيق فراقك، ولا أستطيع أن أبعد عنك طرفة عين ولا أقل، فأنذكر الآخرة والجنة وأنك تكون في الجنة في عليين وأنا في المنازل الدانية في الجنة، ثم أخذ هذا الرجل يبكي بكاءً حاراً أمام حضرة النبي ﷺ فما كان منه ﷺ إلا أن ربّت عليه، ووضع يده على كتفيه وقال أبشر أنت مع من أحببت يوم القيامة.)

● هذا الحب الذي جعل عبد الله بن زيد ﷺ الذي جاء بالآذان وحياً منامياً من عند حضرة الرحمن وكان في بستان له يعمل وجاءه ابنه وقال: يا أبت لقد انتقل سيدنا رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى فقال: اللهم خذ بصري حتى لا أرى بعد حبيبك ﷺ أحدا فأخذ الله بصره واستجاب له دعاءه.

● هذا الحب لمسه حتى الكافرون، فعندما حدث صلح الحديبية وأرسلت قريش عروة بن مسعود إلى رسول الله ﷺ ليتفاوض في أمر الصلح

مع أهل مكة رأى عجباً :

رأى أصحاب رسول الله ﷺ عندما يتوضأ يتدرون وضوءه فلا يتركون قطرة منه تنزل على الأرض، بل يمسحون به وجوههم وأبدانهم وآه ﷺ عندما دعا الحلاق ليحلق شعره تنافسوا على شعره ﷺ، فمنهم من اغتتم خصلة، ومنهم من فاز بشعرة، والكل يتهافت على شعر رسول الله ﷺ ولم يتركوا شعرة تنزل على الأرض.

حتى أنه وجدهم عندما يتفل رسول الله ﷺ يتلقون ريقه الشريف ولا يتركونه يقع على الأرض. فذهب إلى قريش وقال:

يا أهل مكة لقد ذهبت إلى كسرى في ملكه، وإلى قيصر في ملكه، وإلى النجاشي في ملكه، وما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد ﷺ.

● والحقيقة لو استطردنا في هذا الأمر فإننا نحتاج إلى وقت طويل لنعبر على قدرنا عن حب أصحاب الحبيب للأعظم ﷺ هذا الحب هو الذي نالوا به أوفر نصيب من العطايا الإلهية ومن الإكرامات الربانية وكان التنافس بينهم والدرجات فيما بينهم على قدر منازلهم في حبهم لرسول الله ﷺ.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [الآية (١٦٥) البقرة]

● وصل هذا الحب حتى للنساء فالمرأة الأنصارية التي استقبلت في غزوة أحد بوفاة زوجها قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟

قالوا: بخير، ثم قيل لها: مات أبوك، قالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟، قالوا: بخير، ثم أخبرت بموت أخيها، فقالت: وماذا فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: بخير، قالت: أروني، تستقبل بهذه المصائب ولا تشغل بها وكان

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

كل همها وشغلها الاطمئنان على حبيب الله الأعظم ﷺ. هذا هو الحب الذي فازوا به وجازوا فأوقفوها على صخرة وقالوا: يا أمة الله انتظري هنا فإن رسول الله ﷺ سيمر من أمامك، وعندما مر من أمامها أشاروا إليها وقالوا: هذا هو رسول الله فنزلت وأمسكت بثوبه وقالت:

"كل مصيبة بعدك جلل "

يعني صغيرة" أي لا تهم المرء ولا ينشغل بها المرء لأن رسول الله ﷺ هو الإكسير الذي به يتفضل العلي الكبير على المؤمنين في هذه الحياة.

فإذا انشغلوا بحبه فإن الله ﷻ يفرج عنهم كل كرب ويكشف عنهم كل غم، ويذهب عنهم كل هم، وفي الآخرة يكون لهم ما تعلمون وما تعرفون من القدر العظيم، ومن الأجر الكريم لحبهم للبشير النذير ﷺ.

اسمعوا إلى الله وهو يقول:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ [الأنفال، ٣٣]

● القلب الموجود فيه حب رسول الله :

لا يعذب بأمر في هذه الحياة، لا يعذب بهم ولا غم ولا كرب ولا شدة ولا بلاء ولا عناء، لأن الله يتولاه ويصرف عنه كل هم ببركة رسول الله ﷺ. إذاً الذي يحبه وقلبه غير معلق به بالكلية لو استجار به واستغاث إلى الله، بسببه فإن الله يكشف عنه كل همه :

ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به .إلا وجدت جواراً منه لم يضم
ومن تكن برسول الله نصرته .إن تلقه الأسدُ في آجامها تجم

وهذا هو الذي يستغيث بالله ويتوسل إليه بحبيب الله ومصطفاه فما بالك بالذي انعقد قلبه وامتلاً حتى طف الحب من قلبه على أعضائه هيماً

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٠٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وعشقاً في ذات حبيب الله ومصطفاه يقول في ذلك الحبيب الأعظم صلوات
الله وسلامه عليه :

{ ما اختلط حبي بقلب عبد مؤمن فأحبني إلا حرم الله جسده

على النار } ٢

ما دام امتلأ القلب بحب رسول الله يحرم الله ﷺ جسده على النار.

الداء والدواي

هذا الحب يا إخواني الذي نتكلم عنه:

أرقى وأعلى وأسمى من أي حب لأي شيء يتعلق به المرء في هذه
الحياة، حتى ولو كان المال أو الزوجة أو الولد.

ولذلك عندما تنظر للحبيب الأعظم ﷺ وهو ينظر ببصيرته النورانية
لأحوالنا المعاصرة في هذا الزمن، ويشخص الداء الذي بسببه تألب علينا
الأعداء وأصبحوا يلعبون بنا كما نرى الآن، ماذا قال؟

{ يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها } ٣

كالجماعة يجتمعون على قصعة لكي يأكلوا منها :

{ قالوا أمن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: لا، أنتم يومئذ كثير ولكنكم

غناء كغناء السيل "مثل الرغاوي التي أعلى ماء البحر" قالوا: ولم يا رسول

^٢ حلة الأولياء عن إسماعيل السدي وإسماعيل بن رجاء.

^٣ سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن ثوبان.

الله؟ قال: قذف في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن؟ قال: حب الدنيا}.

● بعد حب رسول الله، وحب الله، وحب الآخرة، أصبح المسلمون يحبون الدنيا، والدرهم، والدينار، والنساء، والشهوات، والأهواء،
وقال في ذلك ﷺ في الحديث الصحيح الذي يرويه الإمام البخاري
ومسلم وغيرهما كثيرون :

{تعس عبد الدرهم، تعس عبد الزوجة، تعس عبد الخميصة، تعس
وانتكس - يعنى لا يبرأ أبداً- وإذا شيك فلا انتقش} ٤

يعنى لو دخل شوكة في رجله، دعى عليه ألا يجد ملقطاً يلقط به هذه
الشوكة.... لماذا؟ .. لأنه أحب غير حبيب الله وكان حبه لحبيب الله
ومصطفاه في درجة دنيا عن حبه لدنياه ... وهذا أمر لا يرضاه الله، ويغار من
أجله الله :

فهذا هو الذي شخّصه حبيب الله ومصطفاه لما نحن فيه الآن:

- تبدلت الأحوال، وأصبحت القلوب مليئة بالعيوب.
- لعشقها الشهوات والحظوظ والأهواء والملذات.
- وهذه التي حذر الله منها في محكم الآيات:

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ
إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾ [٢٤ التوبة]

وهذا هو الحادث الآن... وسببه هو هذا الأمر ... إذاً الحب

^٤ صحيح البخاري عن أبي هريرة.

المطلوب؛ أن يكون حب الله ورسوله أعلى مما سواه، في قلب العبد.

علامات الحب الصادق

ما علامات هذا الحب الذي سيوصلني إلى مقامات القرب من الله **وَجَلِّ؟** علامات هذا الحب كثيرة نكتفي بما ورد في شأنها في كتاب الله.

العلامة الأولى: حسن الإتياع

من قوله جل في علاه في [(٣١) آل عمران] :

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي ﴾

الإتياع لرسول الله في شرعه الذي جاء به من عند الله، اتباعه في هديه، اتباعه في سمته، اتباعه في أخلاقه ومعاملاته، لا نتبعه في العبادات فقط ونترك إتياعه في الأخلاق وفي المعاملات بيننا وبين عامة الناس لكن نتبعه .. في الكل..... فاتبعوني.... فيم ؟

في كل شأنه وفي كل أمره وفي كل أحواله وفي كل ما كان عليه في حياته. وهذا هو الإتياع الصادق لرسول الله ﷺ.

فلو تابعه المرء في ناحية: مثلما حدث في عصرنا هذا، توجه كثير من المعاصرين إلى اتباع ظاهر النبي المصطفى وتركوا اتباعه في المعاملات

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

والأخلاق والصفاء والنقاء والحب لجميع الناس.

وهذا الإتيان مردود ولا يوصل إلى المقصود.

ولذلك تجد من يتبع مثل هذا الإتيان لا تظهر عليه ثمرات المحبة ولا ينال شيئاً مما يناله الأوجه لأن الإتيان الصادق له ثمرات ينالها الإنسان سنتحدث عنها إن شاء الله في هذا الدرس بفضل الرحمن ﷻ.

فمن ادعى أنه يحب رسول الله ولا يتبعه:

ينطبق عليه قول الرجل الصالح:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه

هذا لعمرى في القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع

● هناك امرأة رآها سيدنا عمر تلبس خاتماً من ذهب فقال لها:

اخلمي هذا الخاتم فنزعته، وبعد حين من الدهر مات عمر فذهب إليها بعض جيرانها وقالوا لها: لقد مات الذي أمرك بنزع الخاتم، فالبسبه قالت:

لا والله ما كنت لأطيعه حياً وأعصاه ميتاً.

تمرنوا على هذا الأمر على حسن الإتيان في كافة الأوضاع لسيدنا رسول الله ﷺ لأن الإتيان يورث محبة الله :

﴿ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ وبعد حب الله ... تأتي العطية الثانية

ببركة إتيان النبي ﷺ :

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٠٧﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٣١ آل عمران]

إذن الإتيان ثمرته محبة الله ﷻ والمغفرة منه سبحانه.

العلامة الثانية التسليم لشرع الله

قال تعالى في محكم التنزيل في [سورة النساء]:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

أن يجد الإنسان في صدره وفي قلبه وفي فؤاده الرضا التام عن كل أمرٍ أمر به النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.

- فلا يجد اعتراضاً في فؤاده على شئ من شرع الله.
- ولا يجد تنازعا في عقله على حكم قضاه وقضى به رسول الله.
- بل يسلم بكل ما جاء في شرع الله .
- ولا يسمح لعقله أن يحكم على أمر قضى به الله أو نزل به رسول الله ﷺ لأن أمور الشريعة فوق العقول.

- وإنما يقول دائما ويعتقد بكل يقين إن كان هذا الأمر جاء من الله إذاً ليس لنا دخل بهذا الأمر فلا نسمح للعقل أن يفكر في أي أمر شرعي لأن الأمور الشرعية أمور إلهية وإذا كان العقل لا يدري شيئاً

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

عن العقل فكيف يدرك النقل الذي نزل من عند خالق العقل وعجل؟

أين العقل لكي نعرفه أو لكي ندركه؟

فلا مجال هنا لتحكيم العقل فيسلم تسليماً لكل أحكام الله ولكل شرع الله ولكل ما جاء به رسول الله ﷺ ويعمل طوال حياته بقول الله:

﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر]

لا يتحايل، وعلى سبيل المثال:

{ الذهب حرام على ذكور أمتي حلال على إناثهم }

لا يجتهد ويقول عيار ١٨ حلال... طالما قال ﷺ أنه حرام يبقى حرام ولا نفتح هذا الباب.

فباب الحب الصادق والذي ينتج التسليم الكامل هو هذا الباب الذي دخل منه الأصحاب والذي دخله الصالحون إلى يوم الدين، هو باب الحب لسيد الأولين والآخرين ﷺ، ولا يوجد باب غير هذا الباب ويقول في هذا الإمام أبو العزائم رضي الله عنه:

من لحظة في الحب تشهد وجهه

وتفوز منه بسره والجمال

تعطى العلوم وتشهدن فتترجمن

بلسان أهل القرب والأبدال

تعطى الجمال فلا يراك مصدق

إلا ويشهد نوره المتلالي

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٠٩﴾

من أين هذا العلم والنور الذي أعطيته من لحظة في الحال؟ من حب قلبي للحبيب محمد نلت المني بل نلت كل أمالي

وبالمثال يتضح المقال:

● أصحاب النبي ﷺ، منهم الرجل الذي قال له النبي:

{ كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا، فقال: لكل قول حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال: أسهرت ليلي وأظمأت نهاري بعد أن عزفت نفسي عن الدنيا فأصبحت، وكأني أرى أهل الجنة وهم يتزاورون فيها وكأني أرى أهل النار وهم يتعاونون ويصطرخون فيها وكأني أرى عرش ربي بارزا فقال له: عرفت فالزم، وقال لمن حوله: عبد نور الله بالإيمان قلبه. }

كيف وصل لهذا المقام؟

بحب المصطفى عليه افضل الصلاة وأتم السلام.

● الذي وصل لعلم الإلهام سيدنا الإمام علي ؑ وكرم الله وجهه وقد قال فيه الإمام الجنيد ؒ:

رحم الله أبا الحسن لولا الحروب لاستفدنا منه علوما كثيرة، لقد كان يقول: لو فسرت فاتحة الكتاب بما أعلم لوقرتم سبعين بعيرا " تحملوا سبعين جملا" من تفسير الفاتحة...!!!!

من أين هذا العلم؟ من أي مكتبة؟ ومن أي مصدر؟

من حب الحبيب الأعظم ﷺ.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

● كلما ترى حبا في الدنيا: من بدئها إلى ختامها، من أحد لأحد أو من أحد لعرض، حتى الذي يحب المال والجاه أو الذي يحب أي شيء في هذه الحياة فاعلم علم اليقين قول الله:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة ١٦٥]

أي لا يساويهم أحد في هذا الحب، وبسر هذا الحب فازوا ونالوا كل ما يطلبون ويبتغون.

● لماذا نحب رسول الله؟

لأنه السبب الذي سيوصلنا إلى حضرة الله وهو السبب في الإسلام والإيمان والهداية وجميع الخيرات التي نحن فيها..

ومن قبل كنا ظلماً وجهلاً... فصرنا بطه رجالاً فحولاً

أصبح لنا قيمة ومكانة عند الله وبين جميع الأمم التي خلقها الله ببركة وبسبب رسول الله ﷺ وليس بسببنا نحن.

● فيجب أن يكون هذا الحب أعلى وأرقى من أي حب آخر لأي شخص أو أي عرض آخر، لأنه محبوب الله ويجب أن نحبه لكي يحبنا الله ● وعلامات الحب الصادق لكي أعرفها وأقيس نفسي بها ولكي أطمئن أنني سأحصل الثمرات والخيرات والبركات والنفحات والعطاءات التي جعلها الله ﷻ للصادقين والصادقات في جهم لخير البريات ﷺ والعلامات من كتاب الله :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

وما هو العطاء؟

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢١١﴾

﴿ يُحِبُّكُمْ اللَّهُ ﴾ [٣١ آل عمران]

● فيم نتبعه ؟

في كل صغيرة وكبيرة، في كل طرفة عين، في كل كلمة تسمعها الأذن، في كل حرف ينطقه اللسان، في كل شيء تمتد إليه الأصابع واليد والبنان، في كل حركة تتحرك بها الرجل في هذه الحياة لا بد أن تكون ماشية على قدم النبي العدنان:

{ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به }°

لا ينفع أن يكون هوى لك ثم هوى إلى الله ورسوله، وسيدنا رسول الله نفسه ليس له شيء لأنه كله لله [سورة الأنعام: ١١٢]

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

كله لله وتولاه مولاه ونحن لنا مقام في هذا الأمر:

﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف]

فالذي يسير على هذا النهج يتولاه الله بولاية تامة كاملة سابقه، كما تولى حبيب الله ومصطفاه ﷺ...

بشرط أن يكون كله لله ولا يكون على هواه.

فهو لا يعترض ظاهرا أو باطنا على أمر شرعه الله، أو أي قضاء أو حكم قضاء رسول الله.

وإياكم أن يقول أحدكم أنتم أعلم بأمور دنياكم لأن الإسلام لا يوجد فيه دنيا ودين، ولكن الإسلام الدنيا كلها دين.

° رواه البيهقي عن عبد الله بن عمرو.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فهذا الكلام الذى يفصل الدنيا عن الدين ، هوفي الأديان الأخرى لكن عندنا ليس عندنا فصام بين الدين والدنيا، دنيا المؤمن كلها دين.

لأن المؤمن إذا جعل قبل كل عمل نية، كان العمل مكافئ عليه من رب البرية ﷺ، حتى ولو كان شهوة دنيه لأنه لو نوى قبلها نية لله يصبح عمل صالح لله، لو أنه سياًكل ويشرب وينوي بهذا العمل التقوى على طاعة الله أو أي نية صالحة يصبح هذا العمل عبادة لله.

فالمؤمن يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة لله فلا يقول: أنتم أعلم بأمر دنياكم، ولا يقول أن هذا الموضوع ليس له دخل بالدين ولا العلماء يفتوا بشأنها لأن الإسلام كله كل حياة الإنسان.

● فالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عننها:

لما ذهب لها رسول الله وقال لها: تزوجي زيدا، وهذا أمر دنيوي كما يتصور البعض فقالت:

يا رسول الله: أنا لا أحبه.

فقال لها ثانية: تزوجي زيدا، فنزل قول الله ﷻ [٣٦ الأحزاب]:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

والذي لا يسلم لهذا الكلام، يكون عاصياً

﴿ وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا ﴾

والعصيان هنا مخالفة الأمر :

مع أننا متوقعين انه شيء دنيوي:

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢١٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لكن رسول الله ينظر بعين الله ونظرته يجب أن نعلم علم اليقين أن فيها النفع في الدنيا وفيها السعادة يوم لقاء الله، ولو شككنا في هذا الأمر واعتقد الإنسان فينا أن نظرته أتم وأشمل من شرع الله ومن نظرة رسول الله، بماذا نقول في ذلك؟

نقص في الإيمان ونفاق في القلب والجنان.

لكن لازم أعتقد وأعلم علم اليقين، أن نظرة رسول الله ﷺ فيها الصلاح للدنيا وفيها السعادة للإنسان يوم الدين لأنها:

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف ١٠٨]

ينظر على بصيرة ...

لأنها أنوار إلهية في ذاتها منيرة ...

ترى غيب السريرة، وترى كل شيء بنور الله ﷻ، الذي أشرق على ذات الحبيب، وعلى بصيرته ﷺ.

● فيلزم للإنسان أن يسلم تسليماً تاماً لرسول الله ﷺ، وهذه هي العلامة الثامنة من علامات الحب الصادق لحنايه العظيم ﷺ .

والآن مع العلامة الثالثة:

وكما قلنا نكتفي في هذا المقام بذكر بعض من العلامات الواردة في كتاب الله الكريم، نفعنا الله بكلامه العظيم وملاً شغاف قلوبنا وجوانح أرواحنا بحب رسوله السيد الرؤوف الرحيم.

العلامة الثالثة الإكثار من الصلاة عليه ﷺ

من قوله تعالى في سورة الأحزاب :

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

● العلامة الثالثة يقول فيها الحبيب :

{من أحب شيئاً أكثر من ذكره} ^٦

فالذي يحب رسول الله.. يذكره على الدوام... وكيف يذكره؟ يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ...

وإذا كان معك كمبيوتر نوراني فاصدر له الأمر أن يبحث في ملفات الصالحين ويرى ما سر قربهم؟

تجد انهم كلهم كانوا مشغولين بالصلاة على حبيب الله ﷺ، وما مقدار هذه الصلاة؟

على الدوام، ويكفي قول سيدنا أبي بن كعب لرسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات عندما قال له:

{ يا رسول الله كم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت قال:

الثلث قال: وإن زدت فهو خير لك قال: الثلثين قال: وإن زدت فهو

^٦ شعب الإيمان للبيهقي عن قول أبو عبد الرحمن ومالك بن دينار والحلي رحمه الله.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

خير لك قال: إذا أجعل لك صلاتي كلها قال: إذا يكفك الله همك
ويغفر لك ذنبك {٧}.

أين نحن من هذا الحديث!؟

ودائماً نشتكي من الهموم والغموم والمحن ونشتكي من الإحن، أليس
هذا الشفاء والدواء!؟

أوجد أحد يكثر من الصلاة على رسول الله ويناله ضيم ويصيبه فتنة،
مستحيل لكننا للأسف مشغولين ويعاتبنا الله في كتابه الكريم:

﴿ شَغَلْتْنَا أَموالنا وَأَهْلوانا فَأَسْتَغْفِرُ لَنا ﴾ [١١ الفتح]

حتى أنهم ليس لديهم وقت للاستغفار، وهذا هو الحاصل الآن وربنا
قال في القرآن:

﴿ وَمَا كانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فيهِمْ وَمَا كانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ
وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال].

ونحن طبعاً لا نريد هذا الدواء، بل نريد من يشرب بالنيابة عنا الدواء
ويتحقق لنا الشفاء.

أيجوز أن أشرب دواء لمريض عندي في البيت لكي يشفي؟

وكذلك نحن نريد من غيرنا أن يستغفر لنا !! وأن يصلي على حضرة
النبي لنا بدلاً عنا !!!

وذلك لكي تذهب عنا الهموم والغموم والمشاكل .. هل يصح ذلك؟

والرجل الذي ذهب لرسول الله وقال يا رسول الله:

^٧ عن أبي بن كعب، رواه الألباني في صحيح الترغيب ومشكاة المصابيح.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

{ ادعوا الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة، فقال ﷺ: أعني علي نفسك

بكثرة السجود }^٨

أي لا بد حتماً أن تعمل أنت ...، لكن أنت تريد الجنة بدون عمل! لا يجوز .. فنحن علاج مشاكلنا وهمومنا:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

فلا بد للإنسان أن يكثّر من الصلاة على حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

● وهذا هو قوت الصالحين :

- منهم من كان يصلي على حضرة النبي في الصباح ألف مرة. وبالليل ألف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة عشرة آلاف مرة.
- ومنهم من كان يصلي على حضرة النبي كل يوم وليلة أربعين ألف مرة.
- وهكذا أمثلة كثيرة ... ومن جد وجد!

● وماذا وجد ؟

وجد الأنوار ... ووجه النبي المختار ... والمعاملة بالملاطفة والأسرار ...، وكلها بالصلاة على حضرة النبي بالليل والنهار، لأنها الدليل الأعظم على محبة النبي الأكرم ﷺ.

^٨ عن ربيعة بن كعب الأسلمي ، الأبانى ، صحيح أبي داود

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

● حتى أن الشيخ أبو طالب المكي رحمته الله قال في كتابه "قوت القلوب":

اصطاح العارفون أنه ينبغي لمن أراد طريق القوم ألا يقل في كل ليلة عن ثلاثمائة مرة في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفقوا على ذلك: لأن الذي يريد الفضل الكبير لا بد أن يبذل الخير الكثير. ومن طلب الحسناء لم يغله المهر.

العلامة الرابعة تعظيمه وتوقيره صلى الله عليه وسلم

وكتاب الله نجد فيه ما هو الدليل على وجود الحب؟ الدليل هو ..

﴿تُعْزِرُوهُ وَتُقِرُّوهُ﴾ [٩ الفتح]

● تعظيم رسول الله، فعند سماع اسمه يختلج صدره، ويهتز قلبه، يتحرك جسمه لماذا؟

لأنه سمع اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمجرد أن يسمع سيرة رسول الله يؤخذ بالكلية، وعندما يكون في أي أمر ويحضر من يذكره برسول الله صلى الله عليه وسلم تجد أن حاله تغير، وفكره استدار، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قرّة عين المحبين، وهو إنسان العين للمحبوبين فلا يرون إلا به صلى الله عليه وسلم في كل فتح وفي كل كشف وفي كل تمكين.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

● وهذا كان حال أصحاب رسول الله ﷺ :

حتى إن الواحد منهم عندما كان يذكر أمامه رسول الله ﷺ كان بعضهم يمكث ساعات لا ينتفع به من شدة الوجد الذي حدث له لتذكرة لرسول الله الأعظم ﷺ.

● سيدنا بلال رضي الله عنه: بعد انتقال الحبيب إلى الرفيق الأعلى لم يطق أن يظل في المدينة المنورة بدون ضيائها وبهائها وشمسها وجمالها وكمالها، فاستأذن سيدنا أبا بكر ليذهب إلى الشام وبعد حين إذا به يرى النبي ﷺ في المنام ويقول له :

{ يا بلال ما هذه الجفوة؟ أما آن لك أن تزورنا؟ }

فذهب فوراً لمدينة رسول الله.

وكان معه مقتنياته، وكان لا يملك من الدنيا إلا العصا وماعزا يحلبها وقصعة يأكل فيها ويتوضأ فيها ويغسل ملابسه فيها.

{ ووصل لرسول الله ﷺ قبل الظهر بقليل فارتدى على الروضة الشريفة وأخذ يبكي وإذا بالحسن والحسين يرتبان على كتفه ويحتضنانه ويقبلونه ويتوسلان له ليؤذن.

وقالوا له أذن لنا كما كنت تؤذن لرسول الله ﷺ، وعندما قال: الله أكبر؛ إذا بالمدينة كلها تخرج كأنها في يوم النشور وعندما قال: أشهد أن لا إله إلا الله إذا بالبخاري تخرج من عواتقها، والنساء تخرج من خدورها، وطرق المدينة تمتلئ من دموع أهلها لأنهم تذكروا حبيب الله ومصطفاه ﷺ، وقال الحاضرون: فلم ير باكياً أكثر من هذا اليوم. }

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢١٩﴾

لماذا؟

لأنهم تذكروا رسول الله ﷺ.

لازم الإنسان يوقر ويعظم رسول الله عند ذكره ...

ساعة أن يسمع اسمه صلى الله عليه وسلم

● فكيف بالناس الآن :

عند أي شيء يقولون والنيي تعمل كذا والنيي هات كذا! ..

هذا كلام يستوجب التأديب لمن يفعل ذلك من الأنام ...

الحبيب الذي أقسم به مولاه، فكيف نقسم به على شيء تافه في هذه

الحياة !!، قال له مولاه:

﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة الحجر]

فبعد قسم الله به ... أقسم به لكي يعطيني أحد مالا! أو زاداً! أو

ملبساً! أو خلفه! ..

لا يجوز أن أقسم بحبيب الله إلا إلى ذات الله في أمر مهم لا أجد له

مخرجاً إلا من حضرة الله.

وهذا هو الذي اصطلح عليه الصالحون والعارفون :

مثلاً وقعت في ضيق وفي شدة لا أجد لها مخرجاً إلا عند الله، فأتوسل

به إلى حضرة الله،

لكن أجعل رسول الله عرضة لكل شيء...!! فهذا كلام يستوجب

التأديب والتهديب لأنه عرض حضرة النبي ﷺ لما لا يليق.

الاممة الخامسة الفرح

برسول الله ﷺ

● أيضاً من العلامات التي تدل على حب رسول الله ﷺ :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
جَمَعُونَ ﴾ [سورة يونس]

إن الإنسان يفرح برسول الله، يفرح بميلاده، يفرح بزيارته، يفرح بسماع سيرته، يفرح بمتابعته، يفرح أعظم الفرح إذا أكرمه الله برؤياه أو إذا تعطف عليه ولمعت سواطع أنوار وجهه في هذه الحياة لأنه يعلم علم اليقين أنه من المعنيين بقول الله في سورة الأحزاب :

﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾

لا بد أن يفرح برسول الله ﷺ أكثر من فرحه بأي أمر في هذه الحياة بلا جدال ولا نزاع ... لا بد ...

● ● علامات كثيرة ذكرناها من كتاب الله تعالى تدل على محبة الإنسان لرسول الله ﷺ نكتفي بهذا القدر منها...

وهي مبثوثة في كتاب الله جل وعلا...

وموجودة في أحوال الصحابة الكرام...

وظاهرة على أحوال السلف الصالح من بعدهم إلى يومنا هذا.

من ثمرات محبته ﷺ

أولاً: يحشر معه يوم القيامة

هذه العلامات تستوجب للإنسان عطاءات وإكرامات ونفحات لا عد لها ولا حد لها يكفي أن الإنسان إذا امتلأ قلبه بحب النبي العدنان ضمن الأمان يوم القيامة فعندما سأله سيدنا أنس

{ يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أبشر أنت مع من أحببت يوم القيامة }، وفي رواية أخرى { يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة } (قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت، قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم) ٩

﴿ فَأَوْلِيكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء] ٦٩

هذه درجة، لكن الدرجة الأعلى منها:

^٩ رواه البخاري ومسلم

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [٢٩ الفتح]

النيون والصديقون والشهداء والصالحون .. كلهم في درجة مع بعضهم، لكن محمد رسول الله والذين معه ... فهذه درجة خاصة.

ولذلك فإن سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمته الله وأرضاه يحكي ويقول:

ذهبت ليلة إلى المسجد الأقصى ونمت، فوجدت الأنبياء والمرسلين والصالحين كلهم يتدافعون؛ فسألت، ف قيل لي جاءوا ليشفَعوا في الحلاج، ثم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منفرداً على كرسي عالٍ من النور، والكل ينظر إليه فتعجبت من هذا المشهد، وإذا بخادم المسجد يوقظني ويقول لي:

لا تعجب !! فالكلُّ من نوره عليه الصلاة والسلام

قال: وانتبهت وإذا بأذان الفجر فصليت الفجر.

ثم بحثت عن الخادم فلم أجده:

﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء]

وهذه خاصة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومن؟

والذين معه:

﴿يَوْمَ لَا تُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [٨ التحريم]

أيضاً معه هناك :

فالذي يكون مع رسول الله هناك ... يا هناه !!!! ... ويا مناه !!!!.

ولذلك سيدنا رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ... يحكي أن واحداً من أمته أمر به إلى النار، فنادى نبي الله سيدنا آدم عليه السلام .. نادى على من ؟ .. نادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال:

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٢٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

يا محمد يا محمد أدرك هذا الرجل من أمتك. قال: فَأَمْسِكُ بِالْمَلَائِكَةِ
فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما
يؤمرون، فأقول: يا رب ألم تعدني أنك لن تخزني في أمتي، فيأتي النداء من
الله ﷻ للملائكة اسمعوا ما يأمركم به حبيبي محمد ﷺ.

لو ترد أطفأت ناري أو ترد يمحي الوعيد
يا حبيبي قر عيناً فأنا البر الرشيد
قم إلى النار وطأها وانه وأمر يا سعيد
فلفظ بالعدل تولي والنعيم لمن تريد

ثانياً: مرافقته ﷺ في الجنة

فيكفي أن الذي سيحبُّ رسول الله سيكون معه ﷺ يوم الدين، بل ومعه
في جنات النعيم، وهذا مقام ثانٍ أعلى ... لأنه ﷺ قال: من أحبني كان معي
في الجنة؛ وذلك عندما قال عليه الصلاة والسلام لسيدنا أنس:

{ يا بني إن استطعت أن تبيت وليس في قلبك غلٌّ ولا غشٌّ لأحد من
المسلمين فافعل، فإن ذلك من سنتي، ومن فعل سنتي فقد أحبني، ومن
أحبني كان معي في الجنة }^١

● والعطاء الأكرم والعطاء الأعظم الذي سُئِلَ فيه الشيخ الدباغ ﷺ:

هل هناك نعيمٌ أكبر من نعيم الجنة؟

^١ المعجم الصغير للطبراني عن أنس بن مالك رضى الله عنه.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وكان الشيخ الدباغ رجل أمياً، ولكنه كان يرى رسول الله على الدوام ليس مناماً ولكن يقظة، فقال رداً على السؤال:

نعم رؤية رسول الله ﷺ أعظم من نعيم الجنة، قالوا: ولم؟ قال:

لأن الإنسان إذا دخل الجنة يتمتع بكل نعيم فيها على انفراد وعلى حدة لكنه إذا رأى رسول الله ﷺ فإن الله يسقيه من كل أنواع نعيم الجنة.

كيف؟ ... هذا الكلام بلا كيف !!!

ولكن فيه ذق تعرف !!!

وهذا أشهى شئ عند العارفين !!!

ولذلك كانوا يقولون:

فَنظَرَةٌ مِنْكَ يَا س_____وَلِي وَيَا أَمَلِي

أَشْهَى عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

ثَالِثًا: رُؤْيَاهُ ﷺ مَنَامًا

نظرة واحدة من رسول الله أشهى من كل أنواع النعيم.

ويكفيها قوله ﷺ في الروايات المتعددة:

{ من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي }^{١١}

ولم يقل رآني خلقاً.

^{١١} رواه البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه الطبراني عن أبي بكر ورواه الدارمي عن أبي قتاده.

لأن الخلق انتهى بعد التحاقه بالرفيق الأعلى.

لكن رأني حقاً أي رأى الصورة الحقيقية ...، الصورة النورانية ...،
الصورة الإلهية ...، الصورة القدسية ...، وبشر هؤلاء وقال:

{ من رأني في المنام فسيراني في اليقظة }^{١٢}

على حسب درجته ومنزلته :

- إما أن يراه في اليقظة وهو في هذه الحياة.
- وهذا إذا تمكن حب رسول الله من كل ذرات كيانه وأصبح صلى الله عليه وسلم هو المهيمن على ظاهره وباطنه.
- وإما أن يراه عند خروجه من الدنيا يبشره بحاله عند الله.
- لكن الجماعة الذين يقولون: سيراه في الآخرة فكلنا سنراه في الآخرة فهذا ليس فيه فضل، لأن الكل سيراه في الآخرة.

لكن أين الفضل؟

إذا رآه في هذه الحياة، والحديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم:

{ من رأني في المنام فقد رأى الحق }^{١٣}

أي بصفاته العليا ..

وأنواره القدسية...

وعطاءاته وتجلياته الوهية ...

وهي عطاءات وتجليات لا يستطيع أحد إحصائها ولا عدها.

^{١٢} رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

^{١٣} مسند أحمد بن حنبل وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فالذي يرى رسول الله .. أي سيحظى بعطاء، لأن ربنا قال له:

﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ كله معك أنت

﴿ فَاْمَنَّ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة ص].

والحظ بعين قلبك إلى كتاب ربك :

هذا اسم إشارة ومن المشار إليه؟ ﷺ، والكلام لنا نحن :

هذا عطاؤنا، ثم التفت إلى حضرته وقال له: فامنن أو أمسك بغير حساب، ليس عليك حساب، اعمل ما تريد.

فأعظم العطاءات وأكبر النفحات وأكرم التجليات: إذا وُوجه المرء بالنبي المختار، لكن هذا لا يكون إلا بصفاء القلب من جميع الأكدار.

من كان في قلبه مثقال خردلة من حب الدنيا أو الشهوات أو مثقال ذرة من كبر أو حقد على أحد من المؤمنين أو كره أو بغض أو نفاق فليس له في هذا التجلي نصيب لأنه معيب:

﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الآية (٨٩) الشعراء].

● من يريد أن يحظى بهذا المقام العظيم :

لا بد أن يكون كل همه أن يصفى قلبه ويطهر سره وينور لبه ويجعله صالحاً كالشاشة الجاهزة لاستقبال الأثير النوراني والإرسال المحمدي والتجلي القدسي، وهذا لمن يريد أن يحظى بهذا العطاء ويقول في ذلك مولانا أبو العزائم رحمته الله :

من رام يعرفني تجرد عن سوى

نص الشريعة إن أراد فلاح

﴿ الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال ﴾ ﴿ ٢٢٧ ﴾

النور محظور على أهل الهوى

والحظ بادر نعتك الأقداح

بـادر وتخلص من هذه الأشياء...
وبعد ذلك كل شيء موجود على المائدة المحمدية!!
جاهزة ومعمورة بكل ألوان الجبور والمسرات!!!
ومملوءة بكل أصناف الخيرات والبركات!!!
وعليها كل ما تشتهيهِ الأرواح وليس الأنفوس!!!
وكل ما تشـتاق إليه الأسرار!!!
لكنها تريبـد قلوبنا!!!
صفت ووففت وسومت ورققت!!!
فرأت بعين الروح لا عين العقول
هذه الأنوار وهذه الخيرات وهذه الفيوضات
التي خص بها النبي ﷺ.

● هؤلاء الفحول الذين كانوا لا يغيب عنهم رسول الله ﷺ طرفة
عين.. نسأل الله ﷻ أن يجمعنا بجمال المحبين...
وان يكرمنا بكرام المحبوبين،
وأن يملأ قلوبنا بالحب الصادق الخالص لسيد الأولين والآخريين،
وأن يوفقنا لحسن اتباع حضرته في كل وقت وحين،
وأن يجعلنا له من خيار المتبعين،
وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الغاية من رؤية سيدنا رسول الله

قد يتساءل البعض ويقول ما غاية رؤية سيدنا رسول الله للصالحين والعارفين؟

● نحن تكلمنا في المقام الأول أنها بشرى للإنسان بأنه كمل إيمانه وسيدخل الجنة إن شاء الله.

● لكن كمل الصالحين وأكابر العارفين وأهل التمكين سيدنا رسول الله ﷺ رؤيته لهم: تبدأ مناماً، ثم يقظة لتوجيههم وتلقينهم، ويقوم ﷺ في هذه الأحوال بإمدادهم وإجابة طلباتهم، ويقومون باستشارته في كل أمر، ولا يفعلون شيئاً إلا عن إذنه بعد استشارته صلوات ربي وسلامه عليه.

وهذه هي الحالة التي تحصل مع هؤلاء القوم والإنسان إذا كان لا يفعل أمراً ولا يقوم بشأن إلا بعد إذن من رسول الله: معنى ذلك أن يكون ذلك الأمر مبارك وموفق إن شاء الله لأن أمر رسول الله ﷺ هو أمر الله ولذلك يقول لنا فيه الله:

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

● والذي يريد أن يرضي ربنا، ماذا يعمل؟

نسأل الله ...:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [التوبة: ٦٢]

فالله واحد، ورسوله اثنان...: كان سياق اللغة يقتضي أن يقول أحق أن يرضوهما، لكن قال أحق أن يرضوه، والضمير يعود على أقرب مذكور، يرضوا

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

من هنا؟.... رسول الله ﷺ.

فالله ورسوله أحق أن يرضوه أي أن الذي يرضي رسول الله يكون أرضى الله، ولذلك فالذين أرضوا رسول الله وأخذ عليهم البيعة ماذا قال الله لهم؟

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ وفوراً ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح].

طبعاً لم يكن فتحاً لمكة، ولكن أعطاهم فتح قريب من القريب فتحاً نورانياً وفتحاً إلهياً وفتحاً قدسياً في قلوبهم، لم؟ لأنهم بايعوا رسول الله وأرضوا رسول الله فلما أرضوا رسول الله رضي عنهم الله جل في علاه :

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعم يارب.....

﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾

طبعاً...الله...ثم الرسول..، وقال ثانية:

﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا تَحْيِيكُمْ﴾ [٢٤ الأنفال]

من الذي سيدعي هنا؟

واحد، إذاً الاستجابة لرسول الله هي الاستجابة لحضرة الله جل في علاه، وإياكم أن تفرقوا بين هذا وذاك.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

حتى أن ربنا سبحانه وتعالى تنزل من ذاته ومن على سمائه ومن جلاله وكبريائه، وقال للذين يبايعون رسول الله، ووضعا أيديهم في يد رسول الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ .

ولم يقل كأنما بكاف التشبيه، ولكن قال إنما، ثم لكي يؤكد الكلام طبعاً أيديهم موضوعة، وفوق أيديهم يد رسول الله..:

﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الآية (١٠) الفتح].

لو قال: فوق أيديكم تصح يد الله فوق الكل، بما فيهم يد رسول الله، لكن يد الله فوق أيديهم.

واليد التي فوق أيديهم... يد من؟ يد رسول الله.

فيد رسول الله في هذا المقام كأنها يد الله جل في علاه كما قال الله في قرآنه، وهذا هو قرآنه الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار.

● إذن المدار على رسول الله ﷺ :

فالذي اعتقد أن سيدنا رسول الله ﷺ أدى الرسالة وانتهت مهمته مسكين وليس له شأن في مقام التقوى عند رب العالمين ﷻ.

لأن سيدنا رسول الله قائم :

بمهام الرسالة، ومهام النبوة، ومهام الفتوة، بروحانيته وبشفافيته وبنور بصيرته، وبتصريف الله ﷻ له في الأكوان.

وإن كان لا يراه الإنسان لأنه لا يرى إلا البشرية ولا تراه إلا الأعين المضية التي إما انسلخت من البشرية ...

فترى الحضرة المحمدية أو تنزلت لها الحضرة المحمدية فرأتها على

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٣١﴾

حقيقتها النورانية !!!

تراها بهذه الهيئة عندما يتجلى الله على العبد ويكرم بقول الله :
(ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه
الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ورجله التي
يمشي بها،
إلى آخر الحديث الكريم.

تربية النبي البرزخية

ولو أعطينا أمرا للكمبيوتر الرباني ليجول في أحوال الصالحين، كيف
كان يرببهم سيد الأولين والآخرين :
سنجد أشياء لا عد لها ولا حصر لها :
● مثلاً الإمام الجنيد رحمته الله وأرضاه :

طلب منه إخوانه أن يحدثهم بما فتح الله عليه فحشي الفتنة، لأن القول
والكلام إن لم يكن عن إذن فهو فتنة لكن صاحب الإذن مؤيد بالحفظ من
الله عز وجل، فذهبوا إلى شيخه السرى السقطي وطلبوا منه أن يأذن له فقال له :
حدث إخوانك بما فتح الله عليك لينتفعوا بك، قال: فقلت في نفسي
لا أتحدث إلا إذا جاءني الإذن الصريح من رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

قال: فبت ليلة الجمعة، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وقال: يا جنيد حدث الناس بما فتح الله ﷻ به عليك ليتنفعوا بعلمك، فاستيقظ قبل الفجر بساعة، فأسرع إلى شيخه وإلى داره ليزف له البشرى فدق عليه الباب، وإذا بشيخه السرى يقول له: جئت تبشرنى بأن النبي ﷺ أذن لك. فذهب إلى المسجد وإذا بالمسجد غاص بأهله، وأجلسوه على الكرسي وقالوا حدثنا.

وعندما بدأ الكلام، وإذا برجل نصراني وكانت العرب تلبس العمامم وغير العرب لا يلبسون العمامم، وكان هذا الرجل يلبس عمامة فقال الرجل النصراني: يا جنيد! ما معنى قول رسول الله ﷺ:

{اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ}١٤؟

فنظر إليه وقال: معناه أنه قد آن أوان إسلامك يا نصراني!

قال: لقد امتحنت بهذا الحديث قبلك جمعاً كبيراً من العارفين!، ولم يصلوا إلى ما وصلت إليه!! فهيناً لك المقام يا تاج العارفين.
وأسلم الرجل في الوقت والحال لأنه دعا إلى الله بإذن من رسول الله.

﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾

● وما السلاح الذي معه؟

﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب]

الذي يعطيه الإذن بالبيان لازم يعطيه لمبة العيان لكي يكشف ما في صدور الناس والإخوان ويحدثهم بما يريد من الرحمن ﷻ.

● سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ قال:

١٤ رواه الطبراني عن أبي سعيد الخدري.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

كنت جالساً فرأيت رسول الله يقظة وقال: يا ولدي يا عبد القادر حدث الناس لينتفعوا بما فتح الله عليك، قال: فقلت يا سيدي يا رسول الله أنا رجل أعجمي فكيف أتحدث مع فصحاء بغداد.

قال: افتح فاك ففتح فاه فتفل فيه سبع مرات، وبعد صلاة الظهر إذا بالناس يجتمعون حوله ويجلسونه على الكرسي ويقولون له: حدثنا والجامع يمتلئ عن آخره، قال: فارتج عليّ وإذا بي أرى الإمام عليّ عليه السلام وكرم الله وجهه فقال: لم لا تتحدث؟

فقلت: يا سيدي ارتج عليّ، وأنا رجل أعجمي، وكيف أتحدث مع فصحاء بغداد؟! قال: افتح فاك قال: فتفل فيه ست مرات.

فقلت: ولم لم تتفل السابعة؟ قال: تأدبا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

● وهذا الباب واسع وشاسع لا حصر له ولا عد له، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحتضن الصالحين ويربي العارفين يجيب على أسئلتهم إذا سألوه.

● وقد كان سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمته الله يقول:

مما من الله ﷻ به عليّ أنه لم يجعل مسافة بيني وبين رسول الله، فأحياناً أضع يدي وأنا في مكاني على شباكه في المدينة المنورة!! وأسأله عما أريد فيجيبني.

● وهذه الأحوال كثيرة!!

وإياك أن تكذب فإن من كذب بهذه الأحوال لا يصل إليها أبد الدهر والذي يعترض ينطرد ولكنها أحوال الرجال.

فهذا توجيه رسول الله وكلاءة رسول الله وعناية رسول الله لأهل الله

﴿٢٣٤﴾ ﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾

والصالحين من عباد الله هكذا الحال معهم في كل وقت وشأن.

● سيدي عبد العزيز الدريني رحمته الله، عقدوا له المشيخة في درين فاعترض بعض السادة الأشراف وقالوا نحن أولى بك من المشيخة :

ولما طال الجدل تدخل أهل الصلاح، وقالوا يجتمع الجميع بعد صلاة الجمعة وينادون على رسول الله، فمن يجيبه رسول الله يكون أهلاً للخلافة.

فاجتمع الأشراف واجتمع معهم الشيخ عبد العزيز الدريني، فقالوا تقدم، فقال لهم: تقدموا أنتم أولاً فأنتم الأشراف. فتقدموا واحداً وراء واحد، يقولون: يا سيدي يا رسول الله، فلا يسمعون جواباً، فلما انتهوا قال سيدي عبد العزيز الدريني: يا سيدي يا رسول الله قال:

لييك يا عبد العزيز.

وسمعه الجميع.

فقال من في الخلف: بهتاناً، لم يسمع إلا الصفوف الأولى.

فأعاد النداء ثلاث مرات وفي كل مرة يقول: يا سيدي يا رسول الله فيسمعون النداء:

لييك يا عبد العزيز.

وأحوال العارفين والصالحين في هذا الأمر فوق الوصف.

● إنكم تعلمون جميعاً أن الصالحين لا يتحرك واحد منهم إلى الدعوة إلى الله وجمع الخلق على الله إلا بإذن صريح من رسول الله.

بل إنهم لا ينتقلون من مكان إلى مكان إلا إذا جاء الأمر انتقل إلى بلدة كذا، ويعطيه الكشف فانك ستري هناك فلان وفلان وفلان أمور أجمع عليها الصالحون ومن أراد أن يكون منهم أو يكون معهم فعليه

بحبيب الله ومصطفاه.

نريد يا إخواني أن نشكر الله على هذه النعمة التي أرسلها لنا الله وخصنا بها دون خلق الله وجعلنا ببركته وبسببه خير أمة أخرجت للناس.

رَابِعاً: رُؤْيَتُهُ ﷺ يَقِظَةٌ

اعلم أن أفراد الأولياء وأكابر الأصفياء الذين كانوا يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة، هم قليلون جداً في كل زمان.

● قال ابن أبي جمرة في كتابه بهجة النفوس شرح مختصره لصحيح البخاري عند قوله ﷺ: {من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي} ^{١٥}.

((وقد ذكرت رؤيته ﷺ عند السلف والخلف وهلم جرا عن جماعة ممن كانوا رأوه ﷺ في النوم وكانوا يحملون هذا الحديث على ظاهره فأروه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين، فأخبرهم بتفريجها، ونص لهم على الوجوه التي منها يكون فرجها فجاء الأمر كذلك بلا زيادة ولا نقص)).

● وقال أحمد بن المبارك في كتاب الإبريز الذي تلقاه عن شيخه غوث زمانه سيدي عبد العزيز الدباغ ﷺ، قال في الباب التاسع بعد كلام طويل:

((وأما صاحب الفتوح، فيشاهد الأولياء العارفين بالله تعالى ويتكلم

^{١٥} رواه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة ورواه الطبراني عن أبي بكر ورواه الدارمي عن أبي قتادة.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

معهم ويناجيهم على بعد المسافة مناجاة الجليس لجليسه، وكذا يشاهد أرواح المؤمنين فوق القبور والكرام الكاتبين والملائكة والبرزخ وأرواح الموتى فيه، ويشاهد قبر النبي ﷺ وعمود النور الممتد منه إلى قبة البرزخ فإذا حصلت له مشاهدة ذات النبي ﷺ في اليقظة: حصل له الأمان من تلاعب الشيطان لاجتماعه مع رحمة الله تعالى، وهي سيدنا ونبينا ومولانا محمد ﷺ)).

● وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي:

((أجمع المتكلمون المحققون من أصحابنا على أن نبينا ﷺ حي بعد وفاته، وأنه يُسر بطاعة أمته، ويحزن بمعاصي العصاة منهم وأنه تبلغه صلاة من يصلي عليه من أمته، وقال الأنبياء لا يبلون ولا تأكل الأرض منهم شيئاً، وبدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء يرزقون فرحين مستبشرين، وهذه صفة الأحياء في الدنيا، وإذا كان هذا في الشهداء فالأنبياء أحق بذلك وأولى. وقد صح أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، وقال عليه الصلاة والسلام:

{ مرت على موسى ليلة أسري بي عند الكتيب الأحمر وهو

قائم يصلي في قبره }^{١٦}.

وهذا صحيح في إثبات الحياة لموسى.

فإنه وصفه بالصلاة وأنه كان قائماً، ومثل هذا لا توصف به الروح،

^{١٦} رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن انس رضى الله عنه .

وإنما يوصف به الجسد)).

● وقد قال السيوطي في كتابه "تنوير الحلك في رؤية النبي والملك":
((فحصل من مجموع هذه النقول والأحاديث أن النبي ﷺ حي بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض في الملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء، وأنه مُغَيَّب عن الأبصار، كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم { {
)) فإذا أراد الله رفع الحجاب عن أحد إكرامه برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك ولا داعي إلى التشخيص برؤية المثل)).

● وقال الإمام الشعراني في مقدمة كتابه "المنن الكبرى":

((كان سيدي على الخواص رحمه الله يقول:

أخذت طريقي هذه عن سيدي إبراهيم المتبولي عن رسول الله ﷺ، وصورة أخذ الأولياء عن رسول الله ﷺ أن أرواحهم تجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة من حيث أرواحهم لا من حيث أجسامهم، فليس اجتماعهم به ﷺ كاجتماع الصحابة فافهم.

● وكان سيدي أبو العباس المرسي يقول:

((لا يكمل مقام فقير، إلا أن صار يجتمع برسول الله ﷺ يقظة، ويراجعه في أموره كما يراجع التلميذ شيخه))

((وقد بلغنا أن سيدي محمد الغمري لما عمر جامعه بمصر استأذن

رسول الله ﷺ بواسطة فقال له: عمّر وتوكل على الله، فلا أدري أكان

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

ذلك قبل الكمال أو استأذن بالواسطة حياء من رسول الله ﷺ، وهذا هو اللائق بمقامه فإنه كان مشهوراً بالكمال.))

● وكان سيدي ياقوت العرشي يقول:

((من ادعى أنه يأخذ عن رسول الله ﷺ الأدب والعلم فاسأله عن كيفية ما وقع له، فإن قال رأيت نورا ملاً المشرق والمغرب وسمعت قائلاً يقول لي: من ذلك النور في ظاهري وباطني، لا يختص بجهة من الجهات اسمع لما يأمرك به نبيي ورسولي فصدقوه، وإلا فهو مفتر كذاب.))

● وقال الشعراني أيضاً في كتابه العهود المحمدية في عهد طلب الإكثار من الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ:

((أن صحبة النبي ﷺ البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته ﷺ، وأن من كان له سريرة سيئه يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة، لا يصلح له صحبة مع رسول الله ﷺ ولو كان على عبادة الثقيلين.))

● وقال محمد بن علان في رسالته:

((أما الاجتماع بحضرة النبي ﷺ يقظة في كل زمان ومكان:

لا يكون إلا لمن فاز من الله تعالى بخصوصيات المواهب، وحاز في الدين أثنى المناصب وأعلى المراتب، وعمل عملاً يصح أن يكون وسيلة إلى ذلك.))

● وممن روي عنه أنه اجتمع به ﷺ يقظة ومناماً الشيخ محمد أبوالمواهب الشاذلي رحمته الله:

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٣٩﴾

قال الشعراني في طبقاته :

((وكان كثير الرؤيا لرسول الله ﷺ وكان ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ على سطح الجامع الأزهر عام خمسة وعشرين وثمانمائة، فوضع يده على قلبي وقال: يا ولدي الغيبة حرام.

ألم تسمع قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَغْتَبِ بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [١٢ الحجرات]

وكان قد جلس عندي جماعة فاغتابوا بعض الناس، ثم قال لي ﷺ: فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس فاقراً سورة الإخلاص والمعوذتين واهد ثوابهم للمغتاب، فإن الغيبة والثواب يتوارثان ويتوافقان إن شاء الله تعالى))

وكان يقول:

((قال لي رسول الله ﷺ: أنا لا أجتمع بمن يجلس مجالس الغيبة مع الناس ولا يقوم منها))
وكان يقول:

((رأيت رسول الله ﷺ فقال لي: يا محمد ما هذه الغفلة؟ وما هذه الرقدة؟ وما هذا الإعراض؟ مالك تركت تلاوة القرآن وما هذه الوريدات في جانب تلاوة القرآن؟ لا تفعل ذلك أصلاً، بل اتل كل يوم ولو حزبين لا أقل من ذلك كل يوم.))

● ومنهم عبد الله الدهلوي قدس الله سره قال :

((نمت ليلة قبل صلاة العشاء، فإذا به عليه الصلاة والسلام قد حضر ونهاني عن ذلك وتوعدني، وزارني ﷺ مرة ثم ذهب، فحزنت لفراقه وجعلت أحثو التراب على وجهي، فوجدت ظلمة من هذا الفعل المنكر. ورأيتُه مرة في المنام فقلت: يا رسول الله أنت قلت من رأيي فقد رأى الحق، قال: نعم. وكنت مثابرا على قراءة الأذكار وأهدي ثوابها لمقامه المقدس فتركتها مرة فرأيتُه ﷺ بالهيئة التي وردت في شمائل الترمذي فعاتبني ﷺ، واعتراني مرة خوف شديد من النار فرأيتُه ﷺ قد شرف منزلي، وقال لي: من يحبنا لا يدخل النار.))

● ومنهم عثمان بن عفان ﷺ :

نقل السيوطي في كتابه تنوير الحلك عن عبد الله بن سلام، قال :

((أتيت عثمان لأسلم عليه وهو محصور، فقال: مرحبا بأخي، رأيت رسول الله ﷺ في هذه الخوخة، فقال ﷺ : عثمان.. حصروك؟ قلت: نعم. قال: عطشوك؟! قلت: نعم، قال عثمان: ناولني ﷺ دلوا فيه ماء، فشربت حتى رويت وإني لأجد برده بين ثديي وبين كتفي، ثم قال: إن شئت نصرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده ﷺ. فقتل ذلك اليوم.))

قال جلال الدين السيوطي:

((وقد فهم المصنف أنها رؤية يقظة، وإلا لم يصح عدها في الكرامات، لأن رؤيا المنام يستوي فيها كل أحد.))

● ومنهم القطب الشهير سيدي أحمد الرفاعي ﷺ :

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

نقل الشيخ جلال الدين السيوطي في كتاب "الشرف المحتم" :

((عن عز الدين عمر أبي الفرج الواسطي قال: كنت مع شيخنا وسيدنا أبي العباس القطب الغوث السيد أحمد الرفاعي الحسيني رحمته الله عام خمس وخمسين وخمسائة العام الذي قدر الله له فيه الحج، فلما وصل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقف تجاه حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقال على رؤوس الأشهاد: السلام عليك يا جدي، فقال له عليه الصلاة والسلام: وعليك السلام يا ولدي، سمع ذلك كل من كان بالمسجد النبوي، فتواجد سيدي أحمد وأرعد، وأصفر لونه، وجثا على ركبتيه، ثم قام وبكى وأن طويلاً وقال يا جداه :

في حالة البعد روحي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتني

وهذه دولة الأشباح قد حضرت

فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة العطرة، من القبر الأزهر المكرم فقبلها في ملاً يقرب من تسعين ألف رجل، والناس ينظرون اليد الشريفة. وكان في المسجد مع الحجاج: الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عبد القادر الجيلي والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر وغيرهم نفعنا الله بعلومهم وتشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية.))

ولما حج ثانيا في العام الذي توفي فيه، وزار القبر الطاهر قال وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة:

﴿٢٤٢﴾ ﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾

إن قيل زرتهم بما رجعتم ... يا أكرم الرسل فما نقول

فظهر صوت من القبر سمعه كل من في المسجد:

قولوا رجعنا بكل خير ... واجتمع الفرع والأصول

● ومنهم خليفة بن موسى النهر ملكي رحمته الله :

حكى السيوطي في كتابه "تنوير الحلك":

قال ابن الملقن في طبقات الأولياء في ترجمة الشيخ المذكور :

((أنه كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناما، فكان يقول أن أكثر أفعاله متلقاة بأمر منه ﷺ إما يقظة وإما مناما، رآه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، قال له في إحداهن: يا خليفة لا تضجر، كثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي، يا خليفة ألا أعلمك استغفارا تدعو به فعلمه:

اللهم إن حسناتي من عطائك، وسيئاتي من قضائك،

فجد بما أنعمت علي ما قضيت وأمح ذلك بذلك، جلّيت إن تطاع إلا بإذنك أو تعصى إلا بعلمك، اللهم ما عصيتك حين عصيتك استخفافا بحقك ولا استهانة بعذابك، لكن لسابقة سبق بها علمك، فالتوبة إليك والمغفرة لديك.}}

● وقال محمد بن يحيى التاذفي في كتابه "قلائد الجواهر":

لما حضرت خليفة بن موسى الوفاة:

وهو توفي سنة ٦٠٤هـ، تشهد وتهلل وجهه بالسرور والبشر وقال:

((هذا محمد رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يبشرونني

برضوان من الله تعالى وصلاته))

ثم قال:

((هذه الملائكة عليهم السلام يستعجلون بالقدوم على

رب كريم ثم ضحك وتوفى))

نسأل الله أن يفتح لنا أبواب شهود الحضرة المحمدية
وينظمننا جميعاً في عقد هذه المعية،
ويسقينا من يده الشريفة شربة مريئة هنية لا نظماً بعدها أبداً،
ويتوجننا بيده بتجاج السعد،
ويجعلنا ببركته ﷺ من أهل الوفود على حضرة الله
ويجمعنا عليه جمعية كبريائية، لا نغيب عنه بعدها طرفة عين ولا أقل
ويحشـرنا يوم الدين تحت لواء شفاعته،
ويجعلنا في الجنة في جواره ومن أهل قربه ومعيته.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاجتهاد لرؤية رسول الله ﷺ

سؤال : كيفية الاجتهاد لرؤية سيدنا رسول الله في الحياة قبل الممات وإذا اجتهد ولم يراه؟

جواب : إذا اجتهد لا بد أن يراه.

ولو حتى لحظة خروج الروح وذلك لكي يثبتته...

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [٢٧ إبراهيم]

سؤال : هل يراه بشخصه؟

جواب : نعم يراه بذاته.

لكن الذي يجتهد وهذا الاجتهاد يكون له ضوابط: بمعنى أنني لا أصلي على حضرة النبي ﷺ لكي أرى حضرة النبي، وإذا لم أراه أتوقف.

لأن هذه الصلاة تكون معلولة، ويقع فيها كثير من الناس :

أنه يصلي لكي يرى الرسول !!! لا

لإنتهوا إخواني ... المفروض أصلاً أن أصلي شكراً لله على بعثة سيدنا رسول الله، ولا أربط بين الصلاة عليه ﷺ وبين تحقيق الرؤية !!!، وإن لم أرَ الرؤيا .. ، لا أصلي...!!

^{١٧} كان هذا الدرس في احتفالات المولد النبوي بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين قبل صلاة الجمعة ٢٢ من أبريل ٢٠٠٥ م

الموافق ١٣ من ربيع أول ١٤٢٦ هـ

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وهذا ما يجعل عزائم الكثير من الناس يعتربها الفتور، لماذا؟

مثلاً سيصلي على حضرة النبي لمدة سنة أو سنتين ...

ويمكن أنه يكون على وشك أن يراه ...

ثم يتتابه الكسل !!!

ويتوقف مرة واحدة بعد أن كان على وشك أن يبلغ الأمل !!! وتضحك

عليه نفسه !!! ويحرم من بلوغ الأمل.

هَمَمُ الرِّجَالِ

لكن الذي يعمل لله:

"ما كان لله دام واتصل".

إذا صليت على حضرة النبي:

فيجب أن أديم الصلاة على حضرة النبي.

لأنني متأكد أن العطاء المخصص لي مدخر لي عند الله.

وإذا صرفوا لي جزء منه كبشرى في هذه الحياة فبها ونعمت.

وإذا لم يكن فأنا متأكد ومتيقن أن الآخرة خير وأبقى.

وما عند الله خير للأبرار.

لكن هناك بعض المريرين يكون منتظراً نتيجة اجتهاده وصلاحه وأعماله

وتوجهاته، أن يكون له مبشرات في الدنيا...!!!

﴿٢٤٦﴾ ﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

كرامات !!! أو آيات !!! أو بعض الحاجات الظاهرات.

وإن لم يظهر عليه أو له مثل هذه الأشياء يتعب جداً، وتنتابه قلاقل نفسية !!! وأمراض عصبية !!!..

قال الصالحون في مثل هذا:

((الشيخ الذي ينتظر الكرامة كالمرأة التي تنتظر المحيض))

ولكن الرجل لا يرجو من الله، إلا الله ..

ولا يطلب من الله إلا رضاه ...

ولا يبتغي بأي وسيلة يتقرب بها إلى حضرة الله ... إلا أن يتعطف عليه مولاه ويجعله من عباده الذين يحبهم ... ويرضى عنهم ... في الدنيا ويوم لقاء الله.

وإذا ظهرت لهم مثل هذه الأشياء! فلا تطرف أعينهم.

ولذلك حتى لو أظهر الله لهم - وهم الرجال - كرامات! أو آيات! وعطاءات! وهبات!!!

وحتى لو فتح لهم الجنات !!

وأعطاهم القوة على المشاهدات !!

فإن كل هذه الأشياء لا تلفت نظرهم طرفة عين عن حضرة الذات !

وجنة الخلد لو ظهرت بطلعتها

لفارقت حسنها بالزهد همتهم

حتى لو ظهرت لهم الجنة:

يزهدون فيها، لأنهم يريدون صاحب الجنة وصاحب المنة ﷺ.

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٤٧﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وهذه هي همم الرجال الذين يبلغون هذا المرام، وهذا العطاء وهذا النوال، همتهم لله وتوجههم لله وكل أعمالهم لحضرة الله.

وإذا أكرمهم الله ﷺ بأي إكرام ظاهر أو باطن ولو بكشف أو فتح أو نور أو غيره، كل ذلك لا يلفتهم عن الله ﷺ طرفة عين ولا أقل.

وهذه هي العبادة التي يقول فيها ربنا :

﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة].

لكنني متأكد ومتيقن :

أنه حتى المرة الواحدة التي أصلي فيها على حضرة النبي، ولو عرضاً ولو حتى سهواً!!!، وكذا التسيحة!!! والتهليلة!!!، وأي عمل!!!

فإن الله قال في كل ذلك :

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف]

وهذه الودائع موجودة عند الله.

وهي ليست كما هي... لا

لا يوجد بنك من بنوك الدنيا يعطي فوائد وأرباح مثل بنوك رب العالمين ﷺ... أقل فائدة عندنا في البنوك الإلهية؟ كم؟

ألف في المائة ١٠٠٠%

وهذه أقل فائدة: الحسننة بعشرة أمثالها ...

إلى سبعمائة ضعف (يعني ٧٠٠٠٠%) ويزيد الله لمن يشاء.

أين إذاً من يعطي بهذه الكيفية في الأرباح الإلهية التي يعطيها لنا رب

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

العالمين يا جماعة المؤمنين؟

لا يوجد أحد في الأولين ولا الآخرين، يعطي الفائدة التي يعطيها لنا ربنا. ولذلك قال ﷺ في معنى الحديث الشريف والمروى بروايات مختلفة عن عائشة رضی الله عنها وكذا عن أبي هريرة :

{ إن المرء يتصدق بالصدقة لا يلقي لها بالاً - أي يعطيها وغير ملتفت لها أو حاسس بقيمتها - فيجدها يوم القيامة كجبل أحد، ويقول له الله خذ صدقتك هذه، يقول من أين يا رب؟ يقول هذه صدقتك التي تصدقت بها في يوم كذا ... أخذناها وربيناها لك، فصارت كما ترى }.

فذلك هو الذي يجعل المؤمن ... يعمل ... ويعمل ... ويجد ... ويكد ويعتقد تمام الاعتقاد أن:

﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [٩٦ النحل]

ويا ليته باقياً على حاله.. ولكنه ينفد ..

أما الذي عند الله فإنه يربو ويزيد إلى ما لا نهاية عند الله ﷻ.

نِيَّةُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَتَكْرِيمُ أَهْلِهَا

ولذلك أصلي على حضرة النبي ﷺ، ما نيتي؟

- أنه عليه الصلاة والسلام أهلاً لهذه الصلاة.

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٤٩﴾

- أو شكراً لله ﷺ على بعثته لنا ﷺ.
 - أو شكراً لله على أن جعله نبينا .
 - أو شكراً لله أنه جعلنا من أمته.
 - أو تعبيراً على قدرتي عن ثنائي على قدرتي على حضرته.
- ولكن لا يوجد أحد من الأولين أو الآخرين ...
- يستطيع أن يصلي على حضرة النبي الصلاة التي يستحقها !!!
- أو يصفه بالنعوت التي هو أهلا لها !!!
- أو يشني عليه بالثناءات التي عبّر المولى ﷺ في القرآن عن بعضها !!!
- من الذي يقدر على ذلك ؟
- لأحد

ولكنني أصلي بهذه النوايا.

ولما أصلي بهذه النوايا، أو غيرها من النوايا والخبايا، فيتعطف سيدنا رسول الله كما أمره ربنا في كتابه [٨٦ النساء]: .

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ۗ﴾

- فيجئ ليحيني ..
- يلقي عليّ السلام ...
- أو يمتعني بلذيد الخطاب ...
- أو وجميل الكلام ..
- أو يتعطف عليّ بشيء من الفضل والجود والعطاء والإنعام.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

ويكفي لأهل هذا المقام:

أن من رأى النبي ﷺ في مقام، فإنه من كرمه وجوده ﷺ يخلع عليه هذا المقام الذي رآه فيه، والله ﷻ يخلع عليه صلى الله عليه وسلم مقاما أعظم منه من لدن الله ﷻ.

ولكنني عندما أصلي على حضرة النبي :

أصلي على هذه الحالة، أو على الأقل تنفيذاً لأمر الله [٥٦ الأحزاب]:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

كم مرة نصلي؟

ترك الباب مفتوحاً، فصلاتي كلها تنفيذاً لأمر الله،....

لكن لا أضع في فؤادي، ولا في سويدائي، ولا في قلبي: أنني أصلي لكي أراه.

التأمل لرؤيته ﷺ

لكن ما الذي يستجلب رؤيته؟

أن الإنسان عندما يصلي عليه .. فمن الأدب :

✽ أن أتوضأ.

✽ وأن أتجه إلى القبلة.

✽ وأستحضر أنني بين يديه.

﴿الباب السابع: باب القرب ومفتاح الوصال﴾ ﴿٢٥١﴾

✽ وأنني جالس في حضرته الشريفة ﷺ.

✽ وأن أستحضر أوصافه ... وكمالاته ... وجمالاته التي بلغتني
وقرأت عنها

✽ وأستحضر أني قاعد ورسول الله أمامي، كأنه رأى العين.

✽ وإذا لم أقدر على استحضار هذا المشهد: أستحضر أنني في
الروضة الشريفة ، وأنني جالس فيها أمام سيدنا رسول الله، وأتأدب بالأدب
الذي أمرني به الله حين جلوسي بين يدي رسول الله في روضته المباركة.

وهذا أيضاً يعجل بالرؤية، ويلزم هنا بالطبع الصفاء، وليس الجفاء
وتحتاج إلى النقاء، وجمع الشمل، واجتماع الهمم، وعكوف القلب على
حضرته ﷺ.

إذا صليت عليه بهذه الكيفية فإن استحضار الصورة المحمدية، يحرق
في قلبي الصدود والبعد، ويجعل قلبي شفافاً بلورياً نورانياً.

في هذه الحالة عندما ينام الإنسان تنطبع صورة الحبيب المصطفى ﷺ
على شاشة هذا القلب، وهذا هو الوضع الذي يعجل بالرؤية.

✽ لكننا نقول لإخواننا صل على حضرة النبي مائة مرة:

فطبعاً يمسك بالسبحة وهو راكب الأتوبيس !!! أو ماشي في الشارع
ينظر لهذا الدكان !!! أو ذاك !!! ، أو ينظر لفلانة !!! وفلان !!! ، ويهدي
اللسان بالصلاة على حضرة النبي !!!!!!!!

لماذا أقول يهدي؟

لأنه يقول ! ولا يسمع ! ولا يفهم ما يقول !

هذه الصلاة بهذه الكيفية سيأخذ عليها أجراً وثواباً .. نعم .

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لكن هل ستوصل إلى المراد؟

لا..

ما الذي يوصل إلى المراد يا أحباب؟

✽ أن أقعد في الليل قبل النوم، أو بين المغرب والعشاء، وأتجه للقبلة على وضوء، وأستحضر أن الحبيب أمامي.

وقد قال ذلك ﷺ:

{ ما من مسلمٍ يسلِّمُ علىَّ إلا رَدَّ اللهُ رُوحِي حتى أَرُدَّ عليه السلام }^{١٨}

يعني موجود ومشهود، وقال :

{ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنْ صَلَاتِكُمْ تَبْلُغُنِي }^{١٩}

وفي رواية أخرى :

{ فَإِنِّي أَسْتَمِعُ إِلَى صَلَاةِ الْمُحِبِّينَ عَلَيَّ يَوْمِي الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ }

فيسمع بنفسه صلاة المحبين، بمعنى انه موجود ومشهود وحاضر مع أحبابه، لا يغيب عنهم.

✽ فعندما أستحضر هذه الصورة في أفق قلبي، وفي فؤادي، وسري، وأصلي على حضرة النبي، وأداوم على هذا الحال عدة ليالي فقط، سأنام مشغول البال بسيدنا رسول الله :

وإذا انشغل البال بشيء، ونام الإنسان .. فإنه يراه في منامه.

✽ إذا العبرة هنا ليست بهيئة الصلاة، ولا بكيفية الصلاة، ولا بعدد

^{١٨} مسند أحمد بن حنبل والسنن الكبرى للبيهقي وحلة الأولياء عن أبي هريرة ؓ.

^{١٩} سنن أبي داود ومسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ؓ.



﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الصلاة، لكن العبرة: بالهيئة التي يستحضرها أو يكون عليها عند قيامه
بالصلاة على حضرة سيدنا رسول الله ﷺ.

✽ وهذا ما كان يداوم عليه العارفون لكي يروا رسول الله، فلو داوم
على هذا الحال سيراه في المنام.

فإذا دام على هذا الحال في اليقظة ..؟

يجد روحه قد انطلقت من العقل إلى عالم المثال !!

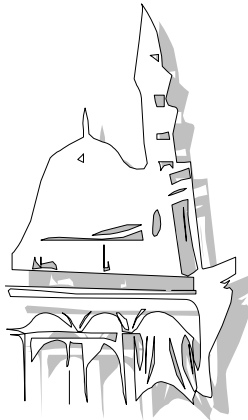
فيرى النبي ﷺ في أفق الصفاء لا بالخيال

ولكن في عالم المثال، وهو في اليقظة.

وكل هذا نتيجة عظيم الصفاء ...

ورفع كل حجاب، فيرى النبي ﷺ بغير نقاب ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

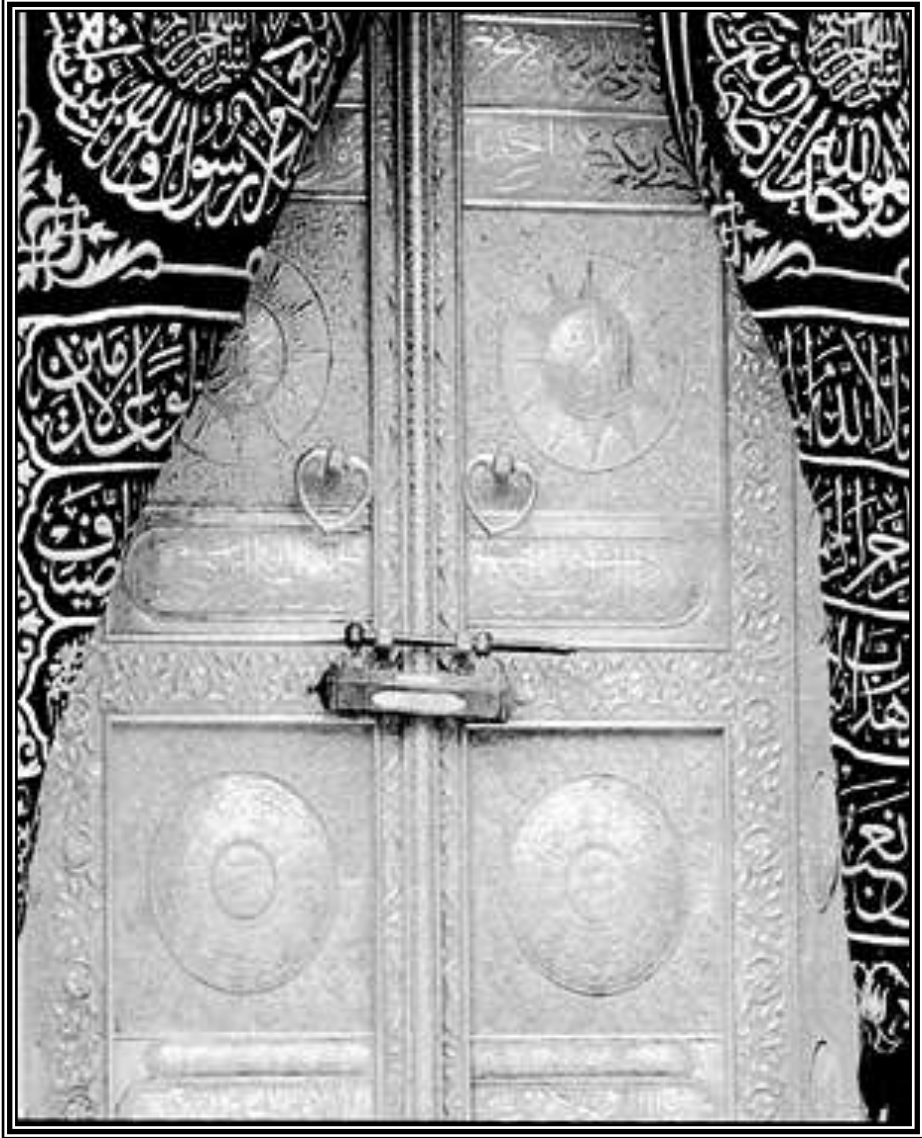


البَابُ الثَّامِنُ

﴿جَمَالُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ﴾

﴿الَّذِي يَجْذِبُ جَمِيعَ الْأَنَامِ﴾

- سر إصلاح أحوال المسلمين
 - الإسلام دين حياة
 - ثنائية الفرد
 - المسلم يعامل الله
 - إخلاص العمل لله
 - رجال الصدق
- سر سعادة المسلمين
 - سيناريو النور
 - جمال الروح
 - الأخلاق القرآنية
- منهج الصالحين في الدعوة
 - قوّة التقوى



باب الكعبة المشرفة

سُرُّ إِصْلَاحِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ^(*)

الحمد لله الذي تولانا بولايته، وسقانا من كأس عنايته، وجعلنا في الدنيا من خيار أحبته.

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ...

شمس الحق المشرقة بنور هداه ... سبيل المقرين وباب العارفين للفتح والشهود والتمكين، والمبعوث رحمة للخلق أجمعين في الدنيا
.....

والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الدين ... صلى الله عليه وعلى آله الهادين المهديين وصحابته المرضيين

وكل من تبعه بخير وإحسان إلى يوم الدين. وعلينا معهم أجمعين، آمين
أمين يا رب العالمين.

إخواني وأحابي بارك الله ﷻ فيكم أجمعين :

الحقيقة التي لا مرية فيها، والحق الذي لا شك فيه والقضية التي لا
تحتمل أمرين :

أن صلاح أحوال المسلمين أفراداً .. وأسراً ... وجماعات ...
ومجتمعات ... وشعوباً ... ودولاً ... ؛ لا يكون!.. ولن يكون ... إلا
بالرجوع إلى أخلاق السيد الأمين المأمون ﷺ.

(*) كان هذا اللقاء في احتفالات المولد النبوي الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالهندسين بالقاهرة وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين من أبريل ٢٠٠٥، الموافق الثالث عشر من شهر ربيع أول ١٤٢٦ هـ.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وأذكر في هذا المجال أن رجلاً فرنسياً - وقد حدث ذلك هذا العام -
هذا الرجل درس الإسلام في الكتب، واقتنع بالإسلام فأسلم.

وبعد أن عاش فترة على تعاليم الإسلام، فكر في زيارة بلاد المسلمين
ليزيد في نظره اقتناعه وسيره على مبادئ هذا الدين.

فنزل في بعض البلدان الإسلامية ... بلد من بلاد المغرب العربي، وبعد
أن مكث في هذا البلد أسبوعاً واحداً حجز على أول طائرة عائداً لبلاده !!!
فسألوه لم رجعت؟

قال: الحمد لله أنني أسلمت قبل أن أرى المسلمين.

لأنه لو رأى المسلمين وأحوالهم كان سيتردد في هذا القرار، فالإسلام
حاجة...!! وأحوال المسلمين وأفعالهم حاجة ثانية...!!!.

الإسلام دين حياة

ما الذي حدث يا إخواني؟

من الممكن أن يكون حدوث هذا الموضوع نتيجة الفصام الموجود في
الأمم الأوروبية :

كانت الكنيسة هناك ضاغطة على الشعوب !!

ومحرمة حرية الرأي وحرية الفكر فخرجوا على الكنيسة

وقالوا الدين يبقى في الكنيسة...

لكن الحياة العامة ليس لها صلة بالكنيسة وظهرت العلمانية:

﴿ ٢٥٨ ﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

والعلمانية تعني أن الدين داخل الكنيسة فقط، لكن الزراعة والصناعة والتجارة والبيت والمصنع والمدرسة كل هذا ليس له صلة بالدين.

وطبعاً حاولوا أن يلقنونا هذه الأفكار، ولكن ديننا ليس هكذا:

لأن ديننا معنا في كل أحوالنا وكل أطوارنا، ديننا دين حياة، في كل شيء الإسلام موجود:

لا يوجد علاقة تبنى بين المسلم وغيره إلا والإسلام هو الذي نظمها وأسسها وقننها:

- علاقته مع زوجته.
- علاقته مع والده .. مع أمه ..
- مع أولاده ...، علاقته مع جيرانه.
- علاقته مع أجداده...، علاقته مع أحفاده...، علاقته مع أصهاره.
- علاقته مع التجار والصناع ...
- علاقته مع العلماء والمعلمين ...
- علاقته مع أولي الأمر والحكام
- ليس هناك أي علاقة للمسلم إلا وذكرها الله وبينها بتفصيل دقيق سيدنا رسول الله :

﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [٣٨ الأناعام].

هذا واضح بلا جدال فكيف صرنا إلى ما نحن فيه ??? وكيف أصبحنا بشخصيتين ... كيف أصبنا بهذا الحال الغريب ...

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٥٩﴾

تَنْائِيَةُ الْفَرْدِ

ما المشكلة إذن؟

إن المسلم في العصر الحاضر بدلاً من أن كان واحداً، أصبح اثنين...!! عمل لنفسه ثنائية.

المسلم داخل المسجد ... فهذا تجده مثل الملائكة !!!

وهو نفسه عندما يخرج من المسجد !!! تجده في صورة مغايرة تماماً :

- إما في صورة سبع يريد أن يأكل كل من في طريقه.
- أو في صورة وحش مفترس يريد افتراس كل من حوله ويسلبهم كل مالهم وكل ما يملكون.
- أو في صورة شيطان لا يريد لأحد من الناس أن يحب الآخر!!
- يريد أن يفرق بين هؤلاء ويوقع الشقاق والفتنة بين هؤلاء...!!

هل هذه صورة المسلم؟

كم وجه للمسلم يا رسول الله؟

قال: للمسلم وجه واحد...! إذاً الذي له وجه في المسجد ! وآخر خارج المسجد؟! قال: هذا شر الناس.

قال صلى الله عليه وسلم ... واسمعوا واعوا

{ شر الناس ذا الوجهين، الذي يلقى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه }¹.

¹ صحيح البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه .

المسلم يعامل الله

المسلم لا يتعامل مع الخلق ...

ولكنه يتعامل مع الله حتى وهو يتعامل مع خلق الله ...

وهو لا يريد أجراً ولا ثواباً ولا مكافأة إلا من الله ... لماذا ؟

لأنه مَوْعِدُ الْعَهْدِ مَعَ اللَّهِ.

إِذَنْ يِعَامِلُ الْخَلْقَ بِمَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَبِمَا يَرْضَى اللَّهُ.

لكن لو عامل الخلق على هواه ! فقد نكث العهد الذي وقعه مع مولاه!

وفرط في حق نفسه! ...

كيف ؟ لأنه أخذ العهد على نفسه أن يعمل بما يحبه الله :

أين هذا العهد؟ في قوله تعالى [٢٣ الأحزاب].

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ط﴾

لقد عاهدنا ربنا على :

- الصدق حتى في المزاح.
- وعلى الأمانة حتى مع الأعداء.
- وعلى المروءة حتى مع الخصماء.
- وعلى كل الصفات الكريمة التي جاء بها أمير الأنبياء وسيد الرسل والأمناء صلى الله عليه وسلم.
- وهذا عهد عاهدنا الله عليه بمجرد قولنا لا إله إلا الله.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

- وبها نكون التزمنا بكل ما تحويه هذه الكلمة عند الله وفي كتاب الله
وفي هدي رسول الله ﷺ.

وقال لنا ربنا بصريح العبارة على لسان الصادق الوعد الأمين:

{ من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة، فقالوا يا رسول الله

وما إخلاصه؟! قال: إخلاصها أن تحجزه عن محارم الله ﷻ }^٢

أي تمنعه عن كل شيء حرمه الله، الغيبة، النميمة، الكذب، قول الزور،
شهادة الزور، السب، واللعن والشتم والفجور.

إذن كيف يمشي المسلم؟

كحبيب الله ومصطفاه:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [٢١ الأحزاب].

من الذي يريد أن يكون معه يا إخواني؟

...كلنا...

ماذا يفعل ليكون مثله؟

كما أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق كذلك المؤمن

كما قال ﷺ :

{ ليس المؤمن بسباب ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء }^٣

هي نفس الصورة.

^٢ المعجم الأوسط للطبراني عن زيد بن أرقم.
^٣ سنن الترمذي - الجامع الصحيح عن عبد الله بن مسعود { ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء }.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وكما أنه ﷺ لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح، فكذلك المؤمن :

﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [٤٠ الشورى].

كذلك المؤمن يجب أن يكون أهلاً للعفو وأهلاً للصفح، طلباً لمرضاة الله ورضاء الله جلّ في علاه، لا يريد شيئاً من خلق الله.

❁ لأن المؤمن - وهذه نقطة جوهرية لو وضعها المؤمن في أفق قلبه سيستريح - أن أتعامل في الكون كله مع الله....

وأين الخلق؟

هؤلاء الخلق: تجارة أربح عليهم الثواب والأجر من الله.

لو أنني وضعت الخلق أنداداً وأريد أن أعاملهم كما يعاملوني، إذاً فقد جعلتهم شركاء لله ﷻ....

كما شتمني أشتمه !!، كما ضربني لازم أضربه !!! لا .. لا ..

لكنني أتعامل مع الله.

فإذا عفوت عن فلان يكون لله .. وليس لأجل فلان.

إذا أكرمت فلانا فلأجل الله ...

إذا عاملت فلانا معاملة طيبة فمن أجل كلام الله ...، ومن أجل هدي حبيب الله ومصطفاه

وهذا هو همُّ المؤمنين ونوايا الصالحين وخواطر المقربين، عند كل عمل يعملونه في هذه الحياة، لأنه لا يوجد عمل يعملونه إلا لله.

❁ الذي ضيع الناس في كل زمان ومكان:

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٦٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أن الإنسان منا ينسى هذا الموضوع ... ينسى أنه عامل عقد مع حضرة الله، إن شغله كله... الله...

أين شغله ؟

هو يعتقد أن شغله الذي مع الله في الجامع .. الركعتين وتلاوة القرآن والصيام...!!! اعتقد أن هذا فقط هو الذي لله...!!

ولكن مع الخلق يناطح فيهم ويناطحوه، ويضربهم ويضربوه، ويقول أصل الحديث يقول: (من لم يتذأب أكلته الذئاب) وهذا حديث إبليس!! وليس حديث النبي ﷺ، قال تعالى في [١١٢ الأنعام]:

﴿ شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحَىٰ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾

و مثلها ما يقولون: (اللي يحتاجه البيت يحرم على الجامع)، وهي كذلك من أحاديث إبليس!!!

وانتشرت في هذا الزمان أحاديث كثيرة لإبليس: (اتق شر من أحسنت إليه)...!!!، قائل هذا الكلام بتر الجزء الثاني كالذي قال: ولا تقربوا الصلاة، لأن الصالحين قالوا:

"اتق شر من أحسنت إليه، بدوام الإحسان إليه "

فلا تمنع الإحسان، لأنك مع من تتعامل ؟.... مع الله!!!!

وهناك فارق كبير بين من يتعامل في كل أحواله مع الله... وبين الذي أنزل نفسه لكي يتعامل مع خلق الله!!!!، وعمل نفسه مثلهم!!! فالناس الصالحون مع من يتعاملون ؟ مع من ؟؟؟؟؟

يتعاملون مع الله

﴿ ٢٦٤ ﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

❁ ألقى درسا مثل هذا... ليس لإعجاب الحاضرين !!

ولا لكي ينشر في الجرائد، ولا لكي تسجل المسجلات والإذاعات، لا ولكن لكي ينال رضا الله جلّ في علاه ..

لأنه يبلغ رسالة الله .

وهذه نيته.

ولذلك سجلوا أو لم يسجلوا، لا يلزمه...! لأنه يبلغ رسالة الله :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب]

في أي مكان... وفي أي زمان.... هي لله ... ماذا قالوا؟!..!!

ليس له شأن بهذا الموضوع، ولماذا يعود أذنيه على الثناء، وعلى حسن الثناء، هو لا يريد أن يسمع الثناء إلا من الله!. وهذا هو الثناء الذي له أجر عظيم، لكن ثناء الخلق ماذا يعمل به؟

ومن الممكن أن يكون وراءه غرور وشرور لأن الذي يثني عليه الناس يضرونه، لأنه يغتر، إذاً ماذا تريد ؟

أريد أن أسمع من الله وقد أنزل الله في كتابه ثناءً على الذين يحسنون العمل طلباً لمرضاة الله جلّ في علاه.

❁ لماذا أربي ابني؟.....لله.

لأن الله كلفني بهذه الأمانة وحملني هذه الرسالة.

ولذلك فأنا غير منتظر منه شكراً ولا مكافأة، ولا حتى هدية يهديها لي بعد تخرجه وزواجه، لأن الذي أعمل له أجري مضمون عنده...!!

فلماذا أنتظر من غيره؟.. لأن هذا من شهوات النفس..

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

يقول مثلاً:

أنا ربيتك وعلمتك ولم يطمرك فيك؟ ولم ترد لي شيء مما عملته لك..؟ في هذه الحالة لو أردت الرد فقد فسخت العقد الذي بينك وبين الله..!!

لكن المؤمن يتعامل مع الله !!!

وهذه نقطة جوهرية حاسمة في القضية الإيمانية.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل ٩٧]

الحياة الطيبة هنا:

أنه لا ينتظر شيئاً من أحد، لأنه يتعامل مع الواحد الأحد.....

✽ ما الذي يتعبنا كلنا؟

أنا عملت لفلان ولم يرد الجميل...

أنا سعت مع فلان والآخر حتى لم يقل لي كلمة متشكرين..

فإذا كنت عملت من أجل أن تسمع كلمة متشكرين ...

فهذه أجرتك، والنبى ﷺ قال مجملًا كل هذه المعاني ومبينًا أساس الأعمال كلها والنوايا ولماذا يقبل الله العمل؟ أو لماذا يرد الله الأعمال على أصحابها أو فاعليها؟ غسمعوا له ﷺ:

{ قال الله تعالى: من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري تركته له، أنا أغنى

﴿٢٦٦﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذى يجذب جميع الأنام﴾

الأغنياء عن الشرك { ٤ .

إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ

فالذي يعمل وينتظر الجزاء من الخلق فقد فسخ عقده مع الحق فلا ينتظر الأجر من الحق ﷻ.

إذاً ماذا يريد الحق ؟

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة]

في كل عمل.

❁ حتى لو اشتريت لزوجتي أكله حلوة، لا أقول أنا اشتريت لك كذا لأنني اشتريتها لله، وليس لخاطر زوجتي لأنني أريد أجرها من أين ؟

{ إن المرء ليؤجر حتى في اللقمة يضعها في زوجته }^٤

لو أحضر لها هذه اللقمة وقال لها "أنا جبت لك الذي تريدني لكي تسكتي" تكون هذه أجرته .. وخلص !!

ولكنها لله ولذلك لا أشترى لها إلا ما يرضي الله، وليس لي شأن برضاها، رضاء الله أولاً ...، ثم رضاها لأنني أتعامل مع الله.

وحتى في قضائه لشهوته مع أهله ، فتمام الحديث السابق:

{ وإن في بضع أحدكم صدقه }

^٤ صحيح مسلم وابن ماجة عن أبي هريرة.
^٥ صحيح البخاري ومسلم عن عامر بن سعد عن أبيه.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

وهذه أحوال المؤمنين فكل أعمالهم عبادة

❁ وكان هناك رجل من الصالحين يتعامل بهذه الأحوال، فكان يقول
رضى الله عنه :

"إني لا أخرج من بيتي إلا إذا استحضرت سبعين نية في خروجي كلها
لله عز وجل" وكلما زادت النوايا زاد الأجر والثواب.

وعلى هذا الحال يا إخواني كان أصحاب رسول الله صلوات الله عليه وآله، دريهم على
هذا الحال العظيم.

❁ حتى أنهم كانوا يفتحون مدينة في فارس اسمها نهاوند وكانت آخر
معاقل الملوك في فارس وكان حولها حصن كبير وظلوا شهرين لا يستطيعون
فتح المدينة بسبب هذا الحصن:

وفي يوم من الأيام واحد من صحابة رسول الله مشغول البال لا يريد أن
يأخذ نوط الشجاعة، ولا قلادة النيل ولكن يريد أن يأخذ نوط الشجاعة من
رب العالمين والوسام من سيد الأولين والآخرين.

فقام ولبس ملابسه، وذهب لجماعة من الجنود لا يعرفونه، وقال لهم:
سترفعونني وترموني من فوق السور وسط الأعداء بجوار الباب ...، سألوه من
أنت ؟

قال لهم: ليس لكم شأن !!

فحملوه ورموه من فوق السور في وسط الأعداء وانهالت عليه
السيوف، فأخذ يضرب بالسيف من حوله !! حتى قتلهم بإعانة من الله !!
ثم فتح فتحة في الباب !! ونادى على المسلمين !! فدخلوا من الباب،
وفتح الله هذا الحصن وهذا البلد ببركة هذا الرجل.

﴿٢٦٨﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

فأعلن القائد العام عن مكافأة عظيمة لهذا الرجل، وكان لا يعرفه. فلم يظهر الرجل ولم يبلغ عنه أحد !!!

وظل القائد على هذا الحال ثلاثة أيام.

وفي النهاية ذهب له الرجل قائلاً له أنا أعرف الرجل الذي فتح الحصن، وهو يريد أن يقابلك، ولكن له ثلاثة شروط :

قال: وما شروطه؟ قال:

الشرط الأول أن لا تعرف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بشخصه.

والشرط الثاني: أن لا تعطيه أجراً لأنه يريد أجره من الله ﷻ.

الشرط الثالث: أن لا تشهره بين الجيش.

فقال القائد: موافق على كل هذه الشروط، من هذا الرجل؟

فقال: أنا !.

وتركه وخرج.

رجال الصدق

من هؤلاء الرجال ؟

هم:

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب].

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٦٩﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

رجال كان همهم كله إرضاء الواحد المتعال ﷻ لأنهم عرفوا من البداية أن العقد مع الله، العقد الذي يخلصنا كلنا ما هو؟

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى﴾ [١١١ التوبة]

من الذي اشترى؟... الله، ممن؟

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

الذين كانوا في عصر النبي فقط أم كلهم..؟

المؤمنون كلهم إلى يوم القيامة، وماذا اشترى منهم؟

﴿أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

وبم يعني الله " بأنفسهم " ؟

يعني حركاتهم وسكناتهم ... وأعمالهم كلها لله، ومالهم ... يتصرفون فيه على وفق كتاب الله وكما يأمر شرع الله، طلباً لمرضاة الله. ولا يتصرف فيه قائلاً: مالي وأنا حر فيه، لو كان يخصك ؟ لماذا يحاسبك عليه الله إذاً ؟ ولكنه يقول لك:

- تطلبه كما أمر الله.
- وتنفقه كما وضع شرع الله.
- ونيتك من قبل ومن بعد طلباً لمرضاة الله.
- ويجب أن تجلب هذا المال من طريق أحله الله.
- وتنفقه في باب وافق عليه شرع الله.
- وتشكر الله عليه، وتؤدي حقه تعالى فيه.

﴿٢٧٠﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

- ولا تنسى أبداً أنك إنما مستخلف فيه، وأن مالكة على الحقيقة هو الله جلّ في علاه.

✽ تريد أن ترضي زوجتك وأولادك، فتلك مصيبة المصائب :

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

[٨٨-٨٩ الشعراء].

هل سأقول يا أولادي لقد اشتريت لكم عمارتين، ووضعت لكم في البنك الرصيد الفلاني، هل سينفعوني هناك؟

هل هناك منهم من يعطيني ويتبرع بحسنة لو احتجتها؟
أبداً لن يحدث :

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْرُّءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿١٦﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿١٥﴾ وَصَحْبَتِهِ
وَبَنِيهِ ﴿١٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿١٧﴾﴾ [سورة عبس].

وهو بذاته سيقول في هذا اليوم:

يا رب خذ لي بحقي من هذا الرجل!!

حقك في ماذا يا بني؟.. يقول :

لقد جمع لنا هذا المال من حرام، ووزعه على غير هدى خير الأنام،
قال ﷺ: في حديث ما معناه :

{ يشتكي أهل الرجل الرجل يوم القيامة، يقولون: يا ربنا خذ لنا بحقنا من

هذا، كان يطعمنا من الحرام ولم يعلمنا أحكام ديننا }

إذن الإنسان الكيس الفطن الذي يتعامل مع الرحمن، وهذا هو العقد:

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذى يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٧١﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فُوزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾

وما الثمن؟ ﴿بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾

وكيف يسددون المال والنفوس؟

﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^ط﴾

وهل هذا العقد مسجل؟

نعم ، ﴿وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾

وأين مكاتب التوثيق؟

﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ
مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ

هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿[سورة التوبة].

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا
عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[سورة الفتح].

✽ هذا العهد وهذا العقد كلنا أعلنه عندما قلنا:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وهذا معناه:

أنني .. ونفسي .. ومالي .. ووقتي .. وأنفاسي .. وعمري .. وحياتي
كلها لله، بمعنى أن أمشي فيها كلها على شرع الله ونيتي فيها كلها طلباً
لمرضاة الله جلّ في علاه... وهذا هو عقد الصالحين.

﴿٢٧٢﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

والذي ينسى هذه الحكاية؟؟؟ يضيع!! ويتوه في هذه الحياة الدنيا،
ويعرض نفسه للحساب!!!؛ يقول له الله تعالى:

لقد عاهدتنا على كذا وكذا ولم تنفذ.

❁ ولذلك فإن الإمام عبد الوهاب الشعراني رحمته الله وأرضاه:

وكان من أئمة الصالحين عمل كتابا عظيما تفصيلا لهذا العهد سمّاه
"العهود المحمدية"، فالعهد مجمل، فكتب مذكرة تفصيلية لأنه محامي
قانوني في مكتب الحضرة المحمدية.

وكذلك كل الصالحين:

كل واحد منهم يأخذ طلبات الناس في زمانه وعصره، ولكنهم جميعاً
يعملون في الحضرة المحمدية، فالرجل كتب مذكرة تفصيلية لهذا العهد،
وعندما تقرأه تجده يقول :

أخذ علينا العهد من الله ومن رسول الله بأن نصدق في أقوالنا وألا
نكذب حتى في لهونا ومزاحنا، ويأتي بالنصوص التي تؤيد هذا الكلام، أخذ
علينا العهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكون أمناء في بيعنا وشرائنا وأقوالنا وأحوالنا،
حتى مع غير الأئمة من خلق الله حولنا لقول نبينا:

{ أدِ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك } ٦.

ويسرد كل البنود التي يجب أن تنفذها، فيجب أن تعرف ما البنود التي
وراء هذا العهد؟

وهي الشريعة المحمدية، الأخلاق القرآنية، والمعاملات الإسلامية،
والأحوال المحمدية، والتي نحن مأمورون بأن ننفذها في حياتنا الدنيوية طلباً

^٦ رواه الإمام الشافعي في السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة.

لمرضاة الله جلّ في علاه.

وهذا هو الفارق بين عباد الله الذين يعملون لله وبين الذين وحلوا في هذه الدنيا، ونسوا ما عاهدوا الله عليه، فأصبحوا يعملون لأنفسهم أو لخلق الله، أو يراءون أو ينافقون أو يخادعون أو يغدرون !!!

ولم كل هذا ؟!!!!

لأنه نسي أنه يتعامل مع الله.

ولذلك ربنا ذكّرهم، قال لهم:

إنك إن ظننت أنك تخدع فلاناً هذا في البيع، أو في الشراء، أو في الكلام، فانك لا تخدعه لأنك متعاقد معي أنا :

﴿مُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [٩ البقرة].

بدأ بالله أولاً: ... إذاً من يخدع مؤمناً فإنه يخدع الله، وكذلك من يخون أو يكذب أو ينافق.

فخل الخلق خلفك ثم عامل ... بصدق ذات مولاك العلية

افرض إنهم خائنين، ليس لي شأن بهم... لأنني أوفي بالعهد الذي أخذته على نفسي لله ﷻ، لأنني أتعامل مع الله وليس خلق الله.

فكل شأن للمؤمن مع غير الله يعاتب فيها من الله:

لأنه أخذ العهد من الله أن يكون صورة محبوبة بين خلق الله، ممثلة لحبيب الله ومصطفاه، يمشي بشرع الله مزيناً في كل أحواله وسلوكه بزينة:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [٢٩ الفتح].

الذي يراه يتذكر أحوال حضرة النبي: بهديه وأخلاقه وسمته ومعاملاته

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فيشد الخلق إلى الله.

لكننا حالياً نقول أننا مع الله فقط في الجامع :

وعند خروجنا من الجامع نضع على وجوهنا: صورة إبليس...!، أو يضع
صورة أسد...! أو صورة كبش...! أو قرد...! أو غيره...! :

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
أَسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ [٦٧] يس.

وهذه هي الصورة التي تظهر في هذا الكون، ويقع في هذه المشكلة
عباد الله وسيتعرضوا بسببها للحساب العسير يوم لقاء الله جلّ في علاه، لأن
المؤمن يكون ظاهره كباطنه أو باطنه خير من ظاهره، لكن ظاهره أفضل من
باطنه هذا هو المنافق.

✽ المؤمن حاجة من اثنين :

- إما ظاهره كباطنه.
 - وإما باطنه خير من ظاهره.
 - ظاهره كباطنه كما كان سيدنا أبو بكر،
 - أو باطنه خير من ظاهره كما كان سيدنا عمر.
- عندما قال سيدنا أبو بكر:

لقد اخترت لكم عمر، فقالوا: لا إنه شديد، فرد عليهم بأن عمر بداخله
رحمة تامة ولكنكم لا ترون إلا الظاهر، وقد حدث فقد كان رحمة تامة بجميع
الامة رضوان الله ﷻ عليه لأن باطنه كان خيراً من ظاهره.

✽ وهذه هي أحوال المؤمنين، نسأل الله ﷻ :

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٧٥﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أن يطهرنا ظاهراً وباطناً من خصال المنافقين،
وأن يجملنا بأخلاق المؤمنين وأحوال سيد الأولين والآخرين،
وأن يكرمنا في الدنيا بالعلو والتمكين والعمل بشرع رب العالمين،
وأن يجعلنا يوم القيامة من عباده الأمنين
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون،
وأن يحفظنا من الغرور وحب الظهور الذي يقصم الظهور.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سِرُّ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ

الحمد لله على ما أنعم وأكرم، والصلاة والسلام على نبينا المكرم
وحبيبتنا المعظم سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال ﷺ ما معناه:

{ إنما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد بها أولها }

يعنى أن وسيلة السعادة التي تم بها الفتح ونشر الإسلام وعلو راية
الحق بين الأنام في البداية؛ هي كذلك ستكون نفس الوسيلة في النهاية.
ولو تدبرنا مسرح الدنيا وما يحدث عليه من أحداث هو نفس السيناريو
الذي حدث في البداية مع رسول العناية ﷺ:

كان العالم في البداية تسيطر عليه القوة الغاشمة والجبروت والصولجان
وهما دولتا الفرس والروم، وهو الوقت الذي ظهرت فيه مسرحية "محمد
رسول الله والذين معه". وكذلك في وقتنا هذا تُعاد نفس الأحداث أيضاً :

﴿ ٢٧٦ ﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

حيث يسيطر على العالم الآن الظلم والقوة والجبروت !!، ويتبارى فيه الإنسان بغلظة وبقسوة أكثر من الحيوان، وهذه حقيقة حيث لا يتورع بنو الإنسان الآن عن استخدام أسلحة دمار تدمر كيان الإنسان وصحة الإنسان، حتى ولو لم يكن ذلك في ميدان القتال.

وهذا الحاصل الآن ... مثال الأسلحة الفتاكة التي تفتك بالأجساد والأمراض والأوبئة والحرب البيولوجية، هل ذلك يحدث في ميدان القتال؟ أم معنا الآن يا إخواني؟

موجودة وعلى أشدها، حتى الناس الذين بيننا وبينهم هدنة فالهدنة معهم في الأسلحة القتالية لكنهم يصدرون لنا يوميا أسلحة بيولوجية إذا لم يكن في الدجاج ففي النحل أو المبيدات الزراعية حتى في الأدوية، ويحدث ذلك من الدول التي تدعي أنها أعلى الأمم في القيم.

وفي الشهر الماضي أعلنوا (وكالات الأنباء في ألمانيا) أن ألمانيا وهي من الدول التي يقال عنها أنها ذات التزام بالقيم، أعلنوا أن الأدوية التي تصدرها للدول الأفريقية والآسيوية، غير ملتزمة فيها بالمواصفات القياسية، بل فيها مواد تدميرية ويسعونها بهذه الكيفية على الرغم من وثوق الناس فيهم على أنهم شعب يراعي القيم.

وكذلك نفس الوضع إلى وقت قريب:

دولتان يتحكمان في العالم:

- وهما دولة كفرية مثل الدولة الماجوسية.
- ودولة كتابية مثل الروم.
- وتلك الدولتان كانتا موجودتان في عصر الحضرة المحمدية، أليس

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

نفس السيناريو؟

فالأحداث تعيد نفسها، و الدور الباقي على الأمة المحمدية.

سيناريو النور

كيف نظهر على هذا المسرح؟ وكيف ننفذ سيناريو " محمد رسول الله والذين معه " ؟

ونحن الموعودون بتنفيذ قول رب العالمين [٣٣ التوبة]:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾

هل ظهر على الدين كله؟ .. إلى وقتنا هذا لم يظهر بعد.

لكن سيظهر في عصرنا على الدين كله، لأنها آية ولا بد أن تتحقق.

هل تحققت في عصر رسول الله ؟ .. لا، وكان موجود المجوس واليهود والمسيحيون، لكن لازم يظهر على الدين كله قال ﷺ :

{ إذا كان آخر الزمان أفنى الله جميع الملل والنحل، ولم يبقَ

إلا الإسلام }^٧.

وهذا وعد موعود من الله !! ولا بد أن يظهر الله الإسلام على الدين كله،

^٧ سنن أبي داود عن أبي هريرة في نزول المسيح (فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام

وهم يظهر ؟

كما ظهر في البداية :

وهل ظهوروا في البداية: بقوة السلاح وبقوة العتاد وبقوة المال وقوة الصناعات وقوة الأجسام؟.....أبدأ...!!

إذن ما السلاح الفعال الأقوى من كل هذه الأسلحة والذي فتح القلوب؟.....الأخلاق !!! هي السلاح الذي تسلح به المسلمون !!! وفتحوا به جميع الأفاق !!!!

وهذه التكنولوجيا غير موجودة إلا عندهم، فالأعداء معهم ذرة ومعهم سفن فضاء ومعهم صواريخ، ومعهم كل التكنولوجيا المادية، لكن ليس معهم الأخلاق الإلهية !!!!

وهذه يتوقف عليها فتح القلوب وتأهيلها للأحوال الإيمانية، بماذا فتح سيدنا رسول الله والذين معه ؟ ... هذا هو السلاح يا إخواني...!!

ولذلك فإن كل مسلم مطالب في هذه الأيام بأن يأخذ دوره في مراكز التأهيل المحمدية، على الأخلاق الإسلامية والإيمانية، لماذا يا إخواني؟ لكي يظهر جمال الدين الإلهي.

وبعض إخواننا الغافلين فكروا أن إظهار جمال الدين بأن يتمسكوا بظاهر رسول الله فيطلق اللحية ويطول العدبة، ويمسك السواك ويلبس الملابس الباكستانية، ويظن بذلك أنه سيظهر جمال الدين...!! ولكنهم فقط ... إنما يظهرون المسوح.

جمال الروح

❁ والذي سيظهر جمال الدين هي الروح الساكنة تحت هذا اللباس، وليس اللبس، ربنا لما وصفه والناس أقبلت عليه، بماذا أقبلت عليه؟

﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْمَ ۖ... اللين ...﴾

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ﴾ [١٥٩ آل عمران].

كلها مكارم ... وأخلاق ...

ليس لها شأن بالزي ... ولا بالمظهر ... ولا بالمنظر ...

❁ المهم :

- جمال المخبر...

- المهم حسن الجوهر...

- المهم سلامة الصدور...

- وصفاء القلوب...

- والأخلاق العظيمة مع الخلق.....

وهذه لا تكون إلا إذا عامل الإنسان الله في خلقه، ولا يعامل الناس لأنهم أهل لهذه الأخلاق أو أهل لهذه المعاملات.

وإنما أنا أعامل الناس حتى ولو كانوا غير أهل لهذه الأخلاق، لأنني أعامل حضرة الله ... فأعاملهم بالكمال والجمال الذي أمر به الله طلباً لمرضاة الله جل في علاه قال ﷺ:

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

{ اصنع المعروف في أهله وغير أهله، قالوا: يا رسول الله نصنع المعروف في أهله فكيف نصنعه في غير أهله؟ قال: إذا لم يكن أهلاً للمعروف فكن أنت أهلاً له } ٨

لأن دينك ونيك وقرآنك وأخلاق إلهك على هذه الشاكلة.

فادعوا إلى هذا الأمر ... فمن يجهل عليك فاعرض عنه، لأن ربي أمرني وليس لأني عاجز عن الرد عليه ... فأنا أقدر أن أرد الصاع صاعين كما يقولون !! ، ولكنه قال لي:

﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف]

إذا أساء إليّ فأنا أقدر أن أدفع السيئة بسيئتين، لكنه قال: لا !!

﴿ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٣٤ فصلت].

فأنا أطيع الأمر طلباً لمرضاة الله، وليس خوفاً من جبروت أحد من عباد الله، لأن المؤمن لا يخاف إلا الله...

وهكذا الأخلاق الإلهية التي أمرني بها الله، ألتزم بها مع خلق الله طلباً لمرضاة الله وإظهاراً لجمال دين الله.

فهذا الرجل يخونني... قال... لا شأن لك به :

{ أد الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك } ٩

❁ كما ترون يا إخواني: أين نحن من أخلاق المؤمنين الأولين !!؟

نحن نشبههم فقط في صف الصفوف، وتطويل الصلاة وتلاوة القرآن

^٨ تخريج الإحياء عن علي بن أبي طالب.

^٩ رواه الإمام الشافعي في السنن الكبرى للبيهقي عن أبي هريرة.

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٨١﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

من الحناجر واللسان، لكن بيان القرآن في أفعال وسلوكيات وأخلاق الإنسان..... هذا هو الأهم...!!..

حفظنا النص وغير قادرين على تمثيله على المسرح والمسرح هو الدنيا
❁ وماذا يعرض هذا المسرح؟

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ [٢٩ الفتح]

فيه من يقوم بدور الصديق ...

وفيه من يمثل دور ذي النورين ...

وفيه من يؤدي دور علي بن أبي طالب

وكل واحد له دور من هؤلاء الرجال .. ، بم يكون أداء الدور ؟

بالتشبه بأحواله وأخلاقه وسلوكياته وأفعاله :

❁ لو ظهرت هذه الكتيبة إخواني وأخواتي على مسرح الدنيا ... من

في الوجود كله سيتخلف عن دين الله ؟

لن يتخلف أحد !!!!

لأن العالم شرقاً وغرباً يفتقر إلى القيم الإيمانية والأخلاق الإسلامية.

❁ مثلاً المركز الإسلامي في فرنسا:

ذهبت سيدة فرنسية بولدها، ليعلم إسلامه في احتفالية للمركز

الإسلامي، فسألوها هل أنت مسلمة ؟ .. قالت: لا..، إذأ... لماذا تدفعين

ابنك للإسلام ؟ قالت:

حتى يعاملني إذا كبرت، كما يعامل أبناء المغاربة أمهاتهم ولا يعاملني

كمعاملة أبناء الفرنسيين لأمهاتهم، فأبناء المغاربة لا يضعون آباءهم وأمهاتهم

﴿ ٢٨٢ ﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

في دور المسنين لأنهم فوق الجميع والكل يسعى لخدمتهم ويسترضيهم ويطلب دعائهم.

فتريد ابنها على هذه الشاكلة، لكن الفرنسيين فوراً على دار المسنين!!! بلا تفكير ...

مثلاً يقال له: أبوك مات، فيتصل بوكالة دفن الموتى، قائلاً لهم: هناك فلان الفلاني مات في المكان الفلاني، جهزوه وادفنوه وخذوا التكاليف وانتهى الموضوع!!!

فلا يحضر جنازة من مات له، وهذا ما يحدث هناك، فلا يتزاورون ولا مودة ولا رحمة هناك!!!

المودة..والرحمة...عندنا هنا

✽ التلفزيون الألماني :

عمل برامج يدعو فيها الألمان للتعامل أسرياً كما يتعامل المسلمون، وذلك منذ خمسة سنوات تقريباً. وبحجة أن هذا التعامل يزيد من المناعة، ويعمل على التوافق النفسي والتوازن الشخصي، ويعفى الإنسان من الأمراض النفسية والعصبية، لأنه يجد الناس تسأل عنه ويخففون عنه ..

يجد المشاركة الوجدانية في حل جميع مشاكله، في شهامة المسلم لكن هناك هل سيجد من يسمع له...؟! .. لا وقت لهذا... عندك مثلاً مشكلة... اذهب لطبيب نفساني، والطبيب الساعة بكذا، انتهت الساعة ولم يتم استكمال حكاية المشكلة ...

إذاً تريد ساعة أخرى؟.. ادفع أولاً...!

لكن هنا، يجد طبيب نفساني في المسجد أو غيره مجاناً، ومستعد أن

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٨٣﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

يجلس معه يوم بليلة لكي يسمع المشكلة، ويسعى معه في حل هذه المشكلة،... أو إخوانه يسمعون منه ويريدون أن يساعده ... ويذهبون معه... من أين يا إخواني؟

﴿ هذه قيم الإسلام وأخلاق الإسلام التي نشرها دين الإسلام ونبي الإسلام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.﴾

وهذا هو السلاح الفعال ... ولكن وبالأسف!! فنحن نحاول هدمه والقضاء عليه بدون أن ندري!

ونحن طبعاً ليس لنا كيان إلا بهذا ...

لأن القوة التكنولوجية نحن ضعاف فيها، والقوة الحربية أضعف، ولا يعطون لنا منها إلا ما يريدون ...

فمثلاً السلاح الذي استخدموه في الحرب العالمية، وأصبحوا غير محتاجين له هو الذي يعطونه لنا... لكن السلاح الحيوي الفعال هل يعطوه لنا?... لا...!!... وبحجة أن المعسكر الآخر سيأخذه ويفك شفرته.

الأخلاق القرآنية

إذن ما الذي نكون به لنا كيان في العالم؟

هو سلاح الأخلاق القرآنية والأخلاق النبوية.

نتعامل بها فيما بيننا، وإذا نظر العالم إلى شأننا سيعجب بأحوالنا فيرون أن هذا هو الدين الحق، ويدخلون في دين الله ﷻ أفواجا.

﴿ ٢٨٤ ﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

❁ وعلى سبيل المثال سيدنا الإمام علي عليه السلام وكرم الله وجهه:

كان صورة مصغرة من سيدنا رسول الله في خلقه وفي هديه، لأنهم لو كانوا صورة منه في العبادات لأصبحوا صورة واحدة، ولكنهم كانوا غير ذلك فكل واحد منهم له ميدان في المجاهدات :

منهم من اختار قيام الليل ومنهم من اختار الصيام ومنهم من اختار العلم ومنهم من اختار تلاوة القرآن، كل واحد اخذ بابا من أبواب العبادات، لكنهم جميعا كانوا صورة مجملة بالأخلاق المحمدية وليس في ذلك خلاف، مثلا: نختلف في الوقوف في الصلاة هل أضع يدي على القلب؟ أم على الوسط؟ أم أسدلها وأتركها تماما؟ لكن لن نختلف في :

الصدق والكذب؟ هل في هذا خلاف؟

لأن الصدق هو الصدق، والكذب هو الكذب.

لن نختلف في الأمانة والخيانة.

لن نختلف في الكرم والبخل. هناك أشياء لا فصال فيها.

وهي التي كان عليها المعول والتي بها رفعة الدرجات والتي بها نيل الكرامات والتي بها دخول معية سيد السادات صلوات الله عليهم.

❁ فسيدنا الإمام علي عليه السلام :

كان له حق عند يهودي، أو غير مسلم على اختلاف الروايات، واشتكاه إلى القاضي ، فاستدعى القاضي الاثنان.

ونادى القاضي وقال يا أبا الحسن: اجلس هنا بجواري، فتغير وجه الإمام علي، وظهر عليه الغضب ورفض الامتثال لهذا الأمر، رفض قبول هذه المكرومة من القاضي، وبعد انتهاء الجلسة وحكم القاضي، عاتبه القاضي

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

قائلا: يا أبا الحسن لم رأيت على وجهك الغضب؟

قال: لأنك كنيته وناديته باسمه ولم يتبين الحق لي بعد !!، وطلبت مني أن أجلس وتركته واقفا ولم يظهر الحق لي بعد...! .. سيدنا علي لا يريد المحاباة في دين الله.

وهذه هي القيم التي وصاهم بها سيدنا رسول الله ﷺ :

﴿سُجَّهْدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [٤٥ المائدة].

❁ ومثل هذه المواقف كثيرة... !!!

لو درسنا هذه السير المنيرة نجد أن إقبال الناس على أهل الإسلام وعلى قادة الإسلام وعلى جند الإسلام ودخولهم في دين الإسلام :

- إنما كان لما رأوه في الفاتحين من الأخلاق الإسلامية العظيمة، ليس لقوتهم أو لقوة عتادهم وسلاحهم.

- وإنما لأخلاقهم التي هي صورة لما طالبهم به كتاب الله، وبما كان عليه رسول الله ﷺ وعلى هذه الشاكلة كان الصالحون والعارفون في كل زمان ومكان.

منهج الصالحين في الدعوة

كيف نجح الصالحون في دعوة الخلق إلى الله؟

بتأسيهم بسيدنا رسول الله ﷺ في أخلاقه الكريمة في معاملتهم الخلق طلبا لمرضاة الله جل في علاه.

﴿٢٨٦﴾ ﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

لكن العبادات فهي لنفسه ... ما لهؤلاء الخلق بهذه العبادة...

واحد قاعد في خلوة في جبل يعبد الله أربعين أو خمسين سنة، هل سينتفع به الخلق؟ ... لا لكن الذي سيشد الخلق إلى الله من؟

لازم يكون عايش بينهم ... ولا يتأثر بشحهم ولا بخلهم ولا أنانيتهم ... ولا عدوانيتهم ولا فطرهم المهملة ... بل يتمسك بفطرته النقية ... وأخلاقه القرآنية وسط هذه الحياة المادية، وهذا هو المهم وهو الإعجاز في هذا العصر.

والإعجاز هو أن تجد الناس تتنافس على المادة كأنهم مسعورين !!، وتجد إنسانا عفوف النفس تعرض عليه المادة ولكن من طريق فيه شبهة فيرفضها ويأبأها !!!

لأنه لا يريد إلا ما أباحه شرع الله، في حين أن حياته قد تحتاج إلى بعض هذه المادة: لأنه يعاني من ضوابط في هذه الحياة، لكنه يصر على ألا يأخذ إلا ما يبيحه شرع الله، وما أباحه له سيدنا ومولانا رسول الله..!، وهذا هو الإعجاز

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة ٢٧٣]

وهو في استطاعته أن يزيّف أو يجور أو يظلم أو يرتشي أو يغش ويصبح مليارديرا وليس مليونيرا ... لكن خشية الله وتقوى الله تمنعه من التشبه بهذه الكلاب التي قال فيها رسول الله :

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٨٧﴾

{ الدنيا جيفة وطلابها كلاب }^{١٠}

الدنيا في هذا الحديث:

هي الدنيا المذمومة التي تُطلب على غير مرضاة الله والتي تُطلب بسخط الله وعلى غير شرع الله ومنهج الله، ولذلك فطلابها كلاب. لكن الدنيا التي يطلبها المؤمن ليرضي الله

فقد قال فيها حبيب الله ومصطفاه :

{ نعم المال الصالح للرجل الصالح } ١١

لأنه يستعين به على طاعة الله ... وعلى تقوى الله ... وعلى إعلاء كلمة الله جل في علاه، وهذا هو الإعجاز.

✽ الناس التي على هذه الشاكلة.. فرد واحد منهم .. من هؤلاء يلفت أنظار آلاف مؤلفة ويجعلهم يديرون الفكر ما الذي جعله كذلك ؟

لماذا لا يريد رشوة ؟

لماذا لا يكذب ؟ لماذا لا يخون ؟؟؟

لماذا لا يفعل كذا وكذا من الذي يفعله جماعات غسيل الأموال ؟

فيفاجئوا بأن الذي يمنعه دينه، أي دين هذا ؟

يدرسوا الدين ويدعوهم هذا إلى الدخول في دين الله أفواجا.

✽ هل عرفتم يا إخواني الآن كيف سينتشر الدين بهذه الطريقة وبهذه

الكيفية ... هل اتضح هذا الآن ...؟؟

(١٠) أخرجه أبي نعيم في الحلية وابن أبي شيبة عن يوسف بن أسباط عن علي وذكره السيوطي في الدرر وأبو الشيخ في تفسيره عن علي بلفظ الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر علي مخالطة الكلاب
(١١) رواه الألباني عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لكن إذا كان المسلمون يسارعون مع غير المسلمين في الغش والتدليس للحصول على هذا المال الخسيس، فهل يلتفتون إلى هذا الدين؟

كلا !!!!!!!

بل إنهم ربما يستهزئوا ويقولون: ما الذي يفعله بصلاته؟ وما الذي يفعله بصيامه؟ وما الذي يفعله بحجه؟

سيقولون هذا الكلام، لكن ما الذي يستوقفهم؟

أنه مع شدة الحاجة إلا أن الله ﷻ حفظه وجعله لا يقبل إلا ما أباحه حقا، وصرفا شرع الله لأنه يريد أن ينال رضى الله وأن يكون مع حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

✽ هذه الأخلاق هي التي يجب أن نأخذ فيها دورات تأهيلية:

لأن دورات الكمبيوتر مهما نأخذها فلن نغزو بها قلوب العالم وننشر فيها الإسلام، لأننا أيضا سنكون لهم تلامذة مهما تقدمنا.

والأسلحة الحربية ما زلنا فيها في الروضة، أو أقل، وغيرها وغيرها من الأمور الصناعية والزراعية، وغيرها، لكن الذي سيعجزهم هي:

هذه الأخلاق ...

يجدوا الإنسان المسلم رغم فاقته ورغم فقره ...، إلا أن تمسكه بشرع ربه وبهدي حبيبه ...

يجعله يستحيل عليه أن يرتكب شيئا يغضب الله ...

أو نهى عنه كتاب الله، أو يخالف فيه حبيب الله ومصطفاه.

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذى يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٨٩﴾

قُوَّةُ التَّقْوَى

وإذا بحثت في الأولين والآخرين :

ستجد أن هذا هو السبب الأعظم في دخول الناس في دين الله ﷻ أفواجا، والمجال يعجز عن جمع ولو حتى بعض الروايات في هذا السبيل، وأريد من بعض إخواني الذين يدرسون أن يجمعوا هذه النماذج في كتب طيبة، لكي يراها ويقراها إخوانهم المسلمون.

هذه النماذج العطرة الموجودة في تاريخنا المعطر بعطر النبوة الذي فيه هذه الأمثال العظيمة وهذه النماذج القويمة التي كانت تجعل الملوك يخضعون على أعتاب المسلمين، ويسلمون بأن في هذا الدين قوة لا تلين هي التي تجذبهم إلى هذا الدين قوة خشية الله وتقوى الله والأخلاق التي أهلهم لها الله وحفزهم عليها سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

من ضمن هذه الغرائب قصة واحدة أختم بها حديثي:

✽ رجل أسره الروم من المسلمين:

وكان رجلا قوي الشكيمة .. شديد المراس ..، فعرض عليه ملك الروم أن يترك الإسلام ... ويتنصّر ... ويزوّجه ابنته ... بل وبشاركه في ملكه، فأبى...! وهو عنده أسير!! فتعجب الملك أيما عجب ...

فجاء ببعض الأسرى وجاء بزيت وأغلاه، ووضعهم في الزيت المغلي أمامه، وقال له : إن لم تفعل ما أمرتك به فسيكون مصيرك كهؤلاء !!!
ولكن هذا أيضا لم يؤثر فيه

فعجب القوم من قوة الإيمان التي يتسلح بها هؤلاء الناس ... وكلمنا

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

رأى شيئاً من هذه الفظائع زادته قُوَّة وإيماناً..!!

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ﴾ [١٧٣-١٧٤ آل عمران]

﴿سُوءٌ﴾ [١٧٣-١٧٤ آل عمران]

هذه الآية هي السرُّ ...

فلما رأى الملك إصراره، فالقلوب بيد ملك الملوك يقلبها كيف يشاء،
أودع الله في قلبه أنه لا يجب عليه أن يقتل مثل هذا الرجل.
وقد ألهمه الله فقال له:

إني لا أريد قتلك على أن تسجد لي، قال:

عندنا لا ينبغي السجود إلا لله، فلما أبى السجود، قال: على أن تقبل
يدي، قال: أقبل يدك على شرط أن تطلق جميع أسرى المسلمين لديك، قال
الملك: لك ذلك، فقبل يده على أن يطلق أسرى المسلمين !! فأطلقهم
الملك جميعاً ، وأطلقه معهم إعجاباً بشأته وسُمُو أخلاقه !!

فلما وصل إلى المدينة المنورة، وكان عمر بن الخطاب ؓ قد سمع
بهذه القصة ... فأمسك يده وقبلها أمام الحاضرين، وقال :

أقبل اليد التي أطلقت أسرى المسلمين.

✽ وهذا هو السلاح الفعال الذي يؤثر في هؤلاء القوم، ويجعل الفكر
يدور ...!!.. والقلب يتحير...!!

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٩١﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

أهؤلاء رجال ؟

أم ملائكة ؟

أم أناس غير عاديين بتمسكهم بهذه الأخلاق وهذه الأوصاف ؟

فما أحوج شباب الإسلام لهذه القصص ... !! ...

لأن شبابنا انغمس في الحياة المادية لأقصى درجة، وفي سبيل الحياة المادية يتحلل من القيم الإسلامية والأخلاق القرآنية !! وهذه هي الطامة الكبرى !! ... في جميع بلاد الإسلام ... ولا حول ولا قوة إلا بالله

وهذا هو سبب كل مشاكلنا في كل وادي وفي كل مجتمع.

ولا مخرج لنا :

إلا إذا رجعنا إلى مبدأنا الأول:

إلى أخلاق الإسلام.

أخلاق الإسلام ...

أخلاق الإسلام ... لا مخرج إلا بذلك

والذي سيتمسك بهذه الأخلاق :

ييسره الله بأن الله سيعلي شأنه على من سواه، وسيبلغه مناه، وسيجعله عزيزاً في الدنيا، وسعيداً يوم لقاء الله

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨ المنافقون].

أسأل الله تعالى

أن يعيد لنا بفضله وعزّه مجدنا ...،

﴿ ٢٩٢ ﴾ ﴿ الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام ﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

وَأَنْ يَعْلى عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَالْخَلْقِ شَأْنَنَا ... ،
وَأَنْ يَبْصُرَ شَبَابَنَا وَبَنَاتَنَا وَأَبْنَاءَنَا فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ بِحَقَائِقِ دِينِنَا ... ،
وَأَنْ يَجْعَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالَنا وَفِيهِ جَدَّنَا وَنَشَاطِنَا وَلَهُ جَمِيعِ قِصُودِنَا ... ،
وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

﴿الباب الثامن: جمال أهل الإسلام الذي يجذب جميع الأنام﴾ ﴿٢٩٣﴾

البَابُ التَّاسِعُ

عِبَادَاتُ الْمُقَرَّبِينَ

- شُغْلُ الْمُؤْمِنِ
- الْمَشْيُ عَلَى الصِّرَاطِ
- حُقُوقُ الْعِبَادِ
- كِرَامَاتُ الصَّالِحِينَ وَأَخْلَاقِهِمْ
- نَوَافِلُ أَهْلِ الْقُرْبِ
- الْعِبَادَاتُ الرَّافِعَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ فَأَوْلَتِكَ مَعَ الَّذِينَ
أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾

آيَةُ ٦٩ سُورَةُ النِّسَاءِ
٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٣٩ ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٣٦ ٢٣٥ ٢٣٤ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠ ٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(*)

والصلاة والسلام على الرحمة العظمى لجميع الأكوان ..

سيدنا محمد وآله أهل القرب والتدان ، وأصحابه الذين اجتمعوا معه
في معية النور والعرفان ...

صلى الله عليه، وعلى كل من تبع هديه، ومشى على دربه إلى أن ينتهي
الزمان ويفنى المكان ...

ونسأل الله عزَّ شأنه أن يجعلنا جميعاً من رفقائه وجيرانه في دار
الرضوان، وأن يجعلنا في الآخرة من الذين يقول فيهم الرحمن:

﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأَنْعَام].

شُحْلُ الْمُؤْمِنِ

الحقيقة يا إخواني، أن الأمر الذي ينبغي أن يشغل بال كل مؤمن هو ما
هو مقبل عليه بعد خروجه من هذه الحياة ؟ وماذا جهَّز لنفسه؟ وبأى وجه
سيلقى وجه مولاه !!! وماذا أعد له للقاء حضرة الله ؟

وكما بينت فإن الخطأ العام الذي يقع فيه كثير من الأنام في زماننا هذا
... وأعود فأكرر ...: أنه الواحد منا يظن أنه أدى ما عليه لله ... إذا قام بأداء
العبادات التي فرضها الله عليه

(*) كان هذا الدرس بمقر جمعية الدعوة إلى الله بالمجفف مركز ديرب نجم شرقية يوم ٣٠ من مايو ٢٠٠٥م الموافق ١٢ من ربيع الآخر ١٤٢٦هـ.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزَى مُحَمَّدَ أَبُو زَيْدٍ﴾

مع أن العبادات مهما بلغ الإنسان من رفعة قدر !! وعلو مقام في أدائها !!! فإن الله ﷻ يقول في شأنها :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية].

❁ ويروي الإمام أبو عبد الله القرطبي في تذكرته :

أن عيسى روح الله ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، مرَّ على مقبرة، فطلب منه الحواريون أن ينادي على صاحب هذه المقبرة؛ فنادى عليه؛ فإذا بالرجل وقد شاب شعره، ويتجلجل في العذاب فقال الرجل: ياروح الله أقامت القيامة؟، قال: لا! ما هذا العذاب الذي أنت فيه وما سببه؟ قال: يا روح الله إني ما عصيت الله ﷻ قط، وكنت أقوم بما أوجبه على الله، وأديم عليه إلا أني كنت أعمل ح طاباً، (يعنى يحمل حطاً للناس على جمل) ، وفي يوم أخذت عوداً من الحطب سلكت به أسناني بدون أن أستأذن من صاحبه !! ، فأنا أتجلجل به في العذاب منذ سبعة آلاف سنة.

فأين نذهب نحن إذن؟ .. ومع هذا المثل الذى ذكرنا .. فإن الله فوق هذا كله .. رءوف رحيم وحليم وكريم وإن كان هو الجبار العظيم ..

❁ وربما نحن لا نلقى بالاً لمثل هذه القصة التى ذكرنا فالرب ﷻ رؤف ورحيم وكريم...، لكن من الجبار يا إخواني؟..أنا، وأنت...!! ، وقد قال الشيخ أبو اليزيد البسطامي رحمه الله عبارة لا يديرها إلا أهل الإشارة قال:

" بطشي أشد من بطش الله ﷻ " ، فقالوا: كيف؟ قال: فإن بطش

﴿الباب التاسع: عبادات المقرئين﴾ ﴿٢٩٧﴾

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الله معه رحمة الله، لكن بطش الإنسان لا رحمة فيه، فإنه جبار، وعندما يمس الله الإنسان بألم أو مرض يرسل معه اللطف وبعده الرحمة والمسرة والهناء، لكن هل هناك أشد بطشاً من الإنسان.. أو جبروت أقوى من الإنسان..!!؟

لا يوجد، فما الذي يجعلك تستجدي وتستعطف أي إنسان؟

﴿ هذه هي المشكلة :

لأن الإنسان الحكيم هو الذي يخرج من الدنيا، وليس عليه مظلمة لأحد من عباد الله، لأن الله جلّ في علاه بعد أن يقف أهل الموقف كما ورد في الحديث الصحيح ، أن الله ينادى يوم القيامة على من شاء من خلقه:

{ يا عبادي لقد استمعت إليكم طويلاً فاستمعوا إليّ اليوم، أما ما كان بيني وبينكم فقد وهبته لكم، وأما ما كان بينكم وبين بعضكم فتواهبوه فيما بينكم، ثم ادخلوا الجنة برحمتي }.

فمن الذي سيعطلنا يا حضرات ؟

العباد ... العباد ... العباد ...

فاحذروا يا عباد الله من أكل حقوق العباد ...

لأن الذي عليه حق من حقوق العباد فلا بد من أن يمشي على جسور جهنم فوق الصراط ... ماذا أنت فاعل عندها؟؟؟ أفبقوا يا عباد الله !!!

أما من ليس عليه حق للعباد ... فياهناه .. فيخرج من هنا فوراً إلى ..

﴿ عَلَى الْأَرَابِكِ يَنْظُرُونَ ﴿١٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿١٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [المطففين].

والثاني لا بد أن يمرّ على الصراط فوق ظهر جهنم ... يا الله !!

﴿ ٢٩٨ ﴾ ﴿ الباب التاسع: عبادات المقرّبين ﴾

المشي على الصراط

والصراط كما ورد في الروايات الصحيحة، وسنرويها بالمعنى:

{ سبعة جسور على جهنم .. كلُّ جسر منها ألف عام صعوداً، وألف عام
إستواءاً، وألف عام هبوطاً }

أى واحد وعشرون ألف سنة لعبور السبعة جسور .. ولأن اليوم مقداره
خمسون ألف سنة من أيامنا ... فاحسبوها أنتم !!!!!!!:

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج].

لأن ما نطمع فيه كلنا أن ندخل في بشرى النبي التي يقول لنا فيها:

{ يمر يوم القيامة على المؤمن كصلاة ركعتين خفيفتين }¹

فلم هذه الجسور ؟ فالحديث الآخر ما معناه قال :

{ من حافظ على الوضوء وعلى إسباغه يمر على الجسر الأول

كالبرق الخاطف، والصلاة يمر على الثاني كالبرق الخاطف، والصيام يمر

على الثالث كالبرق الخاطف، والزكاة يمر على الرابع كالبرق الخاطف،

والحج يمر على الخامس كالبرق الخاطف، والسادس من برٍّ والديه يمر

عليه كالبرق الخاطف، والسابع حقوق العباد، وعامة سقوط أهل الموقف

{ منه }

من على فوق هذا الجسر فإن الظالمين سيقعوا في جهنم !!..

¹ رواه احمد وأبو يعلي وابن حبان والبيهقي عن أبي سعد

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

لأن جسر جهنم أرق من الشعرة...!!، وأحد من السيف...!!، كما ورد في الحديث هذا بالنسبة للناس العاديين، أما بالنسبة للمؤمنين قال ﷺ:

{ يتسع الصراط للمؤمن حتى يصير عرضه مسيرة ثلاثة أيام }^٢

لكن بالنسبة للمحسن، والموقن لا يلزم ذلك، لأنه سيمر كالبرق الخاطف. لكن الجماعة الوجهاء والعظماء سيتفرجون على هذه الجسور من شرفات القصور !!!، وليس لهم شأن بهذا، والآية التي تقول:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [٧١ مريم]

"منكم" من هنا للتبعيض...، بعضكم وليس كلكم...، يعني لم يقل كلكم واردة، ولكن بعضكم لأن هؤلاء تنطبق عليهم الآية التي تقول:

﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء]

فعامة سقوط أهل الموقف في جهنم من حقوق العباد :

لذلك فإن الإنسان الذي يريد أن ينال ولاية الله .. يعني يتولاه مولاه، يلزمه أن يخلص نفسه من عباد الله.... من هنا .. وليس هناك ..

❁ وقد سأل الإمام على رضي الله عنه وكرم الله وجهه: من هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال:

هم قوم أنفسهم عفيفة، وحاجاتهم خفيفة .. (أي ليس لهم طمع في أحد ولا يريدون شيئاً من أحد) .. شرورهم مأمونة .. (لا يأتي من جهتهم شر لأحد لا باللسان ولا بالفعل) .. وألسنتهم مخزونة .. (فلا تتحرك ألسنتهم إلا بما يحب الرحمن ﷻ).

^٢ عن عبد الله ذكر جعفر بن سليمان، قال: سمعت مالك بن دينار يسأل علي بن زيد وهو يبكي فقال: يا أبا الحسن، كم بلغك أن ولي الله يحبس على الصراط؟ قال قنقد رجل في صلاة مكتوبة أتم ركوعها وسجودها، قال: وهل بلغك أن الصراط يتسع لأولياء الله؟ قال: نعم. " من كتاب الأولياء لابن أبي الدنيا"

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فلا يصح لواحد من عباد الرحمن أن يكون لسانه شغال في الهديان
!فالذي يهذي كثيراً اعلم أنه بعيد عن حضرة العلي الكبير عليه السلام، لماذا؟ لأن
أهل المعية الإلهية هم أهل الحكمة...!.

❁ من الذي سيأخذ ميراث الحكمة؟...يقول سيدنا رسول الله :

{إذا رأيتم الرجل أوتي صمتاً وزهداً فاقربوا منه فإنه يلحق الحكمة} ٣

لأن الذي سيتكلم كثيراً سيخطئ كثيراً، والورع في الأكل والشرب
والمطعم والملبس سهل أو ممكن ، لكن الورع الأشد على النفس .. هو
الورع في الكلام!، وهذا ما يحرص عليه عباد الله الذين يريدون ولاية الله،
والورع في المنطق!، أي قبل أن ينطق بالكلمة.. لازم يوزنها ﴿الحج﴾.

﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾

ولذلك كما قال الإمام علي عن المؤمن : " شرورهم مأمونة، وألسنتهم
مخزونة، الناس منهم في راحة، وأنفسهم منهم في عناء "
فالجهد والعناء مع النفس؛ لأنها هي التي تريد الجهاد.

حقوق العباد

ولو لاحظنا كتاب الله، فقد ترك المسلمين يصلوا كما يريدون بعد
تعليمهم، لكن الحاجة التي حاسبهم عليها وأعطاهم فيها درسا عظيما...

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾

^٣ رواه الألباني عن أبي هريرة وأبو خلد.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا
لِمِثْلِهِ أَبَدًا ﴿النور﴾.

إياكم أن يغلط أحد منكم مثل هذه الغلطة أبداً...! لماذا؟

لأن الله في هذه الحالة لن يعفو!! كيف؟

لأن الذي لا بد أن يعفو هو صاحبها، فرينا لأنه رحيم وحنان وشفوق
وعطوف قال: ما بينك وبينني سأسامح فيه، ولكن ما بينك وبين العباد....
ماذا يعمل فيه حضرة الله؟

لا بد أن يعطي لصاحب الحق حقه.. ممن؟ منك أنت!!...

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ [فصلت]

﴿ وهذا مربوط الفرس. ﴾

فإياك أن تضع رقبتك تحت سلطان أو هيمنة رجل من الخلق، أو امرأة
من الخلق، لماذا؟ .. لأنه أو لأنها ستحكم فيك، فماذا تفعل؟
وإذا كان الحج أو رمضان .. يغفر للإنسان فقد قال الأئمة :

{ { إلا حقوق العباد } }

﴿ يعني مثلاً : ﴾

أخذ من مجموعة من الناس من كل واحد خمسين ألف جنيه لكي
أسفرهم للخارج، ثم أخذ مبلغاً من هذا المال وأحج به ويكون الذنب خلص
وغفره الله... هل ينفع ذلك؟... لا.. من الذي سيعطي هؤلاء الناس حقوقهم؟
لازم حقوق العباد....

وهذا ما يحرص عليه الصالحون أجمعون.

﴿ ٣٠٢ ﴾ ﴿الباب التاسع: عبادات المقرئين﴾

كِرَامَاتُ الصَّالِحِينَ وَأَخْلَاقِهِمْ

ولذلك عندما تسمع عن الكرامات التي أكرم الله بها الأولياء
والصالحين تجدها كلها في هذا الباب :

❁ على سبيل المثال .. الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه وأرضاه:

كثرت في بيته الفئران ولم يكن هناك سمٌّ في هذا الوقت، فأشار عليه
أحد أصدقائه قائلاً: أحضر لك قطة لكي تأكل هذه الفئران؟ أو تطردها ..

فقال أبو حنيفة رضي الله عنه لصديقه: لا .. فقال: لماذا يا إمام؟

فقال: إن الفئران عندما تشعر بالقطة ستفرُّ إلى بيت الجيران، فأكون قد
أذيت جيرانى! .. فهو خائف من إيذاء الجيران! بماذا؟ بالجرذان ..
هكذا يكون الورع.

❁ أما في عصرنا هذا فيقول الواحد منا :

المهم نفسي !!! لا شأن لي بجاري ولا بغيره !!!

والإسلام غير ذلك لأنه يبغى أن يصلح الإنسان ما بينه وبين الخلق
فيصطفيه الحق ويرقيه ويرفعه ويحبوه وبدنيه، لكن سيقول طالما بيني وبين الله
عمار، فليس لي شأن بالخلق ! ليس هذا من الإسلام... لأن الإسلام :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ .. وبعد

ذلك ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فالتقوى بعد أن تصلحوا بينكم وبين الناس:

﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [١٠ الحجرات].

نوافل أهل القرب

ولذلك عندما ننتقل إلى باب النوافل :

عندنا ثلاثة أصناف من النوافل:

النوافل النافعة، النوافل الدافعة، والنوافل الرافعة.

قد يقول بعض العلماء: من أين جئت بهذا التقسيم؟

قد ألهمني به الله، واضبطوه على كتاب الله وعلى سنة رسول الله..

❁ فالنوافل النافعة:

هي التي ينتفع بها الإنسان بحسنات تنفعه يوم الميقات أو تضيف إلى رصيده في الجنات.

❁ والدافعة :

هي التي يدفع الله ﷻ بها عنه في الدنيا آفات كنوافل قيام الليل، صيام الأيام النافلة، تلاوة القرآن، الأذكار، التسييح والتهليل، والحمد له والحوقة، والصلاة على حضرة النبي...

وكل هذه النوافل هل هناك أفضل من هذه النوافل؟

طبعاً!!!

هناك نوافل نسميها في الدين فرائض، وهي نوافل!!

طلب العلم فريضة أم نافلة؟.. فريضة.

فهل هناك نافلة مما سبق ذكره تساوي طلب العلم؟ كلا!

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

الصلاة على الجنابة: هل هي فرضٌ؟ أم سنَّةٌ؟.. فرض كفاية.

إذن الفرض مقدم على السنة، لأنها حق المسلم: فهل ينفع أن أمكث أقرأ القرآن؟ ولا أصلي على أخي الميت؟.. لا.

هل ينفع أن أصلي نوافل؟ وأترك جنازة أخي الميت؟.. لا.

لأنها فريضة، صحيح أنهم قالوا: إنها فرض كفاية، إن أداها البعض سقطت عن الآخرين، لكن هل هي فريضة؟ أم سنَّةٌ؟.. فريضة.
والفريضة مقدمة على السنة.

﴿كذلك مثلها بالضبط الإصلاح بين المسلمين:﴾

والحديث الشريف يقول فيها:

{ألا أنبئكم بما هو خير لكم من الصلاة والصيام والزكاة والحج (النوافل) قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين}٤

﴿إذا هذه النافلة اسمها نافلة رافعة. لأنها ترفع الإنسان.

والأولى نسميها نافعة، أو دافعة: إذا دفعت عني مكروه تكون دافعة، أو نافعة يكتب لي أجر وثواب.. لكن هذه رافعة: ترفع الإنسان في المقام والقدر، لأنه ينال بها وراثه النبوة إن كان طلب العلم، فهذا عمل الأنبياء، أو الصلح والإصلاح: وهذا شغل الأنبياء أيضاً!..

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [٨٨ هود].

فأعمال الأنبياء فرائض رافعة... وأعمال العابدين والزاهدين والطائعين

٤ رواه الألباني في صحيح الجامع عن أبي الدرداء.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

فهي سنن دافعة أو نافعة، على حسب ما يفتح الله ﷻ به علينا فالذي يحرص على هذه النوافل هم الصالحون.

❁ سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

كان معتكفاً في مسجد سيدنا رسول الله ﷺ والاعتكاف نحن نعرف أجره قال ﷺ في شأنه:

{ من اعتكف قدر فواق ناقة - يعني قدر وقت حلب الناقة - كتب له أجر حجتين وعمرتين تامتين مقبولتين }^٥

وقد يقدر وقت حلب الناقة بعشر دقائق تقريباً ويأخذ فيهم كل هذا الأجر، ولذلك فقد علمنا الإمام الشافعي رحمته الله وأرضاه قال:

وقت دخولك المسجد تصلي ركعتين تحية المسجد، وتنوي الاعتكاف، لكي تأخذ هذا الأجر بشرط ألا تتكلم مع من على يمينك أو مع من على شمالك، لا تتكلم إلا مع من يقول للشيء كن فيكون: تناجيه بكلامه أو تتملق إليه بإنعامه أو تجالسه بذكره وهكذا، لكن ستجلس وتتكلم مع خلق الله في الدنيا والمعاش وتقول: أنا معتكف.. لا يجوز.

والاعتكاف في مسجد رسول الله أعظم أجراً وأكبر في القدر والثواب، فجاء لسيدنا عبد الله بن عباس وهو معتكف رجل وقال له :

يا بن عم النبي إن لي حاجة، هي أن تشفع لي عند فلان لقضاء مصلحة، وبعد أن كلمه، قال: سمعاً وطاعة. مع أن الرجل عندما كلمه كان يقصد أن ينيب عنه أي أحد لقضاء هذه المصلحة، لعلمه باعتكافه ولكن سيدنا عبد الله بن عباس خرج بنفسه فقال الرجل: أنسيت أنك معتكف ؟

^٥ رواه الحسين بن علي بن أبي طالب رحمته الله.

قال: أعلم!، ولكني سمعت صاحب هذا القبر يقول:

{ من مشى في حاجة أخيه المسلم قضيت أم لم تقض؛ كتبت

له عبادة ستين سنة^٦

فأين أجد هذا الأجر؟ فهذه هي العبادة الرافعة، والحديث الآخر:

{ من مشى في حاجة أخيه المؤمن ابتغاء وجه الله كنت واقفاً عند

ميزانه فإن رجحت كفة حسناته وإلا شفعت له^٧

فهذه العبادات الرافعة لا يقدر أن يحيط بأجرها وثوابها أحد.

❁ مثل العلم، ومثل الصلح، فأما بالنسبة للعلم فقد ورد في الأثر:

{ مجلس علم وإن قلَّ خير من عبادة سبعين سنة ليلها قيام ونهارها صيام }

فاليوم كما ترون كم مجلس قضيناه...مجلس قبل صلاة الجمعة..،

والخطبة الأولى مجلس...، والخطبة الثانية مجلس...، وقد سن الرسول

السكته بين الخطبتين لكي تكون مجلسين...، وبعد الصلاة مجلس...، ولو

ذهبت لمنزلك وطالعت كتاباً من كتب العلم كذلك يكون مجلساً...، فأين

الأجر والثواب الذي سيحصله العباد ويوازي ذلك؟.. لا يوجد.ولو طالعت

كتاباً في الصباح فقد قال ﷺ:

{ لأن تغدو فتقرأ باباً من أبواب العلم، خير لك من أن تصلي مائة ركعة^٨ }

لأن العلم هو الذي سيصحح العبادة، لتكون عبادة على خير، وعبادة

على حق.

^٦ عن أنس بن مالك رضى الله عنه وأرضاه في المطالب العالية { من مشى إلى حاجة أخيه المسلم كتب الله تعالى له بكل خطوة يخطوها حسنة إلى أن يرجع من حيث فارقه، فإن قضيت حاجته خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وإن هلك فيما بين ذلك دخل الجنة بغير حساب }

^٧ حلة الأولياء عن عبد الله بن عمر ؓ.

^٨ سنن أبو ماجه عن أبي ذر الغفاري ؓ.

﴿فمتى يدخل الشيطان للإنسان؟﴾

إما وقت النسيان.. وإما في الموضوع الذي يجهل فيه الإنسان الحكم الشرعي.. لكن لو أن الإنسان يعرف الحكم الشرعي ويذكر الله.. هل يقدر الشيطان أن يدخل عليه؟ لا.. فهو يدخل من هاتين الناحيتين إذا كان ناسياً، أو إذا كان جاهلاً لا يعرف الحكم الشرعي، ولذلك فالذي يجعل الإنسان في أمان من الشيطان هو العلم :

﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ﴾ [الإسراء] ٦٥

من هؤلاء؟..هم من...:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف] ٦٥

لأن من يعلمهم هو الرحمن..، فكيف يدخل الشيطان؟ وحتى عندما يريد الشيطان أن يدخل، فاللمبة الحمراء التي ركبها الرحمن في القلب والجنان تضيء... قال تعالى ﴿الأعراف﴾ ٦١:

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾

العبادات الراقية

فهذه هي العبادات الراقية، التي ترفع الإنسان لأنها تجعله على منهج الأنبياء والرسل، ومنهج الأنبياء والمرسلين هو العلم، الحكمة، الصلح بين الناس، السعي في مصالح الخلق، وهي وظيفة الأنبياء.

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

❁ لكن الذي سيجلس في خلوة أو في حجرة في جبل ويتعبد لله فكيف ينتفع به الناس؟

فعبادته على قدره، واسمه عابد، والله أعلم بما في نواياه. فإذا دخله مكروب الغرور، سيظن أنه أحسن من كل الناس، فيضيع...!... أليس كذلك؟ .. وإذا أصيب بفطر العجب، وأعجب بنفسه: ضاع أيضاً.

لكن الأفراد القائلين بمهام الأنبياء ... ولأنها عبادات مع الخلق، فلا يشعر ولا يحس بها، وبهياً له أنه لم يعمل شيئاً، ويمكن في آخر اليوم يكون مهموماً يقول لنفسه: أنا اليوم لم أقرأ القرآن، ولم أسبح أو أذكر الله لأن أعماله مع الخلق ولهم، ليست منه على بال أنها عبادات رافعات.

❁ لكن ما الذي يلفت النفس؟

هذه العبادات الظاهرات..:

أنا صليت اليوم مائة ركعة، أنا ختمت القرآن في يوم وليلة، لأنها عملية واضحة للنفس: فعندما تظهر في مرآة النفس، تطفى النفس وتصاب بالتية والفخر والعجب، وتصاب بالكبرياء وأمراض أخرى كثيرة.

لكن الذي يعمل مع الخلق ولهم هذه الأعمال، لا يلقي لها بالاً ولكنها العبادة التي ترفع الإنسان إلى :

﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء: ٦٩].

❁ ولذلك كان أصحاب رسول الله على نفس المنهاج، وقد بين سيدنا رسول الله هذه الحقيقة قائلاً لهم...:

﴿الباب التاسع: عبادات المقرئين﴾ ﴿٣٠٩﴾

{ ما فضلكم أبو بكر بكثير صلاة ولا كثير صيام ولكن بشيء وقر

في صدره }^٩

﴿ كيف وصل سيدنا عمر إلى الجلاء البصري والفراسة النورانية ؟ وما الأذكار التي كان يذكرها ؟ وكل اسم كان يذكره كم ألف مرة لكي يصل للجلاء البصري ؟

أنه وهو على المنبر، يرى جيش المسلمين في بلاد فارس هل كان جالساً في خلوة ؟ هل كان معه سبحة ألفية ؟ ماذا كان يعمل إذا ؟

﴿ كان مهتماً بمصالح الرعية... كيف كان يقوم الليل ؟

في تفقد أحوال الرعية، كان يمشي وعندما يجد امرأة في حالة وضع ؛ يأتي بزوجه ويحضر الدقيق والسمن ويحمله على كتفيه ويعمل لها العصيدة، وزوجه هي التي تولدها.

﴿ يجد جماعة أخرى قائمة على حراسة بضاعتها، فيتطوع قائلاً لهم سأحرس البضاعة لتأخذوا قسطاً من النوم، وهكذا كان قيامه.

﴿ ماذا كان قرآنه؟ :

قضاء مصالح الخلق... كم مرة كان يختم القرآن في اليوم واللييلة؟ .. إنه حتى في رمضان، لم يكن لديه وقت ليصلي التراويح...:

لقد كلف أبي بن كعب يصلي بهم، وهو في مصالح الرعية لأنه يرى أن هذه هي العبادة الأصلية التي بها الوراثة النبوية للحضرة المحمدية.

﴿ وكذلك عثمان ماذا كانت عبادته؟

كانت التجارة للمسلمين، يأتي بالبضاعة التي يحتاجون إليها لكي لا

^٩ رواه ابن القيم

﴿الصُّوفِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ﴾ ﴿فَوْزِي مُحَمَّدٌ أَبُو زَيْدٍ﴾

يحتكرها أحد ويرفع عليهم الأسعار ويزيد عليهم في الأثمان ليقضى على السوق السوداء، فعندما يجد أن السلع الغذائية شحت في السوق يُخرج كل ما عنده لفقراء المسلمين مجاناً. وهذه كانت بضاعته.

ولذلك دعا سيدنا رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم ... لأنهم شاركوه في عبادته ... ، وورثوه في بضاعته، وعاونوه في تبليغ شريعة الله في كل أرجاء هذه البسيطة ...

لكنك اليوم عندما تقفل عليك الباب وتذكر الله مائة ألف مرة فماذا يستفيد منك الناس؟

❁ ❁ وليس معنى ذلك أنى أكره الناس فى هذه العبادات، وأقول أنها حرام أو محدورة وممنوعة، ولكني أقول أن هناك أولويات !!!
ما العبادة الأولى ؟

أن أسعى في مصالح الخلق، كأن أسعى في الصلح بين الناس، أو أتعلم وأعلم الناس،....: وهذه هي العبادات التي ورثها لنا سيدنا رسول الله، وهي العبادات الرافعة لمن أراد أن يرفعه الله : [١١١ المجادلة]

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾

وكيس حسنات لكن الأخرى النافعة... [٤٠ النساء]

﴿ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا ۗ ﴾

أجراً..، وليس درجة... أجراً عظيماً. وهذا هو الفارق بين هذه وهذه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



﴿الباب التاسع: عبادات المقرئين﴾ ﴿٣١١﴾

نبذة عن المؤلف فضيلة الأستاذ فوزي محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد: ١٨/١٠/١٩٤٨م، الجميزة

مركز السنطة - محافظة الغربية - جمهورية مصر العربية

المؤهل: ليسانس كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.

العمل: مدير عام بمديرية طنطا التعليمية.

النشاط: ١ - يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسي ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.

٢ - يتجول في جميع الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣ - بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة مجد الإسلام.

٤ - والتسجيلات الصوتية والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

٥- وأيضا من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) :

WWW.Fawzyabuzeid.com

جارى تحديث الموقع وترجمته وستنشر به الكتب تباعا والتسجيلات واللقاءات.

دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الإسلامي، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد، والأحساد، والأثرة، والأنانية، وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية؛ بعد تهذيب نفوسهم، وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن الكرسم وعمل الرسول ﷺ وأصحابه الكرام.

هدفه: إعادة المجد الإسلامي بيعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وكذلك بترسيخ المبادئ القرآنية



٣	مقدمة. الطبعة الثانية.....
٦	مقدمة الطبعة الأولى.....
١١	تمهيد
٢٣	الباب الأول: الصوفية في الإسلام
٢٥	حقيقة الصوفية.....
٢٦	أول صوفية ————— وفي
٢٩	تأهيل الأصفياء للعطاء.....
٣٤	جامعة أهل الصفة.....
٣٥	الزهد.....
٣٩	أصول التصوف.....
٤١	من أحوال الصادقين.....
٤٣	جهاد العارفين للهوى.....
٤٤	وراثة النبوة.....
٤٥	إشراقات علم الآيات.....
٤٨	التكنولوجيا الربانية.....
٥١	حقيقة التكنولوجيا المادية.....

١١٨	مقام التحقيق.....
١٢٢	حقيقة.....
١٢٣	عجائب الرؤيا الصادقة.....
١٢٧	رأي د. عبد الحلیم محمود في الصفاء.....
١٣١	الباب الخامس: مشروعية أحوال الصوفية وأفعالهم
١٣٣	مشروعية الأوراد.....
١٣٤	اسم الله الأعظم.....
١٣٥	أسماء الله.....
١٣٦	سند الصالحين في.....
١٣٨	سند الصالحين في.....
١٣٩	سند الصالحين في.....
١٤٢	السيادة لأهل البيت.....
١٤٣	سند الصالحين في الأوراد.....
١٤٤	سند الصالحين في.....
١٤٦	سند الصالحين في تقديم ما يسر.....
١٤٧	سند الصالحين في.....
١٤٩	الأقطاب.....
١٥٤	الأوتاد.....
١٥٥	الأبدال.....

٢٦١	المســــــــــــــــلم يعامــــــــــــــــل	الله
٢٦٧	إخــــــــــــــــص العمــــــــــــــــل	الله
٢٦٩	رجال الصدق.....	
٢٧٦	ســــــــــــــــر ســــــــــــــــر عــــــــــــــــادة	الله
٢٧٨	سيناريو النور.....	
٢٧٩	جمــــــــــــــــال	الله
٢٨٤	الأخلاق القرآنية.....	
٢٨٦	مــــــــــــــــهج الصــــــــــــــــالحين فــــــــــــــــي	الله
٢٨٩	قوة التقوى.....	
٢٩٣	الباب التاسع: عبادات المقربين	
٢٩٥	شــــــــــــــــغل	الله
٢٩٨	المشــــــــــــــــي عــــــــــــــــلى	الله
٣٠٠	حقوق العباد.....	
٣٠٢	كرامــــــــــــــــات الصــــــــــــــــالحين	الله
٣٠٣	نوافل أهل القرب.....	
٣٠٧	العبادات الرفاعة.....	
٣١١	المؤــــــــــــــــلف فــــــــــــــــى	الله
٣١٢	الفهرست.....	
٣١٨	أين تطلب مؤلفات أ/ فوزي أبو زيد (قائمة المكتبات)	

للحصول على مؤلفات الأستاذ فوزي محمد أبوزيد

أولاً : بالقاهرة والجيزة

العنوان	الهاتف	إسم المكتبة
١١٦ شارع جوهر القائد - أمام جامعة الأزهر- القاهرة	٢٥٩١٢٥٢٤	المجلد العربي
سوق أم الغلام التجارى - ميدان الحسين، القاهرة	٢٥٩٠١٥١٨	مكتبة الجندي
٥٢ ش الشيخ ريحان عابدين	٢٧٩٥٨٢١٥	دار المقطم
٤٠ ش طلعت حرب- أمام سينما مترو، القاهرة	٢٥٧٤٠٥٠٣	دار الأحمدي للنشر
١٧ ش الشيخ صالح الجعفري بالدراسة ، القاهرة	٢٥٨٩٨٠٢٩	جوامع الكلم
٩ ميدان السيدة نفيسة - بجوار مسجد السيدة نفسية بالقاهرة	٢٥١٠٤٤٤١	نفيسة العلم
عمارة اللواء ٢ شارع شريف - القاهرة	٢٣٩٣٤١٢٧	المكتب المصري الحديث
١٠٩ شارع التحرير- ميدان الدقي، الجيزة	٣٣٣٥٠٠٣٣	دار الإنسان
أمام مسجد الإمام الحسين	-----	مكتبة عالم الفكر
٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة	٢٥٧٥٦٤٢١	مكتبة مدبولي
طيبة ٢٠٠٠- طريق النصر- مدينة نصر - القاهرة	٢٤٠١٥٦٠٢	مكتبة مدبولي مدينة نصر
٩ ش عدلى - جوار السنترال	٢٣٩١٠٩٩٤	مكتبة النهضة المصرية
٦ ش د/حجازي، الصحفيين - القاهرة ، خلف نادي الترسانة	٣٣٤٤٩١٣٩	مكتبة هلا للنشر والتوزيع

المكتبة الفاطمية	-----	ميدان جامع الأزهر - أمام الباب العباسي ، القاهرة
مكتبة أم القرى	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد- أمام جامعة الأزهر، القاهرة
المكتبة الأدبية الحديثة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصناديقية بالأزهر
مكتبة الروضة الشريفة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١ شارع الدكتور. أحمد أمين - مصر الجديدة
ثانيا	بالأقاليم	
مكتبة عبادة	-٠٥٥- ٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق - شارع نور الدين
كشك عبدالحافظ محمد عبدالحافظ	-----	الزقازيق - بجوار مدرسة عبدالعزيز على
مكتبة تاج	-٠٤٠- ٣٣٣٤٦٥١	طنطا - مكتبة تاج - بجوار مسجد السيد أحمد البدوي
مكتبة الإيمان		فايد- حاج أحمد غزالي بربرى
كشك الصحافة		السويس- شارع الشهداء- حاج حسن محمد خيرى
أولاد عبدالفتاح السمان	-٠٩٣- ٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- ش احمد عرابي بجوار مركز التكوين المهني
كشك أبو الحسن محمود	-----	قنا - أمام مسجد سيدي عبدالرحيم القناوى
دار الاحمدي للنشر	-٠٦٨- ٢٣٤٧٨٠٢	المنيا- أبراج الجامعة - أمام الشبان المسلمين

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار للتوزيع ودار الشعب والدور القومية

للتوزيع والنشر ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والأسكندرية والأقاليم

